المنهل

AL MANHAL

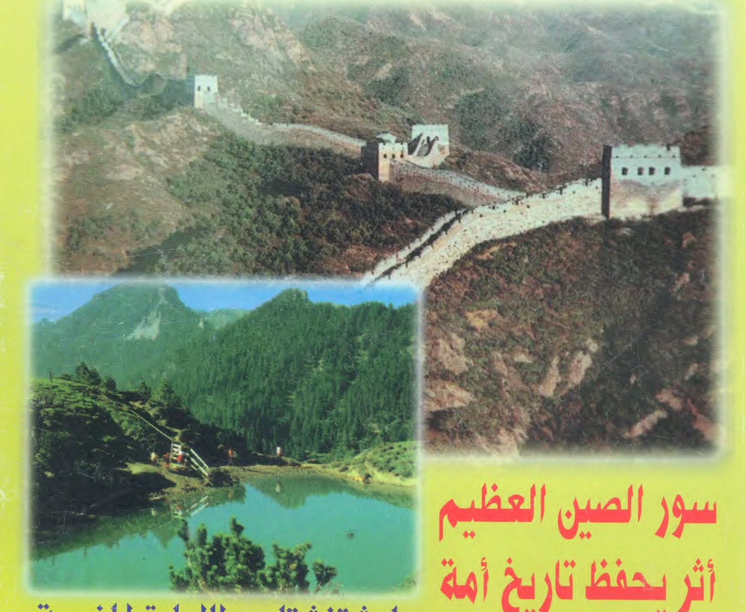
مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٧٩) المجلد (٦٤) العام [٦٨] المحرم /صفر ١٤٢٣ هـ ـ مارس / ابريل ٢٠٠٢ م

المهاجرون .. رجال صدقوا

الخوف وأبعاده النفسية في القرآن الكريم

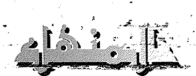
الدلالة الاصطلاحية عند النحاة



سور الصين العظيم أثر يحفظ تاريخ أمة

ليشتنشتاين: الإمارة المنسية

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

معاقل

الأدب .. قيمة موضوعية

ليس الأدب أداة تسلية، أو فن لهو: وتمضية للوقت، بل انه من اسمى الفنون الحية التى تنهض الامم وتنعشها، وكم للأديب المخلص من اثر فعال في ترقية مستوى الامة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني معا.

والواقع ان الادب في أسمى أوصافه، وأصدق الوانه، هو المحرك الكهربائي الذي يبعث روح الاصلاح في الشعوب، ويوقظ فيها الفتوة والشعور بالكرامة ويحفزها الى المضي في طريق التقدم، ويصقلها صقلا جيداً، ويهذب من حواشيها ويوصل بين حاضرها وماضيها، وصلا محكما، مثمراً لشتى المنافع. والادب هو الذي ينمي مواهب الامة الفكرية، ويحرك كيانها تحريكاً جيداً متقنا، وهو الذي يوحي اسمى الخيالات، الى الاذهان الخاملة، ويثير الحماسة في الصدور الى اعتناق المثل العليا من الكمال، ويحميها من ان تظل راسبة في مستنقعات الانحطاط الوبيئة، ويجعلها تسعى سعيا حثيثا منظما لتكون في طليعة الامم الراقية، وهو الحادي الجذاب الذي يولد فيها روح النشاط الدؤوب كلما أخلدت أو أوشكت ان تخلد الى الراحة المضنية والفتور الموبق والتقاعس الوبيل.

ورسالة المنهل الأدبية قد جلوناها للقراء الأماثل في النشرة التى قدمناها لهم إنا لنرجو ان ننال من جم تعضيدهم، ومشكور مؤازرتهم ومحمود اخلاصهم ما يجعل منهلهم صافيا عذبا غزيرا على الدوام. وسنبذل قصارى الجهد في سبيل احاطة هذا المنهل بسياج متين من اسباب الوقاية، حتى لا يتلوث معينه ولا يتعكر صفوه بجراثيم التراشق والاسفاف، شاعرين بأن التطور من سنن الكائنات.

ونبتهل الى الله جلت عظمته ان يكون دائما عند حسن ظننا به، فنكون دائما عند حسن ظن القراء بنا والله ولي التوفيق.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٥٥ هـ
فبراير ١٩٣٧ م

غلاف العدد




المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس ٦٤٢٨٨٥٢ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض ص.ب ٢٩٠ تليفون ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم

مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس

عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس

موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

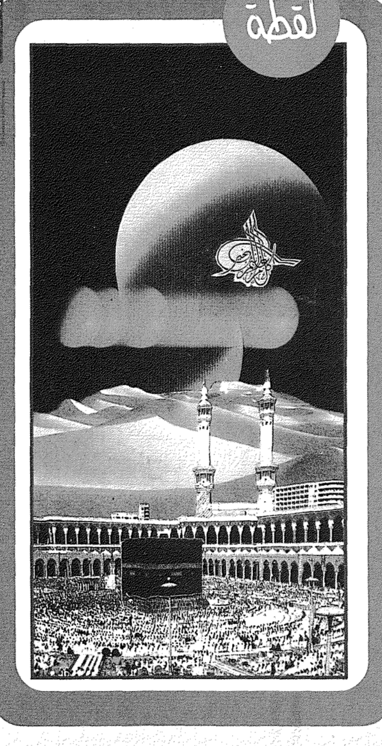
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

لقطة



الاشتراكات

جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

أما بعد

المنطق المعوج

طغيان وجبروت، فاقا وفاتا كل الحدود والتصور - ان صح ان للطغيان والجبروت سقفاً يحدهما..

بنو صهيون طغوا وتجبروا، وعاثوا في الارض فساداً..

في فلسطين الجريحة: قتلى وجرحى ودماء.. هُدِّمتْ منازل، وجُرِّفت مزارع، واقتيد أهل الأرض أسرى..!!

الطائرات المقاتلة الضخمة، والمروحيات، والدبابات القلاع، وكل انواع الاسلحة.. كل أدوات الشر هذه، تقذف الموت والدمار صباح مساء على رؤوس الفلسطينيين أهل الارض والدار..

إما أن يرحلوا عن دارهم ووطنهم، وإما ان يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم..

هكذا يفكر بنو صهيون!!

أو هكذا يحلمون..

ولكن صاحب الحق، معه مدد السماء.. ولهذا يبقى الفلسطينيون اكثر صموداً.. وأعمق صبراً.. وأثبت قدماً في ميادين اللقاء..

هذا الطغيان والجبروت من بني صهيون يقابله صمت أهل القبور من قبل العالم (المتحضر).. أو هكذا يسمون أنفسهم.. عالم (حقوق الانسان).. كما يزعمون..

أما إذا فجّر هذا الفلسطيني البائس نفسه في ثكنة عسكرية يهودية، أو في ملهى، تعالت أصواتهم بكل اللغات والنبرات والانفعالات.

(على الفلسطينيين وقف هذا العنف الهمجي، والارهاب البربري)..

نعم.. هكذا تتعالى أصواتهم..

أما الادارة الامريكية فتضيف: (للاسرائيليين حق الدفاع عن النفس)..

أي عقل هذا..؟ بل أي منطق هذا؟!

أي حضارة.. وأي حقوق انسان..؟!

هؤلاء المحتلون الصهاينة جاءوا من شتات الارض.. ليس لهم جذور في ارض فلسطين.. ولم يولدوا فيها..

جاءوا الى هنا تحت غطاء أكذوبة كبرى اسمها (أرض الميعاد)..!!

وبهذه (الأكذوبة) يقاتلون أهل الارض، وجذورها، ليقتلعوهم منها اقتلاعاً.. تسندهم على باطلهم هذا دول (الحضارة وحقوق الانسان).. كما يزعمون..

ولكن.. صاحب الحق معه مدد السماء..

السماني كمال الدين

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



غلاف السائح — غلاف هن



فقرات مستلة ..

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



ذكر الله مفتاح باب الارتقاء الانساني

هل يكفي ان نقول ان الله ـ جلت قدرته ـ قد خلق الانسان في أحسن تقويم دون أن نكمل فنقول إنه قد رُدَّ أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟! الاجابة لا تحتاج إمعان تفكير، فالقرآن العظيم قد قالها صريحة لا غموض يداخلها عندما أبان عن اصل الخلقة الانسانية واصفاً اياه بأنه في أحسن تقويم ثم عاد فكشف النقاب عن ارتداد الانسان اسفل سافلين مستثنياً الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك في الآيات الكريمة **{والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون}** (التين/ ١ ـ ٦).

الا اننا لا يحلو لنا أن نأخذ من كتاب الله العزيز ما يصطدم مع كبريائنا الانسانية التى توهمناها شيئاً ذا بال وهي في حقيقة الامر وبال عظيم وشر آخذ بأعناقنا الى الجحيم ان نحن لم نع هذا الاصرار منا على تبعيض واجتزاء آيات الله البينات لا لشيء الا ليجيء المعنى المجتزأ موافقاً للنفس وهواها! وإلا فلماذا لا نقول الحق فنكمل قراءة النص الالهي الكريم وصولا الى حيث يكتمل المعنى المراد به؟! على أي حال فهذا الدأب ليس بغريب ولا هو بالعجيب ما دمنا بشراً وما دمنا لا نختلف في شيء عن سابقين لنا من أهل الكتاب كانوا يجعلون الكتاب الالهي الذي بعهدتهم قراطيس يبدون منها قليلا ويخفون كثيرا **وهم يحاولون إخفاء الحق انتصاراً لأنفسهم وللباطل** فلا يفلحون الا في الخوض عميقاً في ظلمات الحقد الاسود على خير خلق الله سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] ولكن ما علينا، الآن وها هنا، فهذا امر سوف يخرجنا عن مسار هذه المقالة الى التوغل عميقاً في التعريض بالذات الانسانية فضحاً لخفاياها النتنة، هذه الخفايا التى آثرنا نحن البشر ان نصرف النظر عنها حفاظاً على

بقلم : د. جمال نصار حسين - الاردن

ماء الوجه وانشغالا بشن الحرب على بعضنا البعض طالما كان نظرنا الى ذواتنا كفيل بجعلنا نعي اننا لا نختلف كثيراً عن بعضنا البعض فنفقد بالتالي كل مبررات ومسوغات عدواننا الظالم على بعضنا البعض!.

والآن ماذا بشأن من استثناهم القرآن العظيم من الارتداد اسفل سافلين والذين **وصفهم بأنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟** بدءا وقبل التعمق في البحث عن هوية القوم لنسأل انفسنا السؤال التالي وذلك من دون مجاملات على حساب الحق ولا مداراة للخواطر بل انتصارا لله على النفس وهواها وقياماً بالشهادة ولو على انفسنا أو الوالدين والاقربين كما امرنا بذلك القرآن الكريم **{يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدَيْن والاقربين}** (النساء/١٣٥)، **{وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر}** (الطلاق/٢).

كم يا تُرى عدة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذلك حتى نعرف كم من البشر هم في أسفل سافلين؟ ينبغي الاقرار بداهة بأن لا سبيل هناك للحصول على احصائية صادقة نعرف بموجب بياناتها نسبة القوم من كامل المجتمع الانساني! لذلك ترانا ملزمين بتدبر القرآن العظيم لعلنا ان نقع على ما يكشف النقاب عن عدة الذين آمنوا وعلموا الصالحات. يقول القرآن العظيم على لسان سيدنا داود: **{وإن كثيرا من الخُلطاء ليبغي بعضُهُم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم}** (ص/٢٤).

اذاً هم القلة القليلة والنخبة المنتخبة والصفوة المصطفاة المجتباة لا الكثرة الباغية الطاغية كما يحلو لنا ان نظن ونتوهم.

ولكن كيف السبيل لنكون من هؤلاء الذين نجوا من أسفل سافلين؟ ليس هنالك من سبيل الا سبيل الايمان والعمل الصالح بوسعنا ان نسلكه لنصل الى حيث وصل الذين آمنوا وعملوا الصالحات بسلوكهم السبيل ذاته. ولكن ما الايمان وما العمل الصالح؟ وهل يكفي إيمان دون عمل صالح وعمل صالح دون إيمان؟ ام ان لا إيمان ليس معه عمل صالح ولا عمل صالحاً دون إيمان؟ هذا امر يحتاج بعضاً من تفصيل وقليلا من تفسير من بعد ان نتدبر الآيات الكريمة التالية: **{ومَنْ يؤمن بالله ويعمل صالحاً يُدْخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً}** (الطلاق/١١)، **{من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور}** (فاطر/١٠)، **{ومَنْ**

أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين} (فصلت/٣٣)، **{يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يُكَفِّر عنه سيئاته ويُدْخِلْهُ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم}** (التغابن/٩).

يظن كثير من الناس أن الايمان، الذي يريدنا الله ان نجاهد في الله حق جهاده لنحظى به، أمر من اليسير حمل النفس على التنازل عن عبوديتها لهواها لتتعلق به ايماناً بالله خالصاً لا تشوبه شائبة من اشراك أو نفاق! لكأنما الايمان امر لا تناشز بينه وبين النفس البشرية التى لا تريد ان تصدق ان هناك احداً آخر سواها يتوجب عليها ان تؤمن به الهاً لا اله سواه! ولكأنما مادة الايمان لا تباين بينها وبين ما اعتاد العقل الانساني وتطبع على الايمان به وهو يعيش في ظل جهنمي من ثقافات لا تغذي غير افتتانه بذاته وهوسه بقدرته الفذة على الاتيان بما لم تستطعه الاوائل! الا ان الامر ليس كما يتمنى الانسان الذي استهزأ به القرآن العظيم بقوله تعالى {أم للإنسان ما تمنى. فلله الآخرة والأولى} (النجم/٢٤ ـ ٢٥).

فالعقل الانساني متطبع على الايمان بهذا الواقع المعاش واقعاً وحيداً صلباً لا يداخله واقع آخر ولا يعلو عليه من ليس بمستطاع عينيه البشريتين الاحاطة البصرية به. لذلك كان الايمان بالله مناقضاً للعقل البشري المتطبع، جراء عيشه بعيداً عن الله، على الايمان بالواقع الانساني واقعاً وحيداً لا وجود لواقع غيره. ولذلك كان حمل هذا العقل على الايمان بالله، بصفاته التي تجلى بها للبشر في الصحف الالهية، امراً عسيراً ليس باليسير. فالله ليس من مفردات الواقع الانساني حتى يكون بمقدور عقل الانسان الايمان بوجوده كما بمقدوره ان يؤمن بوجود الشمس والقمر. لذلك لم يكن بوسع الانسان أن يؤمن بالله، كما وصف نفسه في كتبه الالهية، **الا اذا ما نجح في التغلب على نفسه التى لا تريده عبداً لغيرها** والا اذا ما استطاع ان يعيد تطبيع عقله حتى يكون بمقدوره الايمان بمن هو ليس واقعياً تدركه حواسنا التى ندرك بها واقع الحياة لفرط مباينته لهذا الواقع تعالياً عليه وان لم يفارقه لحظة. وهذا ما نلمسه بتصفحنا كتاب الله العزيز متدبرين آياته الكريمة التى قصت علينا من أنباء القرون الأولى والأمم التى سبقتنا الى كتاب الله الحفيظ بانتظار يوم البعث. فالانسان لم يكن، خلا ثلة قليلة من بنيه، مؤمناً بالله كما اراده الله ان يؤمن به الهاً واحداً لا شريك له. **{وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثَرَهُم لفاسقين}** (الأعراف/١٠٢). وهذا حكم عام بحق البشر لا صواب في افتراض عدم انطباقه على انسان العصور التالية! فلقد قالها القرآن العظيم بكل وضوح: **{وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}** (يوسف/ ١٠٦).

ان انحراف الانسان الى الإشراك كلما جاءته رسل ربه تذكره بوجوب العودة الى الله ربه الواحد الاحد لهو دليل قاطع بخطأ من يظن ان العقل

الانسـاني لا يجـد غـرابة في الايمان بإله واحـد! فالمتدبر للقرآن العظيم، بعين لا تراه الا كما ارادنا الله ان ننظر اليه، سوف لن يعجز عن ان يجده كتاباً ناطقاً بفداحة ظلم الانسان لنفسه بهذا الاصرار منه على الانحراف بعيداً عن التوحيد على مدى العصور والدهور **{إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون}** (يونس/٤٤)، **{وإذ قال لقمان لابنه وهو يَعظُه يا بُنَيَّ لا تشـرك بالله إن الشـرك لظلم عظيم}** (لقمان/١٣)٠ وهذا ليس، من بعد ما تبين لنا اعلاه، الا عين ما ينبـغي توقعـه من عقل ليس من اليسير اكراهه على ما لم يتطبع عليه وهو يأبى ان يفارق ماضيه ارتحالا الى مستقبل ليس بنسخة اخرى من هذا الماضي البعيد عن الله! ان التناقض الصـارخ، والذي يجب ان لا نخـجل من الاقـرار بوجـوده بين مـادة الايمان بالله ومـا تطبع العـقل الانساني على الايمان به، ليس بالامر المتخيل ولا هو بادعاء بلا بينة! يكفينا ما تجلى لنا من وقائع مخزية حفل بها التاريخ الانساني منذ عصر ابني آدم وحتى هذه اللحظة تصديقاً لما جاءت به كل الكتب الالهية بحق هذا الانسان الذي يأبى أن يصدق مؤلهوه، من ملحدين بالله ومتدينين بغير دين الحق، انه بهذا السوء الذي جعل القرآن العظيم يقول فيه: **{قُتل الإنسانُ ما أكفره}** (عبس/ ١٧)٠

وهذا التناقض هو ما ينبـغي ان نتدبره حق تدبره حتى لا يفوتنا ان نعي ما أرادنا القرآن العظيم ان نقع عليه حين أكد نصه الالهي هذا التناشز الحقيقي ما بين مادة الايمان بالله وما تطبَّع عليه عقل الانسان٠ لقد كشف القرآن العظيم النقاب عن هذا التناقض المبين وذلك بتأكيده صفة لصيقة بهذا الايمان لا تفارقه الا وهي كونه ايمان بالغيب٠ **ان هذا الايمان بالغيب هو عين ما ينبـغي ان يسـعى العابد للفوز به** والا فهو ساع وراء سراب يحسبه الظمآن ماء لنتدبر الآيات الكريمة التالية والتي وثقت لهذا الترابط ما بين الايمان بالله، كما اراده الله لا كما اردناه نحن معشر البشر، وبين صفة الغيبية هذه؛ هذه الصفة التي سوف يكشف تدبرنا لها عن سر عظيم يطال الايمان والعمل الصالح وقوعاً صائباً علي العلاقة الصائبة الوحيدة بينهما:

{ألم٠ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين٠ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} (البقرة/ ١ ـ ٣)، **{ليعلم اللهُ من يخافُهُ بالغيب}** (المائدة/ ٩٤)، **{جنّات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعْدُه مأتيّاً}** (مريم/ ٦١)، **{ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهُم من الساعة مشفقون}** (الانبياء/ ٤٨ ـ ٤٩)، **{إنما تنذر من اتّبع الذِّكر وخشي الرحمن بالغيب فبَشِّره بمغفرة وأجر كريم}** (يس/ ١١)، **{هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب}** (ق/ ٣٢ ـ ٣٣)، **{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس وليَعْلم اللهُ مَن ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز}**

(الحديد/٢٥)، {إن الذين **يَخْشَوْن ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير}** (الملك/ ١٢)٠

فالايمان بالله، ما دامت مادته غيبية، لا يمكن ان يكون ايماناً عقلياً طالما لم تكن مادته هذه موافقة للعقل الانساني لفرط مخالفتها لمألوفاته وعظيم خروجها على ما تطبَّع وعُوِّد عليه٠ وهذا ما نجده جلياً أنَّى تدبرنا كتاب الله العزيز قراءة لما ورد في آياته الكريمة بخصوص العلاقة ما بين الايمان بالله، كما يريدها الله والمنظومة العقلية لهذا الانسان٠ فليس بمقدور العقل الانساني ان يتوصل بمحض ذاته الى ما جاءنا به القرآن العظيم ومن قبله كتُبُ الله جميعاً٠ كل ما بمستطاع هذا العقل القيام به بهذا الشأن، إن هو لم تأخذه العزة بالاثم، لن يكون غير الاذعان لما جاءه من علم لم يكن له ان يتوصل اليه ولو أمضى الحياة الدنيا بكامل مدتها منذ ان أهبط آدم من الجنة وحتي تقوم الساعة، سعياً محموماً للحصول عليه! ولأن الايمان بالله غيبي الطابع كان من الضروري ان تصاحبه اعمال صالحة تُرغم العقل على اعادة تضبيط منظومته التفكيرية استيعاباً لهذا الزلزال العنيف الذي من المفروض ان يعاني منه وهو يُضطر للايمان بما ليس للواقع كما يألفه من قدرة على أن يشهد له بأنه الحق٠

فلو كان الايمان عقلياً لما احتاج العقل أعمالا تُرغمه على الاذعان لما جاءه به هذا الايمان من جديد يخالف قديمه وغريب يناقض ما ألفه وقوانين تنهال على صخر قلبه بمعاول التحطيم والتكسير! ولو كان الايمان موافقاً للعقل، لا مخالفاً له، لما كان ايماناً بالغيب طالما كان الغيب كل ما هو ليس من مفردات عالم الشهادة: هذا العالم الواقعي الذي يعجز عقل الانسان عن الاحاطة المعرفية بسواه من العوالم الحقيقية ما دامت هذه غير واقعة تحت متناول حواسه٠ فالعمل الصالح اذا يوجبه هذا الايمان ما دام ايمانا بالغيب لا بالعقل وطالما لم يكن أمام هذا العقل غير ان يذعن لما يراد له ان يؤمن به إن هو أعمل الفكر تدبُّراً لما جاءه به القرآن العظيم من حقائق ومعارف ومعلومات ما كان له ان يقع عليها خارجه٠ ومن هنا جاء هذا التصاحب الضرورة ما بين الايمان، ما دام ايمانا بالغيب، والعمل الصالح وسيلة وحيدة لإرغام العقل على اعادة بناء منظومته التفكيرية وفقاً لهذا الذي جاءه مخالفا لما نُشِّيء عليه وهو يعيش متأثراً بهذا الواقع اللاغيبي٠ ومن هنا كانت الاعمال الصالحة، كما يريدها الله، ليست كما يتوهمها الانسان ما دامت الوسيلة لارغام العقل على الارتقاء بعيداً عن هذا الواقع الذي ما خلقنا لنكون من مفرداته حتى يكون حظه منا الانشغال القلبي به والايمان الذي لا يداخله شك بأوحديته! فاذا كان الايمان الصحيح، كما يريده الله، خالصاً من كل شائبة من شوائب التعلق القلبي بسواه فالعمل الصالح، كما يريده الله، ينبغي ان لا يكون رئاء الناس فيفقد بذلك طاقته على اعادة تطبيع العقل **{يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلْدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا**



يهدي القوم الكافرين} (البقرة/ ٢٦٤)، **{والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا}** (النساء/ ٣٨)، **{ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويَصُدُّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط}** (الأنفال/ ٤٧).

إن العمل الصالح لا يكون كما أراده الله الا اذا ما جاهد الانسان نفسه وحارب هواه حتى يجيء عمله خالصاً من كل تعلق قلبي بغير الله. والا فهو عمل غير صالح ليس له من قدرة على ترسيخ الايمان بالله داخلا من القلب ولا على جعل العقل ينظر الى الواقع ليراه كما أراده الله أن يراه. فالعقل البشري تطبَّع على أن ينظر الى هذا الواقع ليراه الواقع الوحيد. وهذا الواقع عاجز عن ان يأخذ بيد الانسان الى الله ان هو لم يبادر الى الايمان بالله اسلاماً له وقولا بوجوده يعملان على إنطاق هذا الواقع ليشهد لله بالواحدية.

لقد شرع الله صوالح الاعمال أدوات تغيير جذري يطال العقل القائل بوجود الله المصدق بأحديته فيجعل من الايمان يتغلغل شيئاً فشيئا في قلب هذا العقل حتى يؤمن القلب بالكامل فلا يكون بوسعه الانشغال عندها الا بالله. ومن هنا كانت الاعمال الصالحة، كما يريدها الله خالصة من كل نفاق ورياء، **اعمالا مخالفة لما اعتاد الانسان القيام به من اعمال!** فهي صلاة وصوم وزكاة وحج ومن قبل هذا كله إقرار وشهادة لله بالواحدية ولمن اصطفاه نبياً بالنبوة والرسالة [صلى الله عليه وسلم] وصنوف من عبادات شتى. وكلها اعمال لا يفقه العقل كنهها على وجه التحديد كما يفقه كنه غيرها من الاعمال البشرية المألوفة التى تجيء دوماً في توافق تام مع هذا الواقع المعاش ولا تضطره، كل حين وآخر، للتشكيك بجدواها. فالعقل الانساني اذا ما حاد عن الايمان بالله، كما يريده الله، لتناقض هذا الايمان مع ما اعتاد الايمان به بسبب من عدم رغبته الصادقة في الخروج على هذا الواقع عبوراً بالله الى الحقيقة، لن يكون بمقدوره الاستمرار في تفحص «أعماله الصالحة» تقصياً لدوافعه من وراء القيام بها! لذلك وحتى لا تعود هذه «الاعمال الصالحة» المطالب بها على الدوام، تنغص عليه هنيء عيشه كما اعتاد عليه فلا مفر بالتالي من جعل هذه الاعمال خالصة لوجه الهوى متجهة صوب النفس فلا يحلو له القيام بها الا رئاء الناس! وهذا حال معظم الناس ما دام العمل الصالح، كما يريده الله خالصاً لوجهه الكريم، على هذا القدر من الصعوبة البالغة طالما لم يكن الناس في الصورة! اذا يريدنا الله ان نمحص اعمالنا التى نظن انها من الصالحات وذلك حتى تكون خالصة من كل شائبة من شوائب الاخلاص لغير الله، فهل نحن فاعلون؟! **{إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كُسالي يُراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا}** (النساء/ ١٤٢)، **{فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يُراءون * ويمنعون الماعون}** (الماعون/٤ ـ ٧).

لقد اعتاد الكائن الانساني وألف ان تكون

اعماله خالصة لوجه الناس. وهذا ما ليس لأحد من قدرة على دحضه أو تفنيده مهما حاول! لذلك لم يكن بالامر اليسير ان تصدر عن هذا الانسان اعمال ليس للناس من نصيب في النية من وراء قيامه بها! وهذا ما يجعل من العمل الصالح الاداة الكفيلة بإرغام العقل على اعادة تطبيع مادته وبالشكل الذي يضمن للايمان ان يزداد رسوخاً داخل القلب وتغلغلا فيه. فمادام العمل الصالح، بطبيعته التي تجعل منه خالصاً لله لا لأحد آخر سواه، مخالفاً للمألوف الانساني خارجاً على الاجماع البشري فهو القادر على جعل الايمان، كما يريده الله، يستوطن القلب وان كان في هذا خروج على ما اعتاد الانسان الايمان به والقيام به من اعمال خصوصاً وان الله يريد هذه الاعمال ان تجيء لا كما اعتدنا ولكن كما يريدنا ان نعتاد عليه.

لقد تفحصنا الايمان، كما يريده الله، فوجدناه مناقضاً، بمادته غير الواقعية وطبيعته الغيبية، لما اعتاد العقل الانساني الايمان به جراء نشأته في هذا الواقع. ولقد أتبعنا هذا بمتحيص للعمل الصالح، كما يريده الله، فتجلى لنا الشيء ذاته طالما كان العمل الصالح مناقضاً لكافة الاعمال الانسانية لفرط مطالبته النفس بما لا تهوى ولضرورة ان يجيء هذا العمل خالصاً من كل ما يشوب أعمال البشر من حرص مقيت على استدرار نظر واعجاب بعضهم البعض! اذا فكل من الايمان والعمل الصالح، كما يريدهما الله، لا قدرة لأيهما على ان يكون كما يريده الانسان: خالصاً للوجه القبيح لنفسه المتعبد على الدوام في محراب هواها! اذاً فالايمان والعمل الصالح يطالبنا كل منهما، على حدة ومجتمعين، بهذا الخروج على المألوف والمخالفة عن ما أجمعنا عليه بنشأتنا هذه في ظل واقع لا نريد ان نؤمن بأنه ليس كل ما هنالك! ولكن لماذا هذا الاصرار في الطَّرْق على صخر العقل والقلب اضطرارا لهما للاذعان والايمان بواقع آخر غير هذا الواقع وان كان لا يستبعده كما يفعل المؤمنون بالواقع الانساني واقعاً وحيداً فريداً ليس من واقع آخر سواه؟ لنؤجل الاجابة حتى نعيد تنظيم صفوف ما انتهينا اليه آنفاً. والآن هل يكفي ايمان دون عمل صالح للوصول الى جعل الايمان، كما يريده الله، يتخلل القلب بمادته كلها جميعاً فلا يغادر منها ذرة واحدة؟ ان السؤال يكاد ينطق بالاجابة من قبل ان نعمد الى البحث عنها. فلأن الايمان، كما يريده الله، لا قدرة للعقل على التمسك به طويلا لفرط تناقضه وأحكامه ومألوفاته وما تطبع عليه كان العمل الصالح، كما يريده الله، ضرورة لازمة لابد منها للعمل على جعل هذا الايمان يغزو العقل شيئاً فشيئا. لنتدبر الآيات الكريمة التالية:

{قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحَى اليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا} (الكهف/ ١١٠)، **{من كفر فعليه كفرُهُ ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهَدُون}** (الروم/ ٤٤)، **{من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد}** (فصلت/ ٤٦)، **{ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا**



الصالحات قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور} (الشورى/ ٢٣).

والآن هل يكفي العمل الصالح، كما يريده الله، للوصول الى جعل القلب مؤمنا بالله كما يريده الله؟ هذا سؤال آخر ينبض بالاجابة لفرط ما فيه من وضوح. فاذا كان العمل الصالح، كما يريده الله، لا يمكن ان يكون كذلك الا اذا ما صاحبه ايمان يقوم هذا العمل بتوطيد اركانه داخلا من القلب فلا عمل صالحاً بالتالي الا مصاحباً بايمان بالله كما يريده الله. لنتدبر الآيات الكريمة التالية:

{ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظْلمون نقيرا} (النساء/١٢٤)، **{من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيينه حياة طيبة ولَنَجْزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}** (النحل/٩٧)، **{وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا}** (الكهف/ ٨٨)، **{ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً}** (طه/ ١١)، **{فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنَّا له كاتبون}** (الأنبياء/ ٩٤)، **{من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون}** (الجاثية/١٥).

اذا فالايمان بالله والعمل الصالح، كما يريدهما الله، متصاحبان لا وجود لأحدهما دون الآخر على الاطلاق الا مجازاً وكما سبق تبيانه. عودة للاجابة على السؤال الذي آثرت تأجيل الاجابة عليه آنفاً. يتبين لنا من كل ما تقدم ان المقصد من وراء كل من الايمان بالله والعمل الصالح، كما يريدهما الله، ليس امراً مجرداً بلا قدرة على الفعل والتأثير في المادة الانسانية؛ هذه المادة التى يريد لها الله ان ترقى فوق واقعها هذا الذي يريد لها الانسان ان تظل اسيرة له خاضعة لقوانينه التي لا يريد ان يصدق ان هناك قوانين غيرها بمستطاعه ان يخضع معها لله في واقع آخر متسلط على واقعه هذا ان هو آمن وعمل صالحاً كما اراده الله! **اذاً فالدين لا يهدف لاستعباد الانسان كما توهمه بذلك نفسه التي لا تريده عبداً لغيرها ولكنه يهدف للارتقاء به الى انسان في احسن تقويم كما خلق أول مرة! وهذا ما يتكفل بالقيام به ذكر الله كتحصيل حاصل للايمان بالله والعمل الصالح، كما يريدهما الله**، وذلك كما سيتبين لنا ان شاء الله بعد قليل. لنتدبر الآن الآيات الكريمة التالية: **{وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكادُ أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى * فلا يَصُدَّنك عنها من لا يؤمن بها واتَّبع هواه فَتَرْدَى}** (طه/ ١٤ ـ ١٦)، **{يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون}** (المنافقون/٩)، **{إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون}** (المائدة/ ٩١).

فالقاسم المشترك بين كل الاعمال الصالحة، كما يريدها الله لا كما تواضع على تصنيفها الناس، هو هذا الارتكاز الصميم على دعائم شيدها ذكر الله

سواء كان جهراً بتحريك اللسان ام خفية بدوام تذكر القلب له. لذلك كانت هذه العلاقة الوثيقة ما بين الايمان بالله والعمل الصالح، لا كما يتوهمها الانسان ولكن كما يريدها الله، قائمة على أساس متين يحتم وجوب تصاحبهما ضرورة لازمة تجعل من غير الممكن تواجد احدهما دون الآخر. فلا ايمان صادقاً الا والعمل الصالح يشهد له بالصدق ولا عمل صالحاً الا وهذا الايمان عينه يقر له بالصلاح. وهذا الاساس المتين، مرة اخرى، هو ذكر الله. {لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} (الأحزاب/ ٢١).

فكل عمل من الصالحات لا ضمان لصدق القائم به، في دعواه الاخلاص بعمله هذا لله لا لأحد آخر سواه، الا اذا ما تدرع وتحصن القلب منه بذكر الله بدوام تذكره عجزاً عن رؤية أحد آخر سواه. والا فهي دعوى باطلة لا بينة تؤازرها فتشهد لها بالصدق وتنفي عنها الكذب.

اذا فذكر الله حصن للمتحصن به يحول دون وقوعه فريسة التعبد لغير الله سواء أكان هذا هواه أم أحداً آخر من الخلق كائناً من كان. وذكر الله، كما يريده الله، هو تذكر واع لله يجعل الذاكر على بينة من أمره حتى لا يؤول به الامر ان يُرمى به خارج الحصن بعيداً عن الله لاصراره على نسيان الله بدوام تذكره لسواه! ان تحليل الايمان بالله والعمل الصالح، كما يريدهما الله، كفيل بإظهار هذا القيام لهما على اساس راسخ من ذكر الله القائم بدوره على دعامة صلبة من تذكر الله والا فهو ذكر بالقلب لسواه وان كان اللسان يذكر الله! وهذا التطابق الحتمي بين ذكر الله، وعياً به لا انشغالا بغيره، وبين تذكره، انشغالا به ونسيانا لغيره، هو جوهر الدين وفحوى كل رسالة من الرسالات الالهية على مر العصور وتعاقب الدهور منذ آدم الانسان الاول وحتى آخر هذه الرسالات ممثلة بالقرآن العظيم الرسالة المحمدية الخالدة. اذا فذكر الله هو تذكر لله. وتذكر الله هو الهدف من وراء جميع الفعاليات التعبدية التي يرمز لها بتصاحب الايمان والعمل الصالح كما يريدهما الله خالصين لوجهه الكريم لا لوجه غيره من الخلق. ولكن لماذا هذا الاصرار على عدم نسيان الانسان لله؟ ولماذا تنوعت العبادات اعمالا صالحة شتى لا صلاح حقيقياً لها الا بملازمة الايمان لها؟ السنا نرى ونتلمس اهتماماً الهياً بهذا الانسان تبرهن عليه هذه العبادات التى ما شرعها الله عقوبة ولا تعذيباً ولا تعبيراً عن عظيم تسلط ومطلق هيمنة، كما يتوهم كثيرون، ولكنه شرعها رحمة بهذا الكائن الضعيف الذي ليس له من طريق يسلكه بعيداً عن الله الا ليؤدي به في النهاية اليه **{يا أيها الإنسان إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه}** (الإنشقاق/٦).

ولكن كيف يقوم الذكر، الذي تبين لنا انه تذكر يحول دون ان ينسى الانسان الله، بهذا التعبير عن الرحمة الالهية بالانسان؟ يعيش الانسان في واقع يتكفل اهتمامه به بجعله لا يتذكر الله فينسى بذلك الحقيقة الوحيدة الكفيلة بانقاذه من عذاب البعد عن الله في الدنيا ومن عذاب نسيان الله له في الآخرة



{الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون} (الأعراف/ ٥١)، **{المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينْهَوْنَ عن المعروف ويقبضون ايديَهم نسوا الله فنسيَهم إن المنافقين هم الفاسقون}** (التوبة/ ٦٧)، **{قال ربِّ لمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتُنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى}** (طه/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، **{فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنَّا نسيناكم وذوقوا عذاب الخُلد بما كنتم تعملون}** (السجدة/ ١٤)، **{وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين}** (الجاثية/ ٣٤).

ولقد جاء الله بكل ما من شأنه ان يعمل على ان يكشف للانسان النقاب عن السبيل الوحيد ليعود الى الله طائعاً في هذه الحياة الدنيا من قبل ان يعاد اليه مكرهاً يوم القيامة فيلقى في نار جهنم خالداً فيها ابداً منسياً من قبل الله الذي سبق له وان نساه. وذكر الله هو هذا السبيل الوحيد للارتقاء بالمادة الانسانية الى حيث يصبح بامكانها العبور الى الله. فتذكر الله، بذكره كما علمنا اياه القرآن العظيم، سوف يتكفل بإعادة تطبيع المنظومة التفكيرية للعقل البشري وبما من شأنه ان يجعل هذا العقل متذكراً لله على الدوام ما دام واعياً بما يحيط به اثناء اليقظة بل وحتى في المنام. وهذا «التذكر لله على الدوام بدوام الوعي بالله» هو الذي سوف يرقى بالمادة الانسانية جاعلا منها ذات قابلية لم تكن يوماً تملكها طالما كانت بعيدة عن الله.

وهذه القابلية الانسانية الجديدة سوف تمكن الانسان، الذي تمكن من العبور الى الله، **من الارتقاء بعيداً عن اسفل سافلين حيث تقبع الغالبية العظمى من بني آدم**، وتكفل له بالتالي دوام التعرض لنور الله؛ هذا النور الذي سوف تعمل طاقته التى ليست كمثلها طاقة على جعله انساناً غير الانسان الذي نعرفه ونظن انه التعبير الوحيد، بل وحتى التعبير الاقصي، عن الامكانية الانسانية. فالانسان كما نعرفه والذي لا نعرف انساناً آخر سواه هو ليس الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وذلك طالما كان في أسفل سافلين ما دام ليس من الذين آمنوا وعملوا الصالحات **وقليل ما هم**! والانسان كما نعرفه في قعر اسفل سافلين من هوة ليس له من وسيلة للارتقاء صعوداً الى أعلى حيث الانسان في أحسن تقويم الا بتمسكه بذكر الله ما دام ليس من سبيل لتحقيق ذلك الا بالفوز بطاقة الهية تعمل على جعله يجتاز حجاب الغفلة عن الله؛ هذا الحجاب الطاغي الذي يحول دون ان يكون بوسع الانسان، كما نعرفه، ان يعي تواجد الله من حواليه. ان تذكر الانسان لله على الدوام، بمواظبته على عمل الصالحات وهو مؤمن، سوف يعمل على إنشاء منظومات عقلية جديدة داخلا من المادة البايولوجية لدماغه. وهذه المنظومات سوف تكفل للانسان الجديد الافادة من وجود الله على مقربة منه للارتقاء الى حيث أراده الله ان يصل ويستقر انساناً في أحسن تقويم لا كما نعرفه انساناً في أسفل سافلين.

من فيوضات الهجرة النبوية

الهجرة من أعظم أحداث الإسلام التى أثرت في مسار الدعوة فكانت نقطة انطلاق لانتشارها في كل أنحاء المعمورة، وهي ليست كغيرها من الأحداث التى يطوى التاريخ صفحتها بمجرد انتهاء وقتها وإنما هي حدث من نوع فريد لا ينتهي عطاؤه ولا تنقضى فيوضاته على مر الأيام ولا يستفيد من هذه الفيوضات إلا من تأمل في الظروف التى واكبت الحدث، وتدبر في مسار الأمور التى صاحبت هذه المرحلة العظيمة من تاريخ الإسلام .. وهذه وقفات مع الهجرة من جهة كونها زاداً على طريق الدعوة والإيمان بالله - عز وجل -

الهجرة تعلمنا عدم اليأس :

عندما نتأمل في الظروف التى وقع فيها هذا الحدث العظيم نجد أنها ظروف قاسية حيث كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} والذين آمنوا معه يعانون أشد أنواع الألم ويواجهون أقسى أنواع التعذيب خاصة بعد أن فقد الرسول أهم أسباب الحماية والنصر: زوجه خديجة - رضي الله عنها - التى كانت تقف في جواره تطمئنه حين يشكو إليها عنت قومه وإعراضهم عنه فيجد عندها أنسه وسلواه، وعمه أبا طالب الذي كان يدفع عنه أذى قومه بما كان يتمتع به من هيبة ووقار ومكانة سامية مرموقة بين قبيلة قريش وغيرها من قبائل العرب.

يقول ابن هشام - في سيرته - :

«فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، ودخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكى، ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لها: «لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك» ا.هـ.

ثم يذهب الرسول الى الطائف أملا في أن يجد فيها أرضاً خصبة يرمى فيها بذور دعوته فلم يجد إلا الإعراض والإيذاء والتعذيب الذى بلغ من قسوته أن سفهاء هذا البلد خرجوا يرمونه بالحجارة حتى

بقلم : عمر حافظ سليم - مصر

سال الدم من قدميه الشريفتين. وعلى الرغم من ذلك كله لم ييأس لأن أمله في الله كان كبيراً.

لقد أخذ - بعد ذلك - يبحث عن أقوام يعرض عليهم دعوته، ووجد الفرصة مهيأة في مواسم الحج، فخرج يبث في وفود الحجاج دعوته بما آتاه الله من جوامع الكلم التى لا ينطق فيها عن الهوى.

ولقد كانت نتيجة الصبر الذى صبره الرسول وأصحابه أن جعل الله تعالى لهم من عسرهم يسراً حيث أعجب حجاج يثرب بدعوة محمد فآمنوا به ورجعوا الى قومهم هداة مرشدين وأخذت اعدادهم تزداد يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام الى أن وجهوا دعوتهم لقائدهم الأكبر بالهجرة الى يثرب فهاجر اليها بعد أن أخذ الإذن من ربه - عز وجل - فعوضه الله أرضاً خيراً من أرضه وأهلاً خيراً من أهله.

التخطيط والأخذ بالأسباب وترك النتائج لله:

والهجرة تعلمنا أن نقدر لأرجلنا قبل الخطو موضعها وأن نأخذ بأسباب النجاح والفلاح ثم نترك النتائج لله - عز وجل - .

وقدوتنا في ذلك هو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذى استطاع بما آتاه الله تعالى من فراسة وكياسة وبعد نظر أن يقدم على هذا العمل الجرىء بعد تخطيط محكم ودراسة متأنية ووضع للأمور في موضعها الصحيح.

ولعلنا نلمس ذلك في اختياره لساعة الصفر التى حدّدها بعد أن اطمأن الى أهل يثرب الذين بايعوه بيعتى العقبة الأولى والثانية على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف، كما بايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأمهاتهم وأبناءهم.

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن التخطيط للهجرة قد بدأ مبكراً قبل ميعادها بسنوات حيث كان الرسول يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج من كل عام لإيجاد أرضية ثابتة يقف عليها ليبنى البنيان.

وإن التخطيط والإعداد من جانب رسول الله ليظهر واضحاً في وضعه للرجل المناسب في المكان المناسب، فأبو بكر الصديق رفيق للرحلة لما يتمتع به من مكانة سامية عند رسول الله وليستشيره الرسول في تدبير الأمور، وعلى بن أبي طالب لينام على الفراش مكان الرسول متسجيا ببردته الشريفة من أجل التمويه على الكفار الذين يترقبون خروج الرسول من بيته، وعبد الله بن أريقط - وهو من المشركين - ليدلهما على الطرقات الخفية المؤدية الى

يثرب، وعبد الله بن أبى بكر ليتسمّع ما يقوله الناس في بياض النهار ثم يعود بما معه من أخبار، وعامر بن فهيرة ليرعى الغنم في النهار ثم يعود إذا أمسى إلى الغار ليطعما من الألبان، وأسماء بنت أبى بكر لتأتي إليهما بالطعام الذى يقتاتان به في كل مساء.

وماذا كانت نتيجة هذا التخطيط:

لقد كانت نتيجته النجاح والفلاح والنصر المؤزر الذى وعد الله - تبارك وتعالى - به عباده المؤمنين في محكم كتابه حيث قال:

{وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} (النور/٥٥).

لقد أحاط الله رسوله بكل أسباب الرعاية والعناية منذ لحظة خروجه من بيته والى أن دخل المدينة المنورة، وإن هذه العناية لتظهر واضحة حينما أعمى الله أبصار الكفار الذين رسموا مخططهم الفاشل لاغتيال رسول الله لحظة خروجه عن طريق عشرة من الشباب الأقوياء وخرج الرسول من بيته في حراسة الله وأمنه وأخذ حفنة من التراب فنثرها على رؤوسهم وهو يتلو قول الله تعالى من أول سورة «يس» حتى قوله **{فأغشيناهم فهم لا يبصرون}** (يس/ ١ - ٩)

وكذلك نجد عناية الله برسوله وبأبى بكر حين دخلا الغار وجلسا فيه حيث كان الكفار يحيطون بهما من كل جانب والموقف صعب وعسير لدرجة أن أبا بكر كان يقول للرسول [صلى الله عليه وسلم]: «لو نظر أحدهم أسفل قدميه لرآنا» ويجيبه الرسول قائلا: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» متفق عليه.

وهنا شاءت إرادة الله تعالى ألا يخيب ظنهما حيث حماهما الله بأضعف الأشياء نسيج العنكبوت الذى أتت إليه حمامة فعششت فيه وباضت لتصرف عنه أنظار الكفار فلا يفكرون في أن هناك شيئاً داخل الغار.

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك حيث قال الله تعالى: **{إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم}** (التوبة/ ٤٠).

ورحم الله البوصيرى إذ يقول معبراً عن ذلك في همزيته:

أخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ
ه ومن شدة الظهور الخفاء

وإن الانسان ليقف مبهوراً ومعجباً عندما يقرأ أو يسمع قصة سراقة بن مالك الذى أغراه قومه

بقتل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فخرج بفرسه وراءه حتى إذا دنا من الركب ناوياً الفتك برسول الله دعا عليه رسول الله فعثرت به فرسه فخر عنها وطلب من الرسول أن يعفو عنه على ألا يخبر قريشاً بخبره فعفا عنه الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم] فلم يحفظ سراقة عهده بل عاد مرة أخرى يريد قتل الرسول فظهرت معجزة من المعجزات التى تدل على عناية الله وحفظه لرسوله [صلى الله عليه وسلم] حيث ساخت قائمتا فرس سراقة في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرها غبار ارتفع في السماء مثل الدخان فعلم سراقة أنه ـ بذلك كله ـ ممنوع عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وداخله رعب عظيم فنادى بالأمان متعهداً بأن يحترم وعده لرسول الله في هذه المره فسامحه الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم] مرة ثانية ورجع سراقة الى مكة محترماً وعده لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأخذ يصرف أنظار الناس عن الركب المبارك بما يراه من القول (سيرة ابن هشام ص٥١٢).

ومن ذلك يتضح لنا أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] ساعة أن أخذ بالأسباب وترك النتائج لله ـ عز وجل ـ أيده الله تأييداً مطلقاً ونصره نصراً مؤزراً وكفاه كيد أعدائه.

الهجرة رمز للتضحية بالنفس والمال:

وتعلمنا الهجرة أن نضحى في سبيل الله بأنفسنا وأهلينا وأموالنا كما ضحى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وصحابته الذين خرجوا من بيوتهم في سبيل الله وأرواحهم على أكفهم يطلبون النصر أو الشهادة.

وأمامنا كثير من الأمثلة التى تدل على ذلك فها هو ذا الصديق أبو بكر يحتمل معه ماله كله ـ وكان مقداره خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم كما روى ابن إسحاق والإمام أحمد.

هذه تضحيته بماله أما تضحيته بنفسه فتتمثل في سيره تارة أمام الرسول [صلى الله عليه وسلم] وأخرى خلفه وقد سأله الرسول عن سبب ذلك فقال: «أخاف الطلب فأكون أمامك وأخاف الرصد فأكون خلفك» وتتمثل تضحية أبي بكر بنفسه أيضاً في دخوله الغار قبل رسول الله حتى يتأكد من خلوه مما يؤذى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قائلا له: «يا رسول الله إننى إن مت فأنا فرد واحد وأما إن مت أنت فإن موتك موت أمة» وإن تضحية أبى بكر بأهله لتظهر واضحة حينما يجند ابنه عبد الله وابنته أسماء للخدمة ويقومان بذلك على أكمل وجه.

وإن الامام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ليضرب لنا أروع أمثلة التضحية حينما يقبل على نفسه أن ينام مكان رسول الله مرتدياً رداءه حتى يتوهم الكفار أن الرسول موجود في بيته، إنها لتضحية بالنفس ما بعدها من تضحية. فما أحوجنا الى أن نتأسى بهؤلاء الناس الذين باعوا الدنيا واشتروا الآخرة مستجيبين لقول الله تعالى: **[إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة]** (التوبة/ ١١١).



المهاجرون .. رجال صدقوا

إذا تتبعنا الآيات التى تحدثت عن المهاجرين لوجدنا أدق تصوير لهؤلاء الرجال .. انهم حملوا أعباء الدعوة في مهدها وهي أشد ما تكون حاجة الى الرجال الذين يتفانون في العطاء والصمود في مواجهة المحن التى تعرض لهم والفتن التى تواجههم .. والصدق هو الأساس في أى وصف يصلح لهذه الفترة بالذات .. الصدق في نصرة الله ورسوله، والتضحية في سبيله بكل مرتخص وغال، والثبات على العقيدة في كل حال مهما واجهوا من ايذاء واضطهاد، وقد أثنى الله عليهم في آيات تتلى على مر الدهور وقدمهم مثالا يحتذى به كل صاحب حق يهان في سبيل حقه وكل متمسك بدينه حريص على خدمته.

إنهم صدقوا في هجرتهم وحسن توجههم الى الله وحده يرجون رحمته **{إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله}** (البقرة/ ٢١٨).

وصدقوا في خروجهم ابتغاء مرضاته ونصرة لدينه **{للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون}** (الحشر/ ٨).

إنهم هجروا الأوطان التى فيها نشأوا وعلى أرضها درجوا وتحملوا في سبيل ثباتهم على الدين ألوان العذاب. وجمعوا مع هذه الفضائل قتالهم في سبيل الله وجهادهم بأموالهم وأرواحهم. فجمعوا كل أرجاء الفضيلة فأجزل الله عطاءهم وأعلى درجاتهم: **{الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون}** (التوبة/ ٢٠).

وكافأهم الله على ما لاقوا من أذى في سبيله، تكفير السيئات وجنة النعيم **{فالذين هاجروا وأُخْرِجُوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا**

بقلم : **عاطف شحاته زهران** - مصـر

لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب} (آل عمران/ ١٩٥).

ومع ما أعده الله لهم في الآخرة من عظيم الثواب وكريم العطاء لم يحرمهم خيرات الدنيا وحسناتها فوعدهم في الدنيا رزقاً حسناً **{والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين}** (الحج/ ٥٨).

وإن كانت النعمة هنا محددة بالرزق فهى في موضع آخر عامة لكل حسنة في الدنيا **{والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون}** (النحل/ ٤٠).

قيل: الحسنة هي المدينة، وقيل هي الرزق الطيب فإنهم تركوا لله فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا، فمكن لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء وحكاماً وكل منهم للمتقين إماماً.

روي أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل. ثم قرأ هذه الآية[١].

صدق المحبة لله ولرسوله:

كان الحافز وراء كل تضحياتهم هو الحب الصادق.. لله ولرسوله وللدين الحنيف الذى وجدوا فيه بغيتهم وصلاحهم وعزتهم، ولما صدقوا في هذه المحبة تعلقت آمالهم بالغد المرتقب والمستقبل الزاهر للدعوة، وأثمرت المحبة ثمارها وحفظ لنا التاريخ مواقف كثيرة تُرينا وَضَاءة وطُهْراً لا مثيل لهما على مر الدهور.

دنا عتبة بن أبى ربيعة من أبى بكر فجعل يضربه بنعليه حتى ما يعرف وجهه من أنفه وحملته بنو تيم في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ثم تركوه وقالوا لأمه: أطعميه شيئا، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فقالت: لا علم لي بصاحبك. فقال: اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه. فذهبت اليها فجاءته أم جميل فلما رأت أبا بكر صريعا صاحت: والله إن قوما فعلوا بك

ذلك لأهل فسق وكفر وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم. فقال: ما فعل رسول الله؟ قالت: سالم صالح في دار ابن الأرقم. فقال: إن لله عليَّ ألا أذوق طعاما ولا شرابا أو آتي رسول الله[٢].

فهل هناك محبة فوق تلك؟ وهل يبقى وراء ذلك دليل على صدق هذه المحبة وعمقها؟.

إن الرجل إذا أحب من هو مثله أو أعلى منه فأساس هذا الحب تفتح قلبه لخلال النبل التى خص بها وعظمة المواهب التى ميزه بها القدر.. وعشاق المبادىء المجردة ما إن يجدوا رجلها المنشود حتى يحيطوا به وتلمع عيونهم حبا له أى حباً للمبادىء التى حييت فيه وانتصرت به[٣].

لقد صار هذا الحب مضرب المثل ومثار إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء. وكان سر انتصاراتهم الرائعة ومبعث التضحيات الغالية، وبه انطلقوا سهاما صائبة في قلوب أعدائهم حين أيقنوا أن عزتهم في الدنيا وسعادتهم في العقبى مرتهنة بهذا الحب وتلك التضحيات، صدقوا في المقدمات فصدقت النتائج وقدموا أرواحهم وأموالهم فجنوا نصرا ورفعة.

إنهم صبروا في البأساء والضراء:

تنزلت الآيات المجيدة في تلك المرحلة الخطيرة - مرحلة التكوين والإعداد - توصى بالصبر وتحكى قصص السابقين من المرسلين وأتباعهم وتصور ما لاقوه من عنت المكذبين والمشركين.. فكانت هذه الآيات والمواقف دليلا على الطريق تقوي البناء وتضاعف اليقين في نصر الله وظهور الدين.

قال سبحانه {**ولقد كُذِّبتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مُبَدِّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين**} (الأنعام/ ٣٤)، وقال: {**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**} (الأحقاف/ ٣٥)، وقال: {**واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا**} (المزمل/ ١٠).

وجاءت قصة أهل الكهف وأصحاب الأخدود ومؤمن آل فرعون وغيرها لتثبت المستضعفين وتقيم لهم الحجج العديدة على الصراع الابدى بين الحزبين. وهو صراع قديم قدم النبوات وقائم ما كان هناك للحق رجال يصدعون به ويعيشون له ويبذلون من أجله.. فكانت هذه الآيات معينا قويا في مواجهة التحديات الكثيرة التى تحيط بهم من كل ناحية.

لقد لاقوا العذاب صنوفا ولكنهم كانوا أشد من الجبال رسوخا، وكلما اشتد الأعداء عليهم في الإيذاء كلما زادهم ذلك صبرا واحتمالا لاعتقادهم أن



الابتلاء يجيء على قدر صلابة الدين صقلا للنفوس وتمحيصا للدين. قال ابن عباس: كانوا يجيعون أحدهم ويعطشونه ويضربونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر حتى يقولوا له: اللات والعزى إلاهك من دون الله، فيقول: نعم:[٤].

ويتلقى بلال سياط المشركين على صدره العارى وهو يقول: أحد.. أحد. وكم تمنوا أن ينهار تحت وطأة لهيب سياطهم فإذا بكلماته تصفعهم على وجوههم وتقدم لهم أصدق البرهان على قوة الإيمان وصدق الاتباع، فلجأوا الى وسيلة أخرى ربما أجدت في زعزعة ذلك اليقين ووقف هذا التيار الذى بدا يتنامى لدرجة تفزع أهل مكة فقرروا محاصرة المسلمين في شعب أبى طالب.. لا يتعامل معهم أحد ببيع أو شراء أو نكاح. ظانين أن ذلك قد يعجل بالقضاء على هذه الجماعة. ودامت تلك المقاطعة سنوات ثلاث واجه فيها القوم صعاباً تحطم الظهور حتى سمعت أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشِّعب وبلغ منهم الجهد مبلغه. فكان الصبر وحده هو السلاح الذى لا يفل. وكان الإيمان هو النور الذى لا يخبو.

قواعد البناء:

وإنك لتعجب أشد العجب حين تطالع سيرهم وتتصفح تاريخهم من هذا الصمود الذى لا مثيل له إلا عند أصحاب النبي البررة الذين تربوا على يدى النبى {صلى الله عليه وسلم} القائد والداعى الأريب الذى راعى أن يقيم البناء على أسس متينة منها:

أولا: الإيمان بالله وحده.

فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش وصاحب هذا الإيمان المحكم يرى متاعب الدنيا مهما كبرت واشتدت في جنب ايمانه طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة والقلاع الحصينة فلا يبالى من تلك المتاعب[٥].

ثانيا: قيادة تهوى إليها الأفئدة.

لقد ظلت الأمة على مدى العصور تعظم سيرة النبي الكريم فإن هذه السيرة بكل ما فيها من عناصر العظمة والعبقرية الإنسانية تحمل الرسول في ضمائر المسلمين ومشاعرهم وعقولهم محل الزعامة والقيادة التى لا تدانيها أية قيادة وزعامة[٦].

فقد حل من أصحابه محل الروح والنفس وشغل منهم مكان القلب والعين فكان الحب الصادق يندفع إليه اندفاع الماء الى الجذور. وكان من أثر

هذا الحب أنهم كانوا ليرضون أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر أو يشاك بشوكة[٧].

ثالثا: الشعور بالمسئولية:

فقد كان الصحابة يشعرون شعوراً تاماً بالمسئولية الملقاة على كواهلهم وأنه لا يمكن الحياد أو الانحراف عنها بحال. فالعواقب التى تترتب على الفرار من تحملها أشد ضرراً عما هم فيه من الاضطهاد. وكان الإيمان باليوم الآخر مما يقوي هذا الشعور بالمسئولية. فقد كانوا على يقين جازم بأنهم محاسبون على أعمالهم صغيرها وكبيرها. وكانوا يعرفون أن الدنيا بنعيمها وعذابها لا تساوى جناح بعوضة في جنب الآخرة فكانت هذه المعرفة تهون عليهم متاعب الدنيا ومرارتها.

رابعا: كان القرآن الكريم يتنزل في هذه الفترات العصيبة ليقيم الحجج والبراهين على مبادىء الإسلام - التى كانت الدعوة تدور حولها - بأساليب منيعة خلابة وترشد المسلمين الى قدرة الله التى يتكون عليها أعظم مجتمع بشرى في العالم وهو المجتمع الإسلامى وتثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد[٨].

قال تعالى: **{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}** (البقرة/ ٢١٤).

وقال: **{أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}** (العنكبوت/ ٢ ، ٣).

أدرك السابقون الى الإسلام عظمة الرسالة وحاجة العالم كله إليها لتمحو جهالته وتبدد ظلمته وتنشر فيه الحق والخير والمساواة والإخاء. فالإسلام سيقود الناس الى مرضاة رب العالمين وسيخرجهم من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن جور الانسان الى عدالة الإسلام ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة.

وكان هذا الإحساس وتلك الثقة ملازمين لهم دائما حتى في أحلك الظروف. ففي طريق النبي من الطائف بعد أن صده أهلها وانصرف الى مكة محزونا فسأله مولاه زيد بن حارثة: كيف تدخل مكة وقد أخرجوك؟ يعنى قريشا. قال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا[٩].

لقد نبأهم الله بما كان وما سيكون فقال: **{لتُبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**



وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} (آل عمران/ ١٨٦)، لقد واجه المستضعفون الاضطهاد بصبر جميل ويقين لا يلين وسجل القرآن شعارهم الذي رفعوه في وجه الاستكبار والمعارضة بقولهم: **{ولنصبرن على ما آذيتمونا}** (ابراهيم/ ١٢).

قال نفر من الصحابة الأبرار: ما كنا نعد إيمان الرجل ايمانا إذا لم يصبر على الأذى.

وقال الإمام الغزالي: فالصبر على أذى الناس أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا.

آمال غالية .. هل تتحقق ؟

إنهم صدقوا ومضوا على المنهج القويم فأعزهم الله من ذلة وأغناهم من فاقة ووسع عليهم من ضيق وخرجوا من مكة أو تخرجوا منها رجالا أغلى أمانيهم أن يجيبوا داعي الله وكلهم شوق إلى خدمة دينهم وإعلاء رايته ووجدوا في يثرب رجالا فتحوا لهم صدورهم وبذلوا لهم حبهم فاجتمعوا على حب لا نظير له وصدق ما أحوجنا الى مثله. وآمالنا كبيرة في أن يبعث الله فينا هذه الأرواح ويمنحنا قلوبا كتلك القلوب وصدقا يكافىء ذلك الصدق أو يقاربه لتنهض الأمة من كبوتها.

ونصدح مع إقبال شاعر الإسلام بهذا الأمل قائلين:

قال هبى أنت يا روح العرب
فلدى الأسلاف في ماضى الحقب
أوقدى في القلب نارا أخمدت
ارجعى أيام دنيا ضيعت
وادى البطحاء أنجب خالدا
نشتهى التوحيد فيك غردا
أمة الاسلام يا سود الجلود
منكم أستاف عطرا للخلود

رضي الله عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

الهوامش :

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢، ص ٥٧٠.
(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، جـ ٢ ، ص ٣٨.
(٣) فقه السيرة، محمد الغزالي ص ٢١٤.
(٤) فتح البارى للعسقلاني جـ ٧، ص ٢٠٣.
(٥) الرحيق المختوم للمباركافورى، ص ١١٦.
(٦) خطرات نفس مسلمة، عبد الحميد الكاتب، ص ٣١.
(٧) الرحيق المختوم ، ص ١١٨.
(٨) نفسه ، ص ١١٩.
(٩) زاد المعاد لابن القيم، جـ ٢، ص ٤٧.



دروس عسكرية من الهجرة النبوية

جاءت الهجرة النبوية في حقيقتها اعلاء لكلمة الله، وتحقيقا وتنفيذا لوعده وسنته، فبعد ان لاقى الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وصحابته الكفر والتكذيب والتعذيب من قريش أذن الله لرسوله بالهجرة الى يثرب.. فكان حدثاً غيّر مجرى التاريخ، وهنا نتوقف عند بعض الدروس العسكرية التي ظهرت في تحركات سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام.

الحيطة والحذر وأخذ أقصى درجات السرية والكتمان:

وتظهر هذه السمات بشكل جلي في اغلب مواقف الهجرة، ويلاحظ هذا بيسر وسهولة في أوامر الرسول {صلى الله عليه وسلم} لاصحابه حيث طلب منهم الهجرة مختفين ومتفرقين ما استطاعوا لذلك سبيلا، وذلك لضمان سلامتهم وعدم وقوعهم في ايدي أعدائهم.

خبر الهجرة كتمه الرسول {صلى الله عليه وسلم} عن اقرب الناس اليه، وكان ينتظر أوامر الوحي، وعندما جاءه الامر بالتحرك ذهب عليه السلام ليخبر الصِّديق في وقت كان لا يأتيه فيه (وقت القيلوله) مما آثار دهشة أهل الصِّديق، وقد اختار ذلك الوقت ليكون في مأمن من انظار وعيون أي مراقبين لتحركات الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ويظهر حيطة وحذر الرسول {صلى الله عليه وسلم} حين تحدث لابي بكر الصديق طالباً منه ان يخرج من كان عنده ليخبره بخبر الهجرة، يقول ابن هشام[١] «تقول ام المؤمنين عائشة حتى اذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالهاجرة، أتاه في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه ابو بكر، قال: ما جاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وليس عند ابي بكر إلا أنا واختى اسماء بنت ابي بكر، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: أخرج عني من عندك؛ فقال: يارسول الله، انما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأمي! فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج

بقلم : أحمد عودة محمود - الاردن

والهجرة. قالت: فقال ابو بكر: الصحبة يارسول الله؛ قال: الصحبة» ويلاحظ من تصرفات الرسول {صلى الله عليه وسلم} انه كتم اسرار تحركه ولم يطلع عليها الا من لهم صلة ماسة ولم يتوسع في اطلاعهم الا بقدر العمل المنوط بهم.

اطاعة الاوامر واجبة على الجند للقادة:

من أهم سمات العسكرية الناجحة اطاعة الجنود لاوامر القادة في ساعات الشدة والرخاء لا فرق، فكثيرا ما هزمت الجيوش نتيجة تجاهل الجنود لأوامر قادتهم، ها هو الرسول {صلى الله عليه وسلم} يطلب من الجندي علي بن ابي طالب ان ينام في فراشه، ويتغطى ببردته ليلة خروج الرسول من بيته وفتيان قريش تتربص على باب بيته لقتله، أما علي فقد نفذ الامر دون جزع او خوف او جدال بالرغم من الخطر الكبير الذي يمكن ان يلحق به من ذلك العمل، يذكر ابن هشام[٢] تلك الواقعة: «.. فلما رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكانهم قال لعلي بن ابي طالب: نم على فراشي وتسجّ ببردي هذا الخضري الاخضر، فنم فيه، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم».

كما استجاب ابو بكر الصديق (الجندي) لأمر النبي {صلى الله عليه وسلم} القائد بالرغم من فكرة الهجرة بشكل منفرد بالنسبة لابي بكر هي اكثر أمنا وسلامة، ولكنها الطاعة المطلقة من الجندي المؤمن لقائده!، يقول ابن هشام[٣]: «... وكان ابو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الهجرة، فيقول له رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر ان يكونه».

التمويه وتضليل العدو :

من اهم فنون الحرب الحديثه التمويه وتضليل العدو بمختلف الوسائل والسبل، وقد تجلت العسكرية الاسلامية في الهجرة، ها هو النبي {صلى الله عليه وسلم} يضلل القرشيين حين نام علي بن ابي طالب مكان النبي {صلى الله عليه وسلم}، حتى صاروا يحسبون ان علياً هو النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ومن اساليب التمويه التى اتبعت في الهجرة خروج الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر من كوة في ظهر بيت أبي بكر لان مراقبة البيت تكون اكثر ما تكون على حركة الداخل والخارج من الباب الرئيسي للبيت.. والخروج بهذا الشكل فيه تضليل وافشال لاحتمالات العدو وتخطيطه.

كما تحرك موكب الرسول {صلى الله عليه وسلم} باتجاه غار ثور وهو في اتجاه مضاد لطريق المدينة (شمال مكة)، وجبل ثور جبل شديد الوعوره كثير الحجاره ويبعد عن مكه نحو ثمانيه كيلومترات، وفي هذا التحرك تضليل للعدو المطارد الذي أول ما يتبادر لذهنه أن يطارد النبي {صلى الله عليه وسلم} في الطريق المتجهة صوب المدينة مباشرة.

وفي غار ثور مكث الرسول {صلى الله عليه وسلم} وصاحبه ثلاثة ايام حتى سكن الطلب عليهما، ثم سلكا طريقاً باتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجها

غرباً باتجاه الساحل حتى وصلوا الى طريق بعيد عن الانظار لا يسلكه احد الا نادرا، على مقربة من شاطىء البحر الاحمر، وسلوك مثل هذه الطريق تفويت على المطاردين وامعانا في تضليلهم، وكان دليل هذه الرحلة عبد الله بن أريقط.

ومن الدروس العسكرية الهامة التي اتبعها الرسول في هجرته اخفاء الأثر عن العدو، فقد كان راعي ابي بكر (عامر بن فهيره) يعود في كل مساء في اعقاب عبد الله بن ابي بكر، كي تطمس حوافر الاغنام على خطوات الرجال. فمن المعلوم ان عبد الله بن ابي بكر كان ينقل اخبار مكة للنبي {صلى الله عليه وسلم} في الغار كل مساء.

اتخاذ العيون والاستخبارات:

للاستخبارات دور هام في معرفة تحركات واخبار العدو، وقد ظهر ذلك بشكل جلي في حادثة الهجرة النبوية.. فكان عبد الله بن ابي بكر يجلس في نوادي قريش ويسمع اخبارها وتحركاتها، وما تخططه لمطاردة النبي {صلى الله عليه وسلم}، ولم يكن عبد الله بن ابي بكر يترك شارده أو وارده الا وكان يزود بها القيادة (النبي) {صلى الله عليه وسلم} في الغار، وكان عبد الله يخرج من مكة وقت المساء ويقدم ما لديه في الغار ويبقى في الغار حتى وقت السحر، وتكمن اهمية هذه الخطوة في انها تبقي القيادة على خبرة ودراية تامة بواقع الامور وما يدور حولها، وليست معلوماتها مبنية على تخمين أو حدس يخطىء ويصيب.

تأمين التموين والعتاد:

من اهم المستلزمات العسكرية الواجب توفرها عند حركة الجيوش وجود وسائل نقل كافية ومناسبة، وتأمين التموين بشكل مستمر وكاف، فها هو ابو بكر الصديق يجهز راحلتين في داره ويعلفهما استعداداً للرحلة، يقول ابن كثير[٤] «فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط[٥] - اربعة اشهر».

اما تموين الرحلة (نقل الطعام) فكان يتم عن طريقين؛ طريق راعي ابي بكر عامر بن فهيره، يقول ابن هشام[٦] عن عامر «يرعى في رعيان أهل مكه، فاذا أمسى اراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا»، اما الطريق الثاني لنقل الطعام الى النبي وصاحبه فكان عن طريق اسماء بنت ابي بكر، حيث كانت تزودهم بزاد خاص معد للرحلة الطويلة للمدينة المنورة.

الاستفادة من خبرة العدو والكفار:

وقد برز هذا الموقف بشكل جلي في حادثة الهجرة حين استأجر الرسول {صلى الله عليه وسلم} عبد الله بن اريقط وكان مشركا، في حين كان دليلا ماهراً بارعاً استطاع ان يرشد الرسول {صلى الله عليه وسلم} الى طريق آمنة بعيدة عن كل المطاردين، فمن هذا الاختيار يتبين انه لا مانع من الاستفادة من خبرة الكفار طالما انهم مأمونو الجانب ولا ينقلون الاخبار للمشركين.

الأخذ بالاسباب لا يكفي فلابد من التوجه الى الله بالدعاء والتبتل:

قال تعالى: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم}[٧]، استكمل الرسول {صلى الله عليه



وسلم} كافة استعداداته للرحلة وأخذ كافة الاسباب الممكنة والمتاحة، وقد تجلى نصر الله على نبيه في لحظات حاسمة من الهجرة؛ ومن هذه اللحظات لحظة خروج النبي {صلى الله عليه وسلم} من بين المشركين المترصدين لقتله عند باب بيته، يصف ابن هشام[٨] تلك اللحظه «... وأخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من سورة يس «يس، والقرآن الحكيم، انك لمن المرسلين، على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم» الى قوله «فاغشيناهم فهم لا يبصرون» حتى فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من هؤلاء الآيات، لم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه التراب، ثم انصرف الى حيث أراد ان يذهب».

اما اللحظة الثانية التى تجلى فيها نصر الله لنبيه {صلى الله عليه وسلم} فكانت حين أعمى الله أبصار المشركين حين وقفوا على اعتاب غار ثور، وسمع الرسول {صلى الله عليه وسلم} وصاحبه اقدام المشركين تخفق من حولهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث النبي {صلى الله عليه وسلم}: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فأجابه عليه الصلاة والسلام «يا ابا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[٩].

من اللحظات المشهودة في رحلة الهجرة لحظة لحوق سراقة بن مالك ـ طمعاً في الحصول على الجائزة ـ فحين وصل سراقة للنبي وصاحبه، مُنع وحيل بينه وبين الامساك بهم، تعثرت فرسه بقدرة الله تعالى.. ويرجع سراقة لقريش مخفيا ما حصل معه، وحاصلا على وعد بالامان وسواري كسرى[١٠].

وتبقى الهجرة نبراساً تهتدي به الاجيال، والسعيد من اعتبر واستفاد منها، يقول منير محمد الغضبان[١١]: وما أمرنا نحن وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة ان لا تغيب عنا هذه الجوانب الثلاث:

أولا: علينا ان نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة في التخطيط البشري.

ثانيا : ان يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الاسباب.

ثالثا : أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا ونطمئن الى انه خير للاسلام والمسلمين.

الهوامش :

(١) السيرة النبوية ج٢، ص ١٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٤) البداية والنهاية، ج٣، ص ١٨٤.

(٥) السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها.

(٦) المصدر الاول ص ١٣٠.

(٧) آية ٧ من سورة محمد {صلى الله عليه وسلم}.

(٨) المصدر الاول ص ١٢٧.

(٩) متفق عليه.

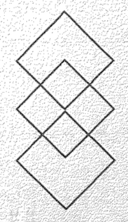
(١٠) القصة مشهورة في اغلب كتب السيرة.

(١١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ١٩٩.



القصص النبوي

قصة نوح (عليه السلام)



(الحلقة الثانية)

دعوة نوح - عليه السلام - :

نستطيع أن نقف على دعوة نوح - عليه السلام - من خلال نصوص القرآن الكريم والقصص النبوي، لأن دعوة النبيين واحدة، والإسلام مصدق لما قبله من الكتب: **{نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل، من قَبْل هدى للناس وأنزل الفرقان}** (١) وقوله: **{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه، كَبُر على المشركين ماتدعوهم إليه، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب}** (٢).

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : **{إن أجْرِي إلا على الله وأمرتُ أن أكون من المسلمين}** (٣) أى وأنا ممتثل ماأمرت به من الإسلام لله - عز وجل - والإسلام هو دين الأنبياء جميعا، من أولهم إلى آخرهم وان تنوعت شرائعهم، وتعددت مناهلهم، كما قال تعالى: **{لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}** قال ابن عباس: سبيلا وسنة، فهذا نوح يقول : **{وأمرت أن أكون من المسلمين}** وقال الله تعالى عن إبراهيم الخليل: **{ إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يابَنِىَّ إنَّ اللهَ اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون}** وقال يوسف: **{رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين}** وقال موسى **{ ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين}** وقال السحرة : **{ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين}** وقالت بلقيس : **{رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}** وقال الله تعالي : **{إنا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا}** وقال الله تعالي : **{وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون}** وقال الله تعالي على لسان خاتم الرسل وسيد البشر - صلى الله عليه وسلم - : **{إن صلاتى ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}** أى من هذه الأمة، ولهذا قال فى الحديث الثابت عنه: (نحن معشر الأنبياء أولاد علات، وديننا واحد) أى وهو عبادة الله وحده لاشريك له وإن تنوعت شرائعنا، وذلك معنى قوله: أولاد علات، وهم الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة

- مصـــر -

فرسالة نوح - عليه السلام - جاءت لتقيم الملة السمحاء التي كان الناس عليها منذ خلق الله آدم - عليه السلام - حتى أحدث الناس عبادة الأصنام على النحو الذي أشرنا إليه.

ومن أبرز معالم رسالة نوح - عليه السلام - قوله لقومه: **{اعبدوا الله مالكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم}** (٤) وقوله: **{أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم}** (٥) وقوله: **{ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، أفلا تتقون}** (٦) وقوله: **{ياقوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون}** (٧) وقوله: **{وقد خلقكم أطوارا}** (٨) وكان رد كبرائهم وسادتهم والمترفين: **{إنَّا لنراك في ضلالٍ مبين. قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين. أبلّغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون. أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون. فكذبوه}** (٩) وقال لهم: **{ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولاتنظرون. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين}** (١٠) وكان رد قومه: **{مانراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين}** (١١) **{فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا في شك مما تدعوننا إليه مريب}** (١٢) ودعوة نوح - عليه السلام - إلى جانب توحيد الله، إفراده بالعبادة والطاعة والتقوى: **{ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين. إن هو إلا رجل به جِنّة فتربصوا به حتى حين}** (١٣) وقوله تعالى: **{ اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. فاتقوا الله وأطيعون. قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون. قال وما علمي بما كانوا يعملون. إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين. إن أنا إلا نذير مبين}** (١٤) ودعوة نوح - عليه السلام - كدعوة الإسلام إنذار وتبشير، ودعوة إلى عبادة الله وتقواه وطاعته، ومن يلتزم بأمر الله له السعادة في الدنيا بسعة الرزق وطول العمر، وإن كثرة التوبة والاستغفار والرجوع الى الله يرسل السماء مدرارا ويزيد في المال والولد والجنات التي تتخللها الأنهار، وفي الآخرة جنات النعيم جزاء ايمانهم بربهم الذي يعيدهم بعد الموت، وأما من لم يلتزم بأوامر الله وكفر بالخالق وأشرك في عبادته، فإنه سيلقى جزاءه في الدنيا والآخرة **{إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. قال ياقوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون. قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا. ثم إني دعوتهم جهارا. ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا. مالكم لاترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا}** الآيات (١٥). مما يكشف معاناة نوح - عليه السلام - مع قومه مما جعله من أولي العزم.

وجاء فى القصص النبوى عن وهب[١٦] بن منبه عن ابن عباس، وعن وهب عن الحسن عن سبعة رهط شهدوا بدرا كلهم روى الحديث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله - عز وجل - يدعو نوحا وقومه يوم القيامة أول الناس، فيقول: ماذا أجبتم نوحا؟ فيقولون: مادعانا وما بلغنا وما نصحنا ولا أمرنا ولا نهانا، فيقول نوح: دعوتهم يارب دعاء فاشيا فى الأولين والآخرين أمة بعد أمة حتى انتهى إلى خاتم النبيين أحمد فانتسخه وقرأه وآمن به وصدقه، فيقول الله للملائكة: ادعوا أحمد وأمته، فيأتى رسول الله وأمته يسعى نورهم بين أيديهم، فيقول نوح لمحمد وأمته: هل تعلمون أنى بلغت قومى الرسالة واجتهدت لهم بالنصيحة، وجهدت أن استنقذهم من النار سرا وجهرا، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا، فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمته: فإنا نشهد بما أشهدتنا به، إنك فى جميع ماقلت من الصادقين، فيقول قوم نوح: وأنى علمت هذا ياأحمد أنت وأمتك آخر الأمم، فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أرسلنا نوحا إلى قومه - قرأ السورة حتى ختمها - قالت أمته نشهد إن هذا لهو القصص الحق، فيقول الله - عز وجل - عن ذلك: امتازوا اليوم أيها المجرمون، فهم أول من يمتاز النار).

وفى القصص النبوى عن البخاري[١٧] عن أبى سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى : هل بلغت؟ فيقول: نعم أى رب. فيقول لإمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبى. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته، فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله - جل ذكره : **{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس}** [١٨] والوسط العدل) وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى قال: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله - جل ذكره - **{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}** والوسط العدل) وعنه أيضا قال: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم يارب. فتسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون:ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون. ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **{وكذلك جعلناكم أمة وسطا - قال: عدلا - لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا }** .

وجاءت هذه القصة فى سند الإمام أحمد[١٩] عن أبى سعيد الخدرى قال (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعى نوح - عليه السلام - يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم: فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد. قال: فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فذلك قوله: **{وكذلك جعلناكم أمة وسطا}** والوسط العدل، قال: فيدعون فيشهدون له بالبلاغ، قال: أشهد عليكم) .

وجاء فى القصص النبوي . أن نوحا - عليه السلام - بلغ قومه الرسالة على خير وجه، ونصحهم وحذرهم من كل المخالفات والفتن التى ستقع لهم. روى البخارى عن ابن عمر[٢٠] - رضى الله عنهما - قال: (قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إنى لأنذركموه، وما من نبى إلا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكنى أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور) وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبى قومه: إنه أعور، وأنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هى النار، وإنى أنذركم كما أنذر نوح قومه) .

مدة دعوة نوح - عليه السلام -

إذا صح أن الله سبحانه وتعالى بعث نوحا -



عليه السلام – وهو ابن أربعين، وأنه ركب السفينة وهو ابن ستمئة سنة، فإن عمر دعوته يزيد عن خمسمئة وخمسين عاماً، ولكن الأقوال فى ذلك كثيرة، من أهمها ما جاء فى طبقات ابن سعد[٢١] : (لم يكن فى ذلك الزمان ينهى عن منكر، فبعث الله نوحا إليهم وهو ابن أربعمئة وثمانين سنة، ثم دعاهم فى نبوته مئة وعشرين سنة، ثم أمره بصنعة السفينة فصنعها وركبها وهو ابن ستمئة سنة، وغرق من غرق، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمئة وخمسين سنة) وقيل[٢٢]: (كان نوح يخرج فى كل يوم فى أندية لقومه، يدعوهم إلى عبادة الله تعالى فيضربونه حتى يغشى عليه، ويجرون برجله فيلقونه على المزابل، فإذا أفاق عاد إليهم بمثل ذلك، ويعاملونه بمثله، حتى أتى عليه ثلاثمئة سنة وهو على هذه الحال حتى مات ملكهم .. وكان نوح يدعوهم فى القرن الرابع على عادته، فيضربونه ويشتمونه، وربما سفوا عليه التراب، ويقولون: إليك عنا ياساحر ياكذاب .. ثم دعاهم حتى استكمل ستة قرون، فلما دخل القرن السابع مات ملكهم ..) ويقول ابن كثير[٢٣]: (ويزعم أهل الكتاب أن نوحا – عليه السلام – لما ركب السفينة كان عمره ستمئة سنة – وقدمنا عن ابن عباس مثله، وزاد وعاش بعد ذلك ثلاثمئة وخمسين سنة – وفى هذا القول نظر، فإن القرآن الكريم يقتضى أن نوحا مكث فى قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك .

فإن كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس، من أنه بعث وله أربعمئة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمئة وثمانين سنة) .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن عائشة قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (كان نوح مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة) – وسيأتى بتمامه إن شاء الله .

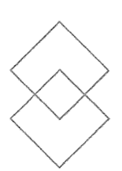
والقصة صريحة أنه مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم بدأ فى الاستعداد لصناعة السفينة بزرع الشجر، ثم صناعة السفينة، ولا شك أن ذلك استغرق وقتا طويلا. مما لايمنع أن دعوته لقومه استمرت قرونا طويلة .

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش :

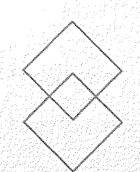
(١) سورة آل عمران آيه ٣ – ٤ .
(٢) سورة الشورى آيه ١٣ .
(٣) سورة يونس آيه ٧٢ .
(٤) سورة الأعراف آيه ٥٩ .
(٥) سورة هود آيه ٢٦ .
(٦) سورة الأعراف آيه ٦٥ .
(٧) سورة نوح آيه ٢ – ٣ .
(٨) سورة نوح آيه ١٤ .
(٩) سورة الأعراف آيه ٦٠ – ٦٤ .
(١٠) سورة يونس آيه ٧١ – ٧٢ .
(١١) سورة هود آيه ٢٧ .
(١٢) سورة إبراهيم آيه ٩ .
(١٣)سورة المؤمنون آيه ٢٣ – ٢٥ .
(١٤) سورة الشعراء آيه ١٠٦ – ١١٥ .
(١٥) سورة نوح آيه ١ – ١٤ .
(١٦) منتخب كنز العمال جـ ٢ ص ٣١ .
(١٧) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٧١ و جـ ٨ ص ١٧١ و جـ ١٣ ص ٣١٦ .
(١٨) سورة البقرة آيه ١٤٣ .
(١٩) جـ ٣ ص ٣٢ .
(٢٠) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٧٠ – ٣٧١ .
(٢١) جـ ١ ص ٤٠ .
(٢٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ١٣ ص ٤٤ .
(٢٣) فتح القدير جـ ٢ ص ٦٢١ .





ولاة البلد الأمين



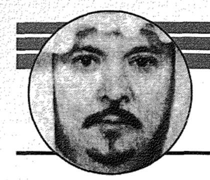


كنا قد توقفنا في الحلقة الماضية أن الأمير محمد بن ابراهيم الامام العباسي كانت مدة ولايته الاولى نحو سبع سنوات وكان عزله في سنة ١٥٨ من الهجرة المباركة بمكة شرفها الله وقدسها وكان في سنتها قد حج أمير المؤمنين المنصور وعزله قبل أن يدخل البلد الحرام فأصبح معزولا وفي بعض أوقاته كان ينوب عنه ابنه :

- ***الأمير ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام العباسي*** - رحمة الله عليه - في امارة الاباطح المكية كما ذكره العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمي القرشي في اتحاف الورى حيث قال عن سنة ١٥٦ من الهجرة الشريفة وفيها كان أمير مكة محمد ابراهيم وكان مقيما بمدينة السلام وابنه ابراهيم بن محمد خليفة بمكة وكان واليه مع مكة والطائف انتهى. وقد ولي الأمير ابراهيم بن محمد امارة المدينة الشريفة منفرداً بها في خلافة أمير المؤمنين الرشيد كما ستأتي ترجمته ولم أتحقق الى متى كانت نيابته عن والده بمكة شرفها الله. وخلفهما الأمير :

- ***ابراهيم بن يحي بن محمد بن على بن حبر الأمة عبد الله بن العباس عم النبي*** ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بن عبد المطلب العباس رحمة الله عليه.

وقد وليها في سنة ١٥٨ للهجرة المباركة بتولية من أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور في شهر ذي الحجة الحرام وكان الأمير ابراهيم بن يحى هذا شاباً حدثا وغلاما أمرداً في وقت توليه للبلاد الحرمية ومع ذلك فقد صلى على جنازة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور بمكة شرفها الله وهو أمير البلد الحرام واستمرت ولايته حتى أواخر سنة ١٦٠ من الهجرة فعزل عنها وخلفه عليها من بعده :



بقلم : السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

- الأمير جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب العباسي الهاشمي- رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٦٠ من الهجرة المباركة بتولية من أمير المؤمنين المهدى رحمة الله عليه وكان اليه أمر الحرمين الشريفين مكة شرفها الله ومدينة سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}. وكانت ولايته خلفا للأمير ابراهيم بن يحى بمكة شرفها الله كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام، وكان الأمير جعفر بن سليمان رجلا عالماً عاقلا فقيها ممدحاً فاضلا وكان أحد الموصوفين بالكرم والشجاعة والفروسية وكانت مآثره كثيرة ويقال إنه أولد أربعين ولداً وأربعين بنتاً ومدحه الشعراء وكيف لا يكون كذلك وقد قيل:

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسانَ إحسانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

وكانت مدة ولايته نحواً من خمس سنوات. فعزل عنها لكبر في سنه وخلفه عليها من بعده:

- الأمير عبيد الله بن القثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب العباسي الهاشمي - رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٦٦ من الهجرة المباركة بتولية من أمير المؤمنين المهدى كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وذكر أنه دامت ولايته حتى أواخر سنة ١٦٩ من الهجرة الشريفة. وتشير بعض الأخبار أنه كان عليها في سنة ١٧٠ من الهجرة الشريفة أيضا وذلك بعد وقعة الفخ هذه الوقعة التى حدثت بمكة شرفها الله في موسم سنة ١٦٩ من الهجرة وكان قائد هذه الواقعة هو الشريف حسين بن على بن الحسن المحض بن الحسن المثنى صاحب ينبع بن الامام الحسن سبط النبي {صلى الله عليه وسلم}. ويلقب الحسين هذا بصاحب فخ وكان قد ثار في مدينة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في اوائل شهر ذى القعدة الحرام في خلافة أمير المؤمنين الهادي واقام بالمدينة نحو أحد عشر يوماً ثم خرج لست بقين من شهر ذي القعدة الحرام وبويع على كتاب الله وسنة رسوله والرضا من آل محمد {صلى الله عليه وسلم} وكان من أسباب خروجه أموراً جرت

فاقتضت خروجه كما قاله العلامة ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية وهي مطولة وشايكة ولسنا بصددها ثم غادر المدينة الشريفة متوجها الى البلد الأمين ونادى به أيما عبد أتانا فهو حر فاجتمع اليه الأعبد والسودان بها، فورد جيش الخليفة من العراق لمقاتلته وعسكروا بذى طوى قرب مكة شرفها الله والتحم الفريقان بمكان يسمى الفخ وهو قرب التنعيم فعرف بصاحب الفخ فقتل بها، وتفرق عنه أصحابه وانتهت آثار هذه الثورة. فلما حملوا رأسه الى الخليفة مستبشرين بقتله بكى أمير المؤمنين الهادى وزجرهم وقال كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم إنه رجل من عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألا إن أقل جزاءكم عندى أن لا آتيكم شيئا كما ذكره الامام المسعودي في مروج الذهب.

وبعد مقتله عاد الأمير عبيد الله بن القثم العباسي كما دلت عليه بعض الأخبار ومن بعده تولى أمراء عديدون في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمة الله عليه وعنهم قال الامام تقي الدين الفاسى في شفاء الغرام: ولي مكة في خلافة الرشيد جماعة ذكرهم ابن الأثير من غير ترتيب في الأسماء ولا في الولاية ولا رفع في أنسابهم ونحن نذكرهم مرتبين في الأسماء ونوضح في نسبهم ما لم يوضحه ابن الأثير ثم سرد الامام الفاسى نحو اثنى عشر اسما وأغلبهم من بنى العباس ولكن جانب الترتيب فيما أعتقد لم يكن بالتحديد وأما الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى رحمة الله عليه ذكر في تاريخه تاريخ الأمم والملوك ستة أشخاص من ولاة البلد الحرام في عهد أمير المؤمنين الرشيد ولعل ذكرهم كان من غير ترتيب أيضاً. ولكن الامام أبا عمرو خليفة بن خياط ذكر في تاريخه بشيء من الترتيب يستأنس به. وكان أمراء الاباطح المكية في عهد أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليه.

- ***الأمير أحمد بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس العباسي الهاشمي*** - رحمة الله عليه.

كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وذكر الامام أبو الوليد الازرقي في أخبار مكة انه كان من بين الشهود الذين أشهدهم أمير المؤمنين الرشيد على كتاب العهد الذى علقه في الكعبة المشرفة سنة ١٨٦ من الهجرة المباركة غير أنه لم يصفه بالامارة لأن الأمير كان في هذه السنة هو الأمير سليمان بن جعفر وكان من ولاة البلد الأمين في هذه الفترة:

- ***الأمير عبد الله بن محمد بن عمران الطليحي التيمي القرشي*** قاضي الحرمين الشريفين - رحمة الله عليه.

تولى إمارة الاباطح المكية في خلافة أمير



المؤمنين الرشيد كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وترجم له في العقد الثمين وذكر الامام أبو الوليد الازرقي في كتابه أخبار مكة أنه أول من أنشأ ظلة للمؤذنين في المسجد الحرام من ولاة مكة شرفها الله وأن المؤذنين قبل ذلك كانوا يجلسون في وهج الشمس ولا سيما في الصيف فكان الأمير عبد الله الطليحي أول من أنشأ هذه المظلة وذكر الأمام الفاسي في العقد الثمين أنه صعد المنبر ليخطب عليه في المسجد الحرام وأن المنبر لم يكن منصوباً بشكل جيد فمال به المنبر فادركه الحرس وأمسكوا به فقال في ذلك أحد الشعراء من موالي الهاشميين:

بكى المنبر الحرمي واستبكت له
منابر آفاق البلاد من الحزن
وحن الى الأخيار من آل هاشم
ومل من التيمي واعتاذ بالركن

وكان قد ولي القضاء عدة مرات وتولى القضاء بالحرمين الشريفين في مكة شرفها الله والمدينة الشريفة كما حكاه العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في كتابه غاية المرام في سلطنة البلد الحرام وعليه فإن الأمير عبد الله كان عالماً فاضلا عاقلا فقيها رحمة الله عليه. وتولي امارة بلد الله الأمين في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد أيضا:

- **الأمير العباس بن محمد بن علي بن ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب العباسي الهاشمي** - رحمة الله عليه.

وكانت ولايته في سنة ١٧٠ من الهجرة المباركة على اكثر تقدير كما ذكره الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه. ولم يحدد الامام الفاسي في شفاء الغرام أي زمن محدد وقد كان جواداً كريماً سخيا عالي الهمة سامي النفس وقد مدحه بعض الشعراء في عصره فقال:

ولو قيل للعباس بن محمد
قل لا وأنت مخلد ما قالها
ما إن رأيت من المكارم خصلة
الا وجدتك عمها أو خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة
كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن السماحة لم تزل معقولة
حتى حلت براحتيك عقالها

وقد خلفه من بعده فيما أعتقد:

- **الأمير سليمان بن جعفر بن سليمان العباسي الهاشمي** - رحمة الله عليه في ولايته الاولى كما ذكره الامام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه ولم يحدد له الامام الفاسي في شفاء الغرام زمنا محدداً.

- للبحث صلة -



الخوف وأبعاده النفسية في القرآن الكريم

الخوف هو أحد الانفعالات النفسية في الإنسان والحيوان ويحدث عند إثارة أحد الدوافع الفطرية أو المكتسبة لديها وهو يضاد الأمن، ويقول علماء النفس: إن أغلب الدوافع الفطرية في الإنسان تصاحبها انفعالات معينة، فالحاجة الى الطعام تثير الشعور بالجوع، ودافع الهرب يلازم انفعال الخوف، ودافع القتال يصاحب انفعال الغضب، والدافع الجنسي يرافق انفعال الشهوة، ودافع الاستطلاع يصاحب انفعال التعجب ويرث الانسان الاستعداد العام للخوف وتجنب الأشياء والمواقف التى تؤذيه وتسبب له الألم أو يتوقع فيها حدوثه، أما الأخطار الفطرية التى تثير دافع الخوف عند الإنسان ومن ثم الابتعاد عن مصادرها وتجنب المواجهة والهرب فهي نوع بدائي وعددها محدود، والخوف من السلوكيات الغريزية في الإنسان والحيوان، وانفعالات الخوف ثابتة لا تتغير في طبيعتها ولكن تتغير شدتها، ولا يبقى عادة السلوك الغريزي ثابتاً وإنما يعاني الكثير من التعديل

بقلم : د . محيي الدين لبنية

مركز الدراسات العليا لطب الأسرة والمجتمع - المدينة المنورة

الى درجة يرى فيها أفراد الجنس الواحد دافعاً غريزياً معيناً بأساليب مختلفة، بعضها مكتسب وآخر مخترع وآخر خاضع للظروف البيئية المتغيرة المصاحبة للتطورات الحضارية في العالم.

في اللغة :

يقول لسان العرب الخوف: الفزع خاف خوفاً ومخافة وخيفة، توقع حلول مكروه أو موت محبوب ويقال خافه على كذا وخاف منه وخاف عليه فهو خائف، والمخاف والمخيف: موضع الخوف ويقال خوف الرجل: إذا جعل فيه الخوف وخوفته: إذا جعلته بحالة يخافه الناس وخوف الرجل: جعل الناس يخافونه، قال تعالى: {**إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم**} (آل عمران/ ١٧٥)، أي يجعلكم تخافون أولياءه، وقال ثعلب: معناه يخوفكم بأوليائه وقال عالم اللغة الشهير الفيروز آبادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، وقيل الخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره وقيل الخوف: العلم بمجاري الأحكام وهذا سبب الخوف لانفسه.

أعراضه الصحية :

يصاحب شعور الحيوانات بالخوف أو تجنب المواجهة ظهور ردود فعل ذاتية للجسم كالتعرق والانكماش وتحريك الحيوان رأسه يميناً ويساراً طلباً للهرب والنجاة، وتحدث هذه الانفعالات في الحيوانات الراقية نتيجة تنبيه منطقة الهيبوثلامس الموجودة في قاعدة الدماغ، فعندما تتهدد حياة الحيوان يحاول عادة الهرب أو يواجه أعداءه، ويستجيب للخوف بعض الغدد الصماء في الجسم لإفراز هرمونات الخوف والمواجهة كالأدرينالين والنورأدرينالين، وكمثال لتفاعلات الخوف ما يحدث للقرود عند رؤيتها الأفاعي لكنها تصبح بعد استئصال الهيبوثلامس منها جراحياً غير خائفة وتقترب منها لتقتلها وقد تأكلها، وتأخذ أعراض الخوف في الإنسان شكلا واحداً أو أكثر مما يلي: زيادة عدد ضربات القلب وشدة توتر العضلات وجفاف في الحلق والفم وظهور عرق بارد وآكال في المعدة ورجفة وشعور بالحاجة الى التبول مرات عديدة والتبول القسري والتبرز القسري والعجز عن التركيز في التفكير وسرعة التهيج والعجز وعدم تذكر تفاصيل ما حدث بعد زوال الخوف وفقدان الشعور بالواقع أي شعور الشخص أن ما يحدث له غير ممكن حدوثه.

في مرحلة الطفولة :

إن الأخطار الفطرية التي تثير دافع الخوف عند الطفل وسلوك الابتعاد وتجنب المواجهة والهرب هي من نوع بدائي وعددها محدود فالطفل خلال

الستة شهور الأولى من حياته يخاف من الضجة والأصوات العالية وتحريك جسمه بسرعة من موضع لآخر وإبعاد ما يستند عليه وهو متكيء أو محمول على شيء ثم يتخلى عنه ومن الحوادث المفاجئة، لكنه لا يخاف من أشياء كثيرة يخشاها الكبار والطفل بفطرته لا يخاف من الظلام أو الموت أو الحيوانات لكن تزداد مخاوفه مع تقدم عمره وتعامله مع من حوله، ويكون السلوك البدائي للطفل عند الخوف على شكل صراخ وبكاء والابتعاد ولو بدرجة بسيطة ومحاولة الهرب، وتظهر عادة التعبيرات المميزة للخوف على وجه الطفل بشكلها الواضح قبل نهاية السنة الأولى من عمره، وتزداد كلما كبر سنه قدراته الحسية وإدراكه للعلاقات بين الأشياء وإمكانية تذكره أحداث الماضي وهذا يجعله يخاف من أشياء لم يكن يخشاها من قبل ويتوقع حدوث الأخطار قبل وقوعها.

تعلم الخوف:

يكتسب الطفل العدد الأكبر من مخاوفه عن طريق التعلم، فمثلا يخاف من الكلاب أو القطط لأن واحداً منها عضه أو حذره الآخرون من الاقتراب منها أو مداعبتها أو رأى مظاهر الخوف منها على وجوه من حوله أو سمع قصة عن أذاها ويتعلم الخوف أيضاً من أشياء ومواقف جديدة مع تقدم عمره كالخوف من الظلام أو رؤية الدم أو من المرض أو من الفقر، كما قد يتعلم عن طريق الاقتران كارتباط شئ مخيف بآخر غير مخيف، ويتعلم الإنسان الخوف عن طريق المحاولات والأخطاء والملاحظة والفهم من الشيء المفاجيء والغريب والمجهول لجهله التصرف بشكل مأمون حيال ذلك، أو لا يتوفر لديه الوقت الكافي لمجابهته، أو أن ذلك الشيء الذي يواجهه ينطوي على احتمال خطر.

أبعاده القرآنية:

ورد الخوف في القرآن الكريم في عدة وجوه كما ذكرها الفيروز آبادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» هي: الخوف علم وتيقن كما فسر قوله تعالى: {**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً**} (النساء/ ١٢٨)، أي علم، وقوله عز وجل: {**فمن خاف من موص جنفاً**} (البقرة/ ١٨٢)، أي علم.

والخوف أيضاً بمعنى القتل والهزيمة وبه فسر قوله تعالى: {**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال**} (البقرة/ ١٥٥)، وبمعنى الحرب والقتال في قوله عز وجل: {**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد**} (الأحزاب/ ١٩) أي إذا انجلت الحرب.

وبمعنى النقص في قوله تعالى: {**ويأخذهم على تخوف**} (النحل/ ٤٧) أي تنقص، وبمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة في قوله عز وجل {**ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً**} (السجدة/ ١٦).

الخوف المحمود:

الخوف المحمود هو الذي يحول بين صاحبه ومعصية الله تعالى فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط ويقول كتاب «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» في ذلك قال أبو عثمان: صدق



الخــوف هو الدرع عن الآثام ظاهراً وباطناً، قــال الأنصـاري الخوف: هو الانخـلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعــة الخـبـر يعني الخـروج من سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد، وأما التخويف من الله فهو الحث على التحرز وعلى ذلك قوله تعالى **{ذلك يخوف الله به عباده}** (الزمر/ ١٦)، قال أبو حفص الخوف: سراج في القلب يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل واحد إذا خفته هربت إليه، وقال ابراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد الدنيا عنه، والخوف بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات، لذلك قيل لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً، والخوف أجلُ منازل السالكين وأنفعها للقلب وهو فرض على كل مسلم قال تعالى **{وخافون إن كنتم مؤمنين}** (آل عمران/ ١٧٥)، وقوله عز وجل: **{إياي فاتقون}** (البقرة/ ٤١)، ومدح الله تعالى أولياءه وأثنى عليهم بقوله **{إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون}** (المؤمنين/ ٥٧).

النهي عن مخافة الشيطان :

نهى الله تعالى المسلمين عن مخافة الشيطان في قوله **{ذلك الشيطان يُخوِّف أولياءه فلا تخافوهمُ وخافون}** (آل عمران/ ١٧٥)، الخيفة: هي الخوف في قوله عز وجل **{واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة}** (الأعراف/ ٢٠٠)، والخيفة: هي الحالة التي عليها الإنسان نتيجة الشعور بالخوف، والتخوف: ظهور الخوف من الإنسان قال الله تعالى **{أو يأخذهم على تخوف}** (النحل/ ١٤٧).

معاني الخوف ومرادفاته:

من معاني الخوف ومرادفاته في الكتاب العزيز: الروع والفزع والرعب والخشية، ويقول عالم اللغة الشهير الفيروز آبادي: الفزع: الذعر والفرق، وربما جمع على الإفزاع وإن كان مصدراً، يقال: فزع بالكسر: خاف، قال تعالى **{وهم من فَزَعٍ يومئذ آمنون}** (النمل/ ٨٩)، والإفزاع والإخافة والإغاثة والتفزيع من الأضداد، يقال فزعه: إذا أخافهُ، وفُزِّع عنهُ: أي كُشف عنهُ الخوف. الوجل محركة: الخوفُ ورجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سطوته وعقوبته أو لرؤيته، وقيل الخوف والخشية والرهبة والوجل: ألفاظ متقاربة المعنى، قال عز وجل **{إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}** (الأنفال/٢)، وقيل الوجل: الفزع والخوف، وجل وجلا بالفتح وجل يوجل وجلا وموجلا: خاف وفزع فهو أوجل ووجل جمع وجال وأوجله: أخافه، والوجس: بمعنى الفزع يقع في القلب من صوت وغيره والوجسان فزع القلب قال تعالى **{فأوجس في نفسه خيفة}** (طه/ ٦٧)، أي أحس وأضمر في نفسه خوفاً، ويقول «المعجم الوسيط» ووجس فلان - يجس وجساً ووجساناً: فزع مما وقع في قلبه أو سمعه من صوت أو غيره، ووجس فلان وجساً: أضمر الخوف، وأوجس فلان: وقع في نفسه الخوف، الخشية: هي الخوف، وخاف من الله: خشيه وهاب منه، وهي صفة المؤمن، وخشي خشية وخشية: خاف وخشي فلاناً ومنه خشياً وخشية، وخشاه خافه، ورهبه - رهباً ورهبة ورهباً خافه ويقال: رهب فلان، أرهب فلاناً: خوفه وفزعه، ورهب فلاناً: خوفه وفزعه.



مفهوم الحياة فى العقل العربي

الثقافة والمفاهيم :

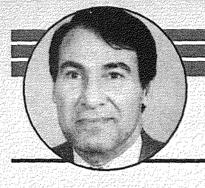
مفهوم الحياة من المفاهيم الأساسية في الثقافات المختلفة، ولكنه يتباين من ثقافة الى أخرى طبقا للمعتقدات الدينية والأساطير والتقاليد والعادات والموروث الفكري. وفي الثقافة العربية، يدخل مفهوم الحياة في علاقة جدلية مع مفهوم الموت، لأن العقل العربي يعتمد ثنائية في الوجود تجسدها اللغة العربية. فنحن نجد في لغتنا ثنائيات لفظية متلازمة لا يذكر طرفها الأول حتى يتداعى الطرف الآخر الى الذهن. ومن هذه الثنائيات : الخالق والمخلوق، الدين والدنيا، الرجل والمرأة، الدنيا والآخرة، البصر والبصيرة، الحياة والموت.

وبسبب هذه الثنائيات المتأصلة في الوجدان العربي فإننا لا نفكر في الحياة إلا ويخطر على بالنا الموت. فالحياة زائلة، والخلود ليس ممكنا لبشر، والموت نهاية كل حي.

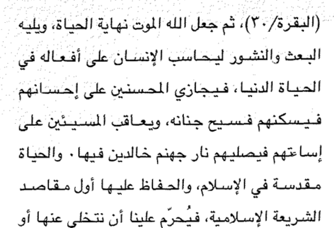
ولأن الحياة تتعلق بوجود الإنسان في الكون، فقد أضحت دراستها والتأمل فيها موضوع اهتمام الفلاسفة والأطباء والأدباء وغيرهم من المفكرين. ولهذا فإن مفهوم الحياة العام يضم مجموع مفاهيم هؤلاء كلهم؛ فهو يضم حدّ الطبيب لها بنبض القلب وحركة الدماغ، كما يضم تفريعات الفلاسفة لأنواع الحياة: حياة نامية وحياة حاسة وحياة ناطقة، أي الجسم والعقل والحس، كما يضم تقسيمات علماء الدين للحياة حين يقسمونها الى جسد وروح أو بدن ونفس، وما الى ذلك من مفاهيم. ومقالنا هذا يتناول الحياة كما تصورّها الثقافة العربية عموما.

سر الحياة :

كثيرا ما يتساءل المرء عن سرّ وجوده وعن ماهية الحياة: كيف بدأت، ولماذ، وكيف تنتهي، وهل كانت لنا حياة سابقة، وهل ستكون ثمة حياة لاحقة؟ ولقد تصدى الدين الإسلامي للإجابة على هذه الأسئلة بصورة واضحة قاطعة، ليضفي على حياة الإنسان معنى وليهبه الطمأنينة والراحة النفسية. فقد شاءت مشيئته سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان ويمنحه العقل للتفكير واللغة للتواصل: {**الرحمن. علّم القرآن. خلق الإنسان. علّمه البيان**} (الرحمن/ ١ - ٤). وجعله خليفة له في أرضه ليَعْمُرها {**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**}



بقلم : د. علي القاسمي - الرباط



(البقرة/٣٠)، ثم جعل الله الموت نهاية الحياة، ويليه البعث والنشور ليحاسب الإنسان على أفعاله في الحياة الدنيا، فيجازي المحسنين على إحسانهم فيسكنهم فسيح جنانه، ويعاقب المسيئين على إساءتهم فيصليهم نار جهنم خالدين فيها. والحياة مقدسة في الإسلام، والحفاظ عليها أول مقاصد الشريعة الإسلامية، فيُحرّم علينا أن نتخلى عنها أو أن نسلبها من الآخرين من دون وجه حق.

فالصورة واضحة تبين بداية الحياة وغايتها ونهايتها. ولكننا نجد أن كثيرا من المثقفين العرب استمر في طرح الأسئلة عن ماهية الحياة حتى بعد ظهور الإسلام. فهل هذا التساؤل من باب **{ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}** (الحجرات/٤)، أم أنه من باب **{قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}** (البقرة/ ٢٦٠).

نحن لا نعرف سرّ الحياة كما لا نعرف سرّ الموت. وهل يمكننا أن نفهم الحياة بعد أن نموت إذا كنا لم نفهمها ونحن أحياء؟ وقد صاغ **الخيام** هذا التساؤل شعرا في إحدى رباعياته التي ترجمها أحمد الصافي النجفي على النحو التالي:

سرُّ الحياة لو أنه يبدو لنا
لبدا لنا سرُّ الممات المبهمُ
لم تعلمنَّ وأنت حيٌّ سرَّها
فغداً إذا ما متَّ ماذا تعلمُ؟!



لقد ظل كثير من شعراء العربية يرددون مقولة صاغها **إيليا أبو ماضي** على النحو الآتي:

جئتُ لا أعلم من أين، ولكني أتيتْ
ولقد أبصرتُ قدامي طريقا فمشيتْ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتْ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لستُ أدري.

هذه اللاإرادية المتعلقة بالحياة ليست مطلقة في الثقافة العربية، فقد أجاب أسئلة إيليا أبي ماضي كثير من الشعراء والأدباء والفلاسفة في ضوء ثقافتهم الدينية أو معتقداتهم الفلسفية.

جبرية الحياة:



إذا كان كثير منهم يختلف مع أبي ماضي حول بداية الحياة وماهيتها، فإن كثيرا منهم - إن لم يكونوا جميعهم - يتفقون معه حول جبرية الحياة. فمنذ ألف عام ونيف تصدى لهذه القضية فيلسوف الشعراء العرب **أبو العلاء المعري**، فأكد أن الحياة ليست من اختيار الإنسان، فنحن نولد ونعيش دون اختيارنا وبلا ارادة منا:

دعا لي بالحياة أخو وداد
رويدك إنما تدعو عليّا

ومـا كـان البـقـاء لي اخـتـيـاراً

لو ان الأمــر مــردود إليّــا

ويشبه بعضهم جبرية الحياة بالقيد، كما فعل **عبد الكريم ثابت**:

أتراه في يديا أم ترى في قـدميـا

ذلك القـيـد الذي يضـحك مني وعليّا

الحياة زائلة :

الحياة لا تدوم. هذه حقيقة معروفة للجميع. فحتمية الموت تضع حدا لديمومة الحياة. وبذلك تمسي الحياة، في أجمل أحوالها، مجرد حلم سرعان ما نفيق منه ولا نحصل منه على شيء، كما يقول الشاعر **البصري ابن لنكنك**، وكان هذا الشاعر قد تكدرت حياته بسبب عدم اهتمام الناس بشعره:

ومــاذا أرجي من حـيــاة تكدرت

ولو قـد صـفت كـانت كـأحلام نائم



وهذا المعنى يتردد كثيرا في الأدب العربي. **فجبران خليل جبران** يقول:

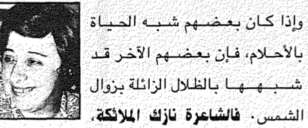
ومـا الحـيـاة سـوى نوم تراوده

أحـــلام من بمراد النفس يأتمرُ

وعلي طه المهندس يقول المعنى نفسه على شكل حوار:

فـقـالت: مـا حـيـاتك؟ قلت: حلمٌ

من الأشــواق أوثر أن أطيله



وإذا كان بعضهم شبه الحياة بالأحلام، فإن بعضهم الآخر قد شبهها بالظلال الزائلة بزوال الشمس. **فالشاعرة نازك الملائكة**، وهي فتاة عراقية تعلمت الشعر والحزن من أمها، أعملت الفكر في ماهية الحياة زمناً طويلا فتوصلت الى أنها مجرد ظلال ولا شيء غير الظلال، وأبلغتنا نتائج تأملاتها في ديوانها (شظايا ورماد):

أخــيــراً لمستُ الحــيــاة

وأدركت مــا هي إلا فــراغ ثقــيل

أخيرا تبينتُ سرّ الفقاقيع، واخيبتاه!

وأدركتُ أني أضــعتُ زمــاناً طويل

ألمّ الظلال وأخبطُ في عتمة المستحيل

ألمُّ الظلال ولا شيء غـيــر الظلال.

ونتساءل ما إذا كان عنوان ديوانها (شظايا ورماد) يرمز إلى الحياة كذلك. أليس من الممكن أنها أرادت أن تقول لنا من خلال العنوان إن شعلة الحياة سرعان ما تنطفيء ولا يبقى منها إلا رماد تذروه الرياح؟

وإذا كانت نازك الملائكة قد شبهت الحياة بالفراغ والظلال والفقاقيع والرماد، وهي أشياء لها وجود مادي فعلي، ولو لفترة قصيرة، فإن غيرها من مثقفي العربية شبّه الحياة بالوهم الذي لا وجود ماديا له وبالصدى الذي لا وجود مستقلا له. **فمحمد عثمان صالح** يقول في ديوانه (الصمت والرماد):

كــانت حــيــاة الآخــرين

وحــيــاتنــا



وهمـــــاً كــــــأصـــــداء الخطى

في جبهة الأفق البعيد، متاهة للعابرين.

وفي أفضل الأحوال، يمكننا أن نشبه الحياة بالسفر، كما تراءى الأمر **لأبي العتاهية**:

مـا نحن إلا كـركب ضـمـهم سـفـرٌ

يومـــا الى ظل أيك ثم نفـــتـــرقُ

ومهما كانت حقيقة الحياة وماهيتها، فمن المؤكد أنها زائلة مهما اغتر الإنسان بها أو نسي الموت والآخرة والحساب. فالحياة غرور كما ورد في القرآن الكريم: {**يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور**} (فاطر/ ٥).

وقد ردد الشعراء العرب هذا المعنى فقال **أبو الطيب المتنبي**:

إني لأعلم واللبــيبُ خــبــيـــرُ

إن الحـيـــاة، وإن حـــرصتُ غـرورُ

الحياة قصيرة:

يتفق المثقفون العرب على أن الحياة قصيرة مهما طالت، قصيرة صغيرة حقيرة مثل هبة من لئيم، كما يقول **المتنبي**:

فــــؤادٌ مــــا تسليّـــه المدامُ

وعــمــرٌ مــثل مــا يهب اللئــامُ

وأن هذه الحياة مهما طالت فإنها لا تتسع لآمال الإنسان الطويلة العريضة، كما يقول **البحتري**:

لنـا فـي الدهـر آمــــال طـوال

نرجـيـهــا، وأعــمــارٌ قــصــارُ

ويردد هذا المعنى **ابن هانيء** الأندلسي كذلك:

إنـا وفـي آمــــال أنفــــسنا

طولٌ، وفي أعــمــارنا قــصــرُ

ولهذا لابد لنا أن ننجز القيم من الأعمال بأسرع ما يمكننا، كما ينصحنا **أبو الحسن التهامي**:

فـاقـضـوا مـآربكم عـجـالا إنما

أعـمـاركم سـفـر من الأسـفـار

ويشبّه **عمارة اليمني** العمر برأس المال، ولما كان رأس المال محدودا وجب إنفاقه بعناية وحذر في الأمور الضرورية جدا:

إذا كـان رأس المال عمرُك فـاحترز

عليـه من الإنفـاق في غـيـر واجب

إذن، كلنا متفقون على أن عمر الإنسان، في حقيقة الأمر، قصير جداً حتى إذا بلغ ألف عام، كما يقول **المعتمد بن عباد** في أبيات طلب أن تكتب على قبره في منفاه في بلدة أغمات قرب مدينة مراكش:

لو أن عــمــرك ألف عــام كـامل

مــا كــان حــقــاً أن يُقــال طويلُ

ثنائية الحياة والموت:

لا تقتصر ثنائية الحياة والموت على الشكلية اللفظية بحيث لا نذكر الحياة إلا وتذكرنا الموت، وإنما تشتمل كذلك على قضية جوهرية مفادها أن الحياة ذاتها تنطوي على الموت، أي أن الحياة تقوّض

نفسها بنفسها، فكلما نما الإنسان وكبر اقترب من مصيره المحتوم، وكلما عاش استنفد أيام حياته المعدودة. فالإنسان مثل دودة القز التي تنسج الحرير حولها لتموت داخله في النهاية، إذ أنه مُعنّى بمزاولة الحياة حتى تقضي الحياة عليه، كما يقول **أبو الفتح السبتي**:

ألم تر أن المرء طول حياته

معنى بأمر لا يزال يعالجه

كذلك دود القز ينسج دائما

ويهلك غمّاً وسط ما هو ناسجه

وحياة الإنسان مرتبطة برصيده المقدّر المحدد من العمر. فكلما طالت حياته قصر عمره، طبقا لمعادلة منطقية محسوبة يصوغها **أبو العتاهية** شعرا:

تؤمِّلُ في الأرض طول الحياة

وعمرُك يزداد فيها قصَرْ

أو كما يقول **محمود الوراق**:

إذا ما ازددتُ في عمري صعودا

تنقصه التزيد والصعودُ

ويوضح لنا **أبو الحسن البصير** هذا التقارب والتلازم المثير بين الحياة والموت بقوله:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً

فبعض الشيء من بعض قريبُ

يموتُ المرء وهو يُعدُّ حياً

ويخلفُ ظنَّه الأمل الكذوبُ



الحياة، إذن، موت تدريجي، كما يرى **امرؤ القيس**:

فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعها

ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

ويمكن أن يُقاس العمر بدقات قلب الإنسان. وهذه الدقات دليل على الحياة،



ولكنها في الوقت نفسه تمثل الثواني والدقائق والساعات التي يعيشها المرء ويقترب فيها من الفناء، فدقات القلب دندنة الحياة ولكنها نواقيس الموت كذلك، كما يقول أمير الشعراء **أحمد شوقي**:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثواني

أما **أبو العتاهية** فلا يقيس العمر بالدقائق والثواني وإنما بالأنفاس التي هي علامة الحياة، ولكن مع كل نفس من أنفاس المرء يتلاشى جزء من عمره المقدر ويدنو من نهايته:

حياتك أنفاس تعدّ فكلما

مضى نفسٌ منها نقصت بها جزءا

وهناك من يرفض قياس العمر بهذه الطريقة التقليدية فلا يعتبر الزمان مقياسا صالحا للعمر، ويعدّ من العمر ساعات السرور والهناء فقط، وأما بقية العمر التي نقضيها في تعاسة وألم فيمكنك أن تعدها من العدم أو الموت، إذا شئت. ومن أولئك الرافضين للمقاييس التقليدية **محمد بن عبد الله**



العلوي الذي قال:

العمرُ عمرك ما حباك مسرة

أو لا، فطولُ العمر طولُ عناء

وأعطانا **الحسن السمرقندي** مثلا عمليا على تلك القاعدة فقال:

لي خمس وثمانون سنة

فإذا قدّرتها كانت سنه

إن عمر المرء ما قد سره

ليس عمر المرء مرُّ الأزمنة

وتذكرني أبيات العلوي والسمرقندي بنكتة كنا نرويها ونحن أطفال، مفادها أن رجلا يدعى **جبر** سافر الى بلاد نائية، وقال له أهلها إن من عادتهم أن يكتبوا على شواهد قبورهم أعمار الموتى مقدرة بأيام الهناء فقط وليس بسنوات الحياة. فأطرق جبر ثم قال لهم: إذا متُّ في بلدتكم فاكتبوا على قبري:

هذا قبر جبر، من أمه الى القبر.

ومن الرافضين لقياس سنّ الإنسان بالسنين **أبو العلاء المعري** الذي يرى أن العمر يُقاس بما يشعر به الفرد في نفسه من حيوية ونشاط وما في روحه من فكر وعطاء، وهو القائل عن نفسه:

سنّي بروحي لا بعَدّ سنين

فلأسخرن غداً من التسعين

عمري الى السبعين يركض مسرعاً

والروحُ ثابتة على العشرين

ويبدو أن جاذبية الحياة تكمن في خوفنا من الموت، فرهبة الموت هي التي تدفعنا الى التعلق بالحياة والتمسك بأهدابها، حتى لو كانت أليمة.

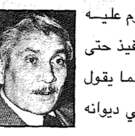


فالموت يعطي الحياة أهميتها ناسين أن الموت يشكل الفصل الأخير من مسرحية الحياة، أو كما تقول **مي زيادة**:

«**ألا إنما قيمة الحياة تكمن في الموت الذي هو جزء منها**». فنحن يسكرنا الشباب ونتتشي به، ويؤلمنا المشيب ونتذمر منه، وننسى أن الحياة التى تشتمل على الشباب والمشيب هي في حقيقة الأمر الموت نفسه. وقد خلص **أبو الطيب المتنبي** الى هذه النتيجة:

إذا كان الشباب السكر، والشـ

يبُ همّاً، فالحياة هي الحمامُ



فكل إنسان محكوم عليه بالموت، وهو حكم مؤجل التنفيذ حتى يستوفى عمره المقدر له، كما يقول **عبد الوهاب البياتي** في ديوانه (سيرة ذاتية لسارق النار):

محكومٌ بالإعدام أنا

مع وقف التنفيذ

عقوبتي: الحياة

وسواء أعاش الإنسان زمنا طويلا أم قصيرا فإنه سيواجه مصيره المحتوم، ويتساوى كثير الحياة مع قليلها، لأن كليهما زائل منقض. ولعل ذلك ناتج من تعلق الإنسان في الحياة، فمهما عاش تبدو له حياته قصيرة ويرغب في المزيد، أو كما قال **أبو الطيب المتنبي**:

كثيرُ حياة المرء مثل قليلها

يزول، وباقي عمره مثل ذاهب

هذا التداخل بين الموت والحياة يجعل الحياة مرهونة بالموت كما أن الصحة مرهونة بالمرض، كما يرى **ابن الرومي**:

رأيت حـيـاة المرء رهناً بموته
وصـحـتـه رهناً كـذلك بالسـقم

ومن ناحية أخرى يجعل هذا التلازم بين الموت والحياة بعض الناس أمواتاً في حياتهم وبعضهم الآخر أحياء وهم في قبورهم. فالشهداء، مثلا، ينالون مرتبة الخلود {**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**} (آل عمران/ ١٦٩). ومن هنا نستطيع أن نفهم وصية الخليفة **أبي بكر الصديق** لقائد جيش المسلمين **خالد بن الوليد** حينما خاطبه قائلا:

«**احرص على الموت، توهب لك الحياة**». ويرد هذا المعنى في شعر كثير من المجاهدين وأصحاب القضايا الكبرى. فقد نُقل عن **الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب** قوله في معركة كربلاء:

إن كـان دينُ مـحـمـد لا يسـتـقم
إلا بقـتلي، يا سـيـوف خـذيني

وقال **الحصين بن الحمام المري**:

فلستُ بمبـتـاع الحـيـاة بذلة
ولا مـرتق من خـشـيـة الموت سُلما
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفـسي حـيـاة مـثل أن أتقـدما

ومن يعش في ذل وعار أو في نكد وتعاسة فإنه بمثابة الميت. وهذا مغزى قول **أحمد شوقي**:

الناس صنفان: موتى في حياتهم
وآخـرون ببطن الأرض أحـيـاء

وهذا ما جعل **أبا نواس** يقول :

ولو عُـرضت على الموتى حـيـاتي
بعـيش مـثل عـيـشي لم يريدوا

صفو الحياة أم كدر ها :

هل الحياة جميلة أم قبيحة؟ هل تحسن الحياة إلينا أم تكيل لنا الإساءات؟ الجواب الذي يحضر العربي هو أن للحياة صفوها وكدرها، فتارة تصبح حلوة كالعسل وتارة تمسي مرة كالحنظل. فهي تجمع المتناقضات؛ فيها الولادة والموت، وفيها الصحة والمرض، وفيها يلتقي الأحباب ويفترقون. هذه هي الفكرة السائدة في الثقافة العربية عن الحياة. ولكن بعض من كرعوا من الحياة حتى الثمالة يحذروننا منها حتى إن بدت لنا ودود محبة، لأنها تخفي في ابتسامتها سماً زعافا تقذفه في جوفنا عند تقبيلنا. فالحذر الحذر، فهي عدوة متنكرة في زي الأصدقاء. ونحن نرغب فيها ونستزيدها، ولكن طول العمر مضرة ما بعده مضرة، كما يقول الشاعر الجاهلي **النابغة الجعدي**:

المرء يرغب في الحـيـا
ة وطول عـيش قـد يضـره
تفنى بشـاشـتـه ويبـقـ
ـى بعـد حلو العـيش مـرّه



وتســــــوؤه الأيام حـــــتـــــ

ـــى مــا يرى شــيــئــا يســـره

فالحياة مليئة بالأحزان والأشجان شئنا أم أبينا. وكلما تأملنا فيها ازددنا شجنا وحزنا، كما يقول الشاعر المهجري **إيليا أبو ماضي**:

إن التـــأمل في الحـــيـــا

ة يزيد أوجـــاع الحـــيـــاة

إذن، لماذا نتعلق بالحياة ونرغب فيها؟ يعتقد **أبو العلاء المعري** أن تصرفنا هذا وشعورنا ذاك ناتجان عن جهلنا بحقيقة الحياة:

رغـبنا في الحـيـاة لفـرط جـهل

وفــقــدُ حــيــاتنا حظٌ رغــيـبُ

ويعجب **أبو العلاء المعري** ممن يرغب في مزيد من الحياة، لأنها مليئة بالأوصاب، زاخرة بالأتعاب، تكيل لنا الإساءات بلا حساب:

تعبٌ كلهــا الحـيــاة فــمــا أعــ

جــبُ إلا مــن راغــب فــي ازديــاد

وقد توصل **أبو العلاء** الى موقفه الرافض للحياة بعد تأملات مستفيضة:

تأملنا الزمــان فــمــا وجــدنا

الى طيب الحـيــاة به سـبـيـلا

وهكذا فإنه لا يجد خلاصا من هذه الحياة الأليمة إلا بالموت. ولذلك فإنه يرجو الموت ويدعوه الى الحلول ضيفا عليه:

فـيـا مـوت زُر، إن الحـيـاة ذمـيـمـة

ويا نفس جـــدّي، إنّ دهرك هـازل

الحياة المثالية :

الحياة المثالية، في العقل العربي، هي التي تتوفر فيها ثلاثة عناصر: الكفاف والصحة والأمن. والمقصود بالكفاف إشباع حاجات الإنسان الأساسية كالغذاء والسكن والملبس والتعليم والدواء. ولا يكفي للحياة الطيبة أن يشبع الإنسان حاجاته المادية في غياب الطمأنينة والأمن. وفي القرآن الكريم إشارات لذلك مثل: {**فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف**} (قريش/ ٣ ـ ٤).

وإذا صفت الحياة لإنسان توفرت له عناصر الحياة الطيبة الثلاثة المذكورة، كما ورد في شعر الأديب الأصفهاني **أبي الحسن طباطبا**:

ألا إنما الدنيــا كـفــاف وصــحــة

وأمن، ثلاث هن طيب حـــيـــاتي

ولكن العربي، بما يختزن في ذاكرته الثقافية من تاريخ حافل بالأحداث والفجائع منذ أيام سيدنا نوح، يدرك أن احتمال اجتماع هذه العناصر الثلاثة لتصفو الحياة ضئيل تماما، إن لم يكن مستحيلا، إلا إذا أراد مغالطة الحقائق أو تجاهلها، كما قال **أبو الطيب المتنبي**:

تصـفـو الحـيـاة لجـاهـل أو غـافل

عـــمـــا مـــضـى ومـــا يتــوقـع

ولمن يغـالط في الحـقـائق نفـسـه

ويسـومـهـا طلب المحـال فـتطمعُ

إذن كيف ينبغي أن نعيش حياتنا؟:

ما دامت الحياة محدودة تنتهي حتما بالموت، كيف ينبغي أن نعيشها؟

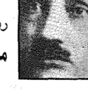
يختلف الجواب طبقا لمن يوجه إليه السؤال.

فإذا وجهت السؤال الى رجل متدين، أجاب كما أجاب **سليمان بن خلف الباجي**، وهو فقيه ورع عاش في الأندلس في القرن الخامس الهجري:

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً
بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنيناً بها
وأجعلها في صلاح وطاعة

وإذا وجهت السؤال الى شاب مغرق في الملذات محب للمخاطر، أجاب بقول الشاعر الجاهلي **طرفة بن العبد** في معلقته:

ألا أيُّهذا اللائمي أحضُر الوغى
وأن أشهد اللذات، هل أنت مُخلدي؟
فإن كنت لا تستطيعُ دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكتْ يدي



وإذا وجهت السؤال الى رجل رومانسي أجاب كما قال **سلامة موسى**:

«بئست حياة الرجل إن لم تشاركه فيها امرأة»

وإذا وجهت هذا السؤال الى من يطلب الزعامة والقيادة، أجاب بقول **قطري بن الفجاءة**:

وما للمرء خيرٌ في حياة
إذا ما عُدّ من سقط المتاع

بيد أننا إذا حللنا ملحمة جلجامش التي تداولتها العرب العاربة منذ الألف الرابع قبل الميلاد وأثرت في العقل العربي في سنوات تكوينه الأولى، أو بالأحرى تأثرت بالعقل العربي في سنوات تكوينه الأولى، نجد أن هذه الملحمة السومرية كانت مكرسة لمناقشة قضيتي الحياة والموت. **فالملك جلجامش**، عاهل مدينة الورقاء الشهير، ناضل طويلا من أجل الحصول على الخلود، وعندما تأكد له أن خلود الإنسان مستحيل، ذهب الى حانة في الطريق وسكر حتى الثمالة، وراح يردد باكيا:

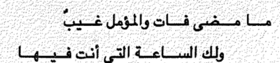
ابك يا جلجامش واذرف العبرات
لأن الالهة التى آثرت نفسها بحق الحياة
هي التي قضت على الإنسان بالممات

فتجيبه صاحبة الحانة:

لا تبك يا جلجامش،
اغتسل وابتهج وكل ما لذّ وطاب
وفرّح الزوجة والبنين والأحباب

فهذه المرأة المجربة تنصح جلجامش بأن يتمتع بالحياة ما صفت له. وهذا المعنى يتردد في قصائد نظمت بعد عشرات القرون من ملحمة جلجامش. **فإبراهيم الغزي** الذي عاش في العصر العباسي يقول:

إنما هذه الحياة متاع
والسفيه الغبي من يصطفيها



مـــا مـــضى فـــات والمؤمل غـــيبٌ

ولك الســـاعـــة التي أنت فـــيــهـــا

هل يسأم الإنسان من الحياة ويملها؟:

أكد اثنان من كبار الشعراء الجاهليين من أصحاب المعلقات أن المرء يسأم من الحياة إذا عاش طويلا. **فالنابغة الذبياني** الذي تجاوز عمره ثمانين عاما يقول:

سئمتُ تكاليف الحيـاة ومن يعش

ثمـــانين حـــولا، لا أباً لك، يســـأم

ولبيد بن ربيعة الذي عمّر فأدرك الإسلام وسكن الكوفة، يؤكد هذا المعنى حين يقول:

ولقـد سئـمت من الحيـاة وطولها

وســؤال هـذا الناس: كـيف لبـيـدُ؟

ويردد المعنى ذاته في قصيدة أخرى فيقول:

من حـــيـــاة قـــد مللنا طولهـــا

وجـــديرٌ طولُ عـــيش أن يُملْ

ولكن حكيم الشعر العربي، **أبو الطيب المتنبي**، يرى أن ملذات الحياة أشهى ما في الوجود، وأن المرء لا يمل الحياة مهما طالت ولكنه يمل ضعفه:

ولذيذُ الحـــيـــاة أنفسُ في النفـ

ـــس وأشـــهى من أن يُملَّ وأحلى

وإذا الشـيخ قـال: أف، فـمـا مـ

ـلّ حـيـاة، وإنما الضـعـف مـلا

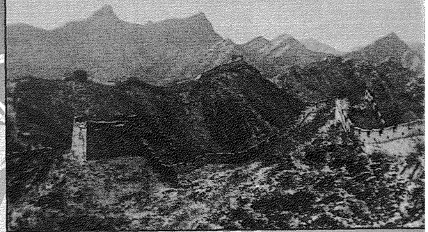
ولا نتخيل أن شيخاً يمل الحياة إذا كان يتمتع بصحة جيدة وتوفرت له متطلبات العيش الكريم، **فعبد الكريم غلاب**، وهو سياسي وبرلماني وأديب روائي مغربي معاصر ويعد شيخ الأدباء المغاربة، ألف كتابا بعنوان (الشيخوخة الظالمة: سيرة شاب يرفض الشيخوخة) يصور فيه تعلقه بالحياة ويخاطب شيخوخته قائلا:

«يا زهرة العمر، امنحيني مزيدا من صفاء الفكر وهدوء الأعصاب وطهارة القلب والنفس والضمير. امنحيني مزيداً من الحب لكل ما هو جميل في الإنسان».

الخلود في الحياة :

قلنا إن خلود الإنسان في الحياة مستحيل. ولكن الإسلام يتيح لنا الخلود في الحياة وفي الآخرة. فبعد الموت يدخل الصالحون جنات النعيم خالدين فيها. أما في الحياة فيمكن أن يتحقق للمرء نوع من الخلود، ليس خلود جسده وإنما خلود اسمه وذكره. ويدلنا الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} على طريق الخلود في الحياة بقوله: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله في الدنيا إلا من ثلاثة: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية»**. وهذا القول من جوامع الكلم ومن روائع الحكم، إذ يحث المرء على التمتع بالحياة، والإقبال عليها، والمشاركة فيها بهمة ونشاط. فهو يحثنا على الزواج والإنجاب وتربية الأولاد تربية صالح (لاحظ أن لفظ الولد باللغة العربية يعني الابن والبنت، الذكر والأنثى)، كما يحثنا على طلب العلم والقيام بالدرس والبحث، ويثير فينا الرغبة في المشاركة في النشاط الاقتصادي وإقامة المشروعات التى تخدم الناس وتظل صدقة جارية، وهذه هي الحياة المثالية في العقل العربي.



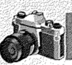


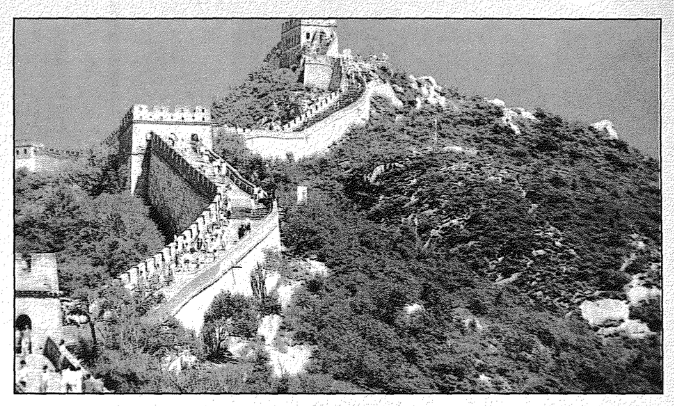
سور الصين العظيم .. أثر يحفظ تاريخ أمة



ليشتنشتاين : الإمارة المنسية

في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في تقاطيع وجوه الناس، السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة





سور الصين العظيم .. أثر يحفظ تاريخ أمة

على مدى تاريخ الصين الضارب بجذوره في أعماق الزمن، أقامت الأسر المتجاورة والقوميات المتعاقبة، الكثير من الأسوار حول ممالكها للحماية والاستقرار ومنع التخريب. وفضلا عن الوظيفة الدفاعية التي قامت بها هذه الأسوار، فإنها ساعدت الصينيين على تنمية اقتصاد الحدود واستصلاح الأراضي البور، ونمو التبادل التجاري والثقافي. هذا بالإضافة الى أن هذه الأسوار جسدت قوة إرادة، وقدرة إبداع، وذكاء ذلك الشعب منذ أقدم العصور.

الأسوار البائدة :

يرجع تاريخ بدء ظهور السور العظيم الى القرن الثامن قبل الميلاد، إذ كانت الصين في ذلك الزمن السحيق تنقسم الى عدة ممالك متحاربة يتزعمها أمراء متشاحنون، لذلك حرص كل منهم على

اعداد : **خالد خلف زيدان - مصر**

بناء الحصون والأسوار وأبراج الإنذار حول مملكته لحمايتها من غارات الممالك الأخرى المجاورة. وقد كانت مملكة «تشو» التى قامت في المجرى الأوسط لنهر اليانغستي، في القرن الثامن قبل الميلاد، أول ما وضعت لبنات السور العظيم حيث بنى أميرها «تشنغ وانغ» في ٦٥٦ ق.م سورا طوله ٣٤٦ كم، وقد لعب هذا السور دورا بارزاً في صد هجمات مملكتي «تشين» و«جين» المجاورتين لملكة «تشو» من جهتي الشمال والغرب. وكان هذا السور نموذجاً لما تلا من أسوار حيث تكوّن من سلسلة من القلاع الصغيرة بينها أسوار من التربة المدكوكة أو حواجز طبيعية من الجبال والأنهار.

وعلى مدى القرون الثلاثة التالية بنت العديد من الممالك، الكثير من الأسوار على غرار سور مملكة «تشو». ففي القرن الخامس قبل الميلاد بنت مملكة «تشي» سورا طوله ٥٠٠ كم لصد غزوات مملكة «تشو» في الجنوب. وفي عام ٣٦٩ق.م بنت مملكة «تشونغشان» سورا طوله ٢٥٠ كم لصد هجمات مملكتي «تشاو» و«جين». أما مملكة «وي» فقد بنت سورين اتقاء لمملكتي «تشين» في الغرب و«تشيوانرونغ» في الشمال الغربي، وقد بُني السور الأول في ٣٦١ ق.م وكان طوله ٥٠٠ كم، وبُني السور الآخر في ٣٥٥ ق.م وبلغ طوله ٣٠٠ كم.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد شرعت مملكة «تشين» تبني سورا اتقاء لغزوات قوم الهون الأشداء الذين كانوا يقطنون إلى شمالها الغربي ويتوغلون باستمرار جنوبا لمهاجمتها، فأتمت في ٣٢٤ ق.م بناء سور امتد قرابة ألف كيلومتر. وفي الوقت الذي قاربت فيه «تشين» على إنهاء عملها كانت مملكة «تشاو» تبني سوراً لحماية حدودها الجنوبية اتقاء لمملكتي «وي» و«تشين». غير أن «تشاو» ما كادت تهنأ بهذا الإنجاز الذي أتمته في ٣٣٣ ق.م وبلغ طوله ٢٠٠ كم؛ حتى كانت حدودها الشمالية تتعرض لأطماع مملكة «هو» فولت أبناءها ومواردها شطر الشمال لتبني سوراً آخر في ٣١٢ ق.م بلغ طوله ٦٥٠ كم. كذلك بنت مملكة «يان» سورين على طول حدودها الجنوبية والشمالية، وبلغ مجمل طول السور الجنوبي ٢٥٠كم وبني في ٣٠١ ق.م لصد غزوات مملكة «تشاو» المدعومة من مملكة «تشين»، أما السور الشمالي فكان آخر ما بني من أسوار في عهدي الربيع والخريف (٧٧٠ ـ ٤٧٦ ق.م) والممالك المتحاربة (٤٧٥ ـ ٢٢١ق.م)، كما كان أطول الأسوار

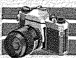
امـتـداداً في هذه الفـتـرة إذ وصل طوله قـرابة ١٢٠٠كم، وقـد بُني في ٢٥٤ق٠م لصـد الغـزوات القادمة من مملكة «تشانغ جياكو».

شي هوانغ ٠٠ المفترى عليه :

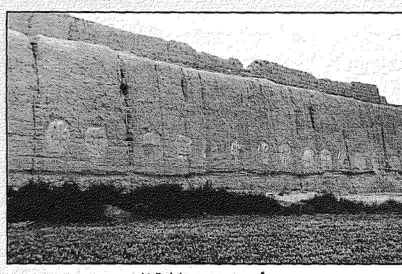
غـالبـا مـا يربط الصـينيـون السـور العظيم بـ «تشين شي هوانغ» الإمبـراطور الأول لأسـرة «تشين» فـفي ٢٢١ ق٠م، أسـس أول دولة مـوحـدة في تـاريخ الصين، وكـان من أبرز الإجـراءات التى اتخـذهـا لتـعزيز هذه الوحدة، بناء السـور العظيم، الذي بدأ تشـييده في ٢١٧ق٠م وانتـهى في ٢١٠ق٠م، وامتـد من «لينتاو» حتى «لياودونغ» بطول يقـارب الخمسـة آلاف كـيلومـتـر٠ وبالرغم من أن تشين شي هـوانغ أصـدر أوامـره بهـدم كـافـة الأسـوار التى شـادتهـا مـختلف الممالك السـابقـة٠ إلا أن بنـاء سـوره تطلب إجبار الكثيرين على العمل في ظروف شاقة، وفرض عقـوبات شـديدة على كثـير من الكادحين وإرغـامـهم على ترك نشاطاتهم الإنتاجية٠ وتذكر المصـادر التى تؤرخ لأســرة «تشـين» أن: ثلاث مــائـة ألف جنـدي اشـتـركوا ـ تحت قيادة الجنرال «منغ تيان» في بناء السـور العظيم في عـهـد تشين شي هوانـغ٠ وقـد أمضـوا أكثر من سبع سنين، ولما لم ينجزوا العمل جـهّـز قـرابة نصف مليـون إنسـان آخر من عـامـة الشـعب لاتمام العمل٠ ومن ثم ثار سخط الشعب مع مـرور كل يوم ولم يسـتـطع تحـمـل هذه القـسـوة، وبمجرد وفاة تشين شي هوانـغ اندلعت في ٢٠٩ق٠م أول ثورة فلاحية كاسحـة واسعة النطاق في تاريخ الصين، فبادت أسرة «تشين» وجاءت الأجيال اللاحقة تتهم تشين شي هوانغ بالطغيان والاستبداد، معتبرة بناء السور مثالا لذلك٠

سور أسرة هان :

كان السور العظيم لأسرة «هان» أكبر من سور «تشين شي هوانغ» لأن الأسوار بنيت خارج الأسوار الأصليـة وقـد زاد الطول الإجـمـالي لسـور «هان» العظيم على عشرة آلاف كيلومتر، ومن هنا فهو يعتبر أطول سـور في تاريخ الصين٠ وكـان الهـدف الأسـاسي من بنائه اتقـاء الهـون٠ فـفي السنوات الأولى لأسرة «هان الغربية» بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد، ازداد الهون قوة على قوة ووصلوا يتقدمون جنوبا لغزو أرض أسرة «هان» واحتـلالها، ولم يكن بمقـدور «هان» أن تبعث بقوات لمحاربة الهون، فاتبعت سياسة المصالحة٠ فزوجت بنات البيت الحاكم الى زعماء الهون في مقابل سلام قصير الأمد، غير أن الهون لم يتوقفوا عن أعمال الغزو، لذلك شرعت أسرة «هان» ابتداء من ١٥٨ق٠م بالتدريج ترمم وتقوي دفاعات السور العظيم لتشين شي هوانغ، وما كادت الثلاثون سنة التالية تمر حتى استعادت «هان» بفضل امبراطورها «وودي» المناطق جنوب منعطف النهر الأصفر ثم بدأت في بناء سور إلى غرب النهر، وقد كان هذا السور الجديد أشد



متانة وأكثر ارتفاعاً من سابقيه، وكان الجند يرابطون بين كل ثلاثة إلى خمسة كيلومترات في أبراج الإنذار لمراقبة العدو الذي ما إن يبدو للعين، أشعلت الأعشاب التي جمعوها كإشارة إنذار.



ـ سور أسرة مينغ بمقاطعة قانسو.



ـ سور أسرة هان .

أسوار القوميات الاقطاعية :

منذ القرن الخامس الميلادي تولت أقليات قومية عديدة مقاليد الحكم في الصين، وبنى حكامها بعد الاستيلاء على مناطق متقدمة اقتصادياً وثقافياً، أسوارا لصد غزوات القوميات الأخرى. ففي ٤٢٣م بنت أسرة «وي الشمالية» سوراً من «خبي» في الشرق الى «وويوان» في منغوليا الداخلية في الغرب لمسافة ألف كيلومتر، وفي ٤٤٦م بنت سورا آخر من «جيوييو نغقوان» قرب بكين الى «ختشوي» بمقاطعة «شانشي» بطول ٥٠٠كم. وفي عهد أسرة «تشي الشمالية» بُنيت أسوار تجاوزت أطوالها ١٥٠٠كم بعد أن ضمت إليها أسرتي «وي الشرقية» في ٥٥٠م و«وي الغربية» في ٥٥٧م.

ومنذ أن وحد «ون دي» إمبراطور أسرة «سوي» الجنوب والشمال في ٥٨١م منهيا بذلك حكم الممالك الاقطاعية الانفصالي الذي دام لأربعة قرون، عبأ خلقا كثيرا لبناء السور العظيم في مناطق متفرقة كما عمل خلفاؤه على ترميمه سبع مرات.

وفيما بعد توقف بناء الأسوار تقريبا أكثر من خمسة قرون حتى أسست نيويتشن أسرة «جين» في ١١١٥م فبنت سورين على نطاق واسع عرفا بسوري «مينغتشانغ» القديم والجديد، وكان السور القديم يقع تقريبا على ضفة نهر هيلونغ الحالي في شمال غربي سلسلة شينغآن وكان طوله ٥٠٠كم. في منطقة منعطف النهر الأصفر في الغرب ونهايته عند نهر

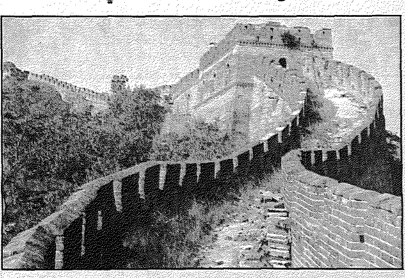
سونغهوا في مقاطعة هيلونغ جيانغ الحالية في الشرق وطوله يزيد على ١٥٠٠كم.

سور أسرة مينغ :

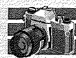
عمد حكام أسرة مينغ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م) الى إيلاء بالغ الأهتمام بالدفاع عن حدودهم الشمالية احتراسا من المغول ونيويتشن على حد سواء. ولم يتوقف هؤلاء الحكام عن بناء وتوطيد السور العظيم طوال مائتي عام، فبدا سورهم أكبر امتداداً وأوسع نطاقاً، حيث يبدأ من ضفة نهر يالو بمقاطعة لياونيغ شرقا ويمر بتسع مقاطعات ومدن خاضعة للإدارة المركزية الصينية حتى ينتهي بمقاطعة قانسو غرباً بطول يزيد على ٣٦٥٠كم، وهو ينقسم الى جزئين رئيسيين باعتبار مقاطعة شانشي خطاً فاصلا بينهما. ويتموج السور حسب تضاريس الجبال التى يرقد عليها، وجزؤه الغربي بُني بالتراب كلياً، إذ لم تستخدم فيه قطعة من الطوب كما أن حجمه صغير وضيق نسبياً حيث لا يتجاوز ارتفاعه الخمسة أمتار. بينما جزؤه الشرقي بُني بالتراب من الداخل وغُطي بالألواح الحجرية والطوب من الخارج ويقارب ارتفاعه تسعة أمتار وعرض سطحه يتسع لخمس خيول تمشي عليه في صف واحد. وعلى طرفي سطح السور جدران بارزة، فيوجد جدار منخفض يرتفع متراً واحداً في الجانب الداخلي، وجدار عال يرتفع مترين في الجانب الخارجي الذي انتشرت عليه فتحات للمراقبة علوية وفتحات لإطلاق السهام سفلية.

ويتناثر على خط السور العظيم لأسرة مينغ عدد من القلاع المسورة،

ـ برج بوابة السور بمقاطعة شانشي.



ـ السور في محافظة هوايرو.



والمسافة بين كل قلعتين متساوية تقريباً، وقد بنيت هذه القلاع في قمم الجبال الشامخة أو ممرات الأودية السحيقة التى تتمتع بأهمية عسكرية كبيرة في الدفاع أو الهجوم. والى جانب ذلك ينتشر على السور، في كل مسافة تتراوح بين ٣٠٠ الى ٥٠٠ متر كمية كبيرة من الحصون المربعة. وتعتبر قلعة «جيوييو نغقوان» الواقعة على بعد ٥٠ كم من شمال غربي بكين، أشهر القلاع في قسم السور الشرقي، وقد أنشئت عام ١٣٤٥م، وتنتصب في واد يبلغ طوله ٢٠ كم، وتحاط بجبال شديدة الانحدار وكانت منفذاً حيوياً يربط بكين بالمناطق الشاسعة في شمالها الغربي في قديم الزمان. والسور العظيم القريب من قلعة «جيوييو نغقوان» يسمى سور باد الينغ، وهو أكمل جزء لسور أسرة مينغ احتفاظا بملامحه وخصائص بنائه، وهو أحد أشهر المواقع السياحية التى يتوافد إليها السائحون الأجانب والزائرون الصينيون. وبالإضافة الى سور باد الينغ، فتحت بلدية بكين قبل سنوات جزءاً آخر من السور العظيم بهدف تطوير السياحة وهو سور موتيانيوي، كذلك يجثم في مقاطعة خبي التى تحيط ببكين جزءان آخران من السور العظيم مازالا يحتفظان بحالتهما الجيدة أيضا، هما سورا «جينشانلينغ» و«سيماتاي» وكلاهما يقع في المناطق الجبلية المتموجة، ويتميزان بكثرة الحصون وغيرها من المنشآت العسكرية الأخرى، مما يشكل منظرا خلابا أمام السائحين.

وتوجد قلعة أخرى مشهورة على السور العظيم تقع بالقرب من مدينة تشينهو انغداو بمقاطعة خبي، هي «شانها يقوان» التى يرجع تاريخها الى عام ١٣٨٢م وقد بنيت جدرانها بالتراب من الداخل والطوب من الخارج ويبلغ ارتفاع السور المحيط بها ١٤ مترا وطوله ٤كم، وقد حملت هذه القلعة منذ قديم الزمان لقب «القلعة الأولى في الدنيا» لأهمية موقعها الجغرافي. ويمكن للسائحين أن يصعدوا إليها ويشاهدوا منظرا طبيعيا رائعا لبحر بوهاي الفسيح في الجنوب حيث يطل عليه «لاولونغتو» طرف السور العظيم الشرقي، وفي الشمال يمتد السور العظيم على قمم الجبال المتلاحقة الى مكان لا نهاية له.

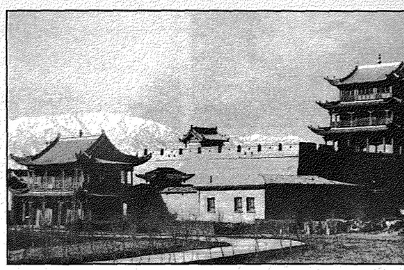
وينتهي السور العظيم في طرفه الغربي بقلعة «جيايويقوان» الرائعة التى تحمل لقب «القلعة الجليلة في الدنيا» في حدود مدينة جيوتشيوان بمقاطعة قانسو، وقد أقيمت عام ١٣٧٢م، وكانت منفذا لابد من المرور به في طريق الحرير القديم، ولهذه القلعة بوابتان في جانبها الشرقي والغربي، وعلى كل منهما عمارة دقيقة التصميم مهيبة المظهر، ويمكن لمن يصعدونها أن يشاهدوا السور العظيم الذي يلوح في مكان بعيد.

وظائف لا تحصى:

كان الهدف الرئيسي لبناء السور العظيم هو

ومما له علاقة وثيقة بالناحية الدفاعية: لعب السور دوراً ظاهراً في ضمان سلامة الطرق على امتداده وتأمين مرور التجار وحماية المواصلات. ففي عهد تشين شي هوانغ كانت المناطق الشمالية تربطها بالعاصمة «شيا نيانغ» طرق واسعة، وكانت الولايات الاثنتا عشرة على طول السور تربطها أيضا طرق واسعة، وكان السور ضمانة هامة لسلامتها. وفي أيام أسرة هان كان هناك سيل دافق مستمر من المرور وقوافل التجارة بعد أن افتتح طريق الحرير المشهور المؤدي الى وسط آسيا وغربها وأوربا، كان للسور العظيم الدور الكبير في تأمينها.

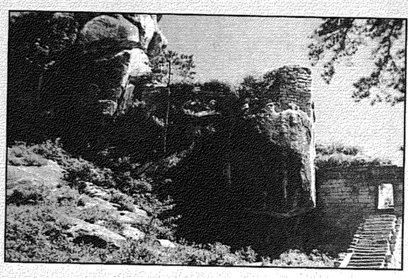
ومن الناحية الاقتصادية فإن السور أفاد الصينيين كثيراً حيث استصلاح الأراضي البور وزرع حبوب الطعام وحماية المزروعات لدفع الانتاج في مناطق الحدود. فعندما كان «تشين شي هوانغ» يبني السور، انشأ اثنتي عشرة ولاية على طول السور، وأرسل الأهالي لاستطلاع الأراضي والاشتغال في الزراعة وتربية المواشي. وفي عهد الامبراطور «وودي» زاد أعداد المستوطنين وقوات الحاميات وطوّر الزراعة تطويرا منظماً.. وعلى هذا الأساس ترسخت سياسة تعمير مناطق الحدود من جيل الى جيل وأصبح السور العظيم أفضل وسيلة لوقاية نشر الإنتاج.



ـ السور فوق جبل بيتشن.

منع الغارات والتخريب من أجل الحفاظ على استقرار الدولة وأمن الشعب، فبمساعدة السور أمكن صد غزوات القوميات الرعوية القاطنة في الشمال وقطع خط الرجعة عليها، وفي أحسن الأحوال كانت جحافل العدو المغيرة تقع في خطر احتمال مهاجمتها من المقدمة والمؤخرة في آن واحد فتعجز عن إنقاذ أي من قواتها. وإذا استعرضنا التاريخ وجدنا أنه كان من العسير الاستيلاء على السور ولا سيما الممرات الحيوية عن طريق الهجوم المباشر. وقد ظل السور على اتصال وثيق للغاية بالحصون وأبراج الإنذار والمستودعات والأجهزة الحكومية والولايات والمحافظات وحاضرة الامبراطورية، فضلا عن أنه كان تحت السيطرة المباشرة والموحدة لكبار الحكام من مختلف الأسرات الملكية. ومن هنا يعتبر السور العظيم أفضل الإنشاءات الدفاعية في العالم القديم.



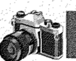


ـ قلعة جيايويقوان.

وعلاوة على ذلك فقد جسد بناء السور تكوّن القوميات وتطورها في عهود الصين القديمة. فمنذ عهد أسرتي تشين وهان الى عهد أسرتي مينغ وتشينغ تجمع مراراً أكثر من عشر قوميات قديمة في منطقة السور العظيم، حيث تتصارع من أجل السيطرة على أواسط الصين. وقد تطورت القوميات القديمة وامتزجت فيما بينها مرات عديدة، وخلال هذه التطورات والاندماجات اختفت بعض القوميات وظهرت أخرى، وهكذا حتى عهد أسرتي يوان ومينغ حيث تشكلت بنية القوميات المعاصرة التى تعيش في منطقة السور العظيم. وقد كان التبادل الاقتصادي نواة العلاقات بين هذه القوميات، فمن تقنيات الانتاج وفنونه لدى قومية الهان انتشرت فنون التعدين والصناعات المعدنية والحرف اليدوية وطرق تربية دود القز، من داخل منطقة السور الى مناطق الأقليات القومية مع الأسرى والمهاجرين، وفي نفس الوقت انتقلت فنون تربية المواشي والدباغة وزراعة القطن والسمسم والفول السوداني من مناطق الأقليات القومية الى منطقة السور العظيم.

ومع التبادل الاقتصادي ازدهر التبادل الثقافي بين هذه القوميات. فمنذ العصر الحجري تبوأت ثقافة الهان الصدارة بين ثقافات القوميات المختلفة في تاريخ الصين الطويل. وقد أثرت لغة الهان في القوميات المختلفة تأثيرا واسعا، فنجد في لغات هذه القوميات كلمات كثيرة من لغة الهان حتى أن قوميتي «مان» و«هوي» تخلتا عن لغتيهما واستخدمتا لغة الهان تحدثاً وكتابة. وكذلك نجد التأثير الواسع للفنون العمارية والمباني الهانية الطراز في القوميات المختلفة. وفي المقابل استوعبت ثقافة الهان كثيراً من ثقافات هذه القوميات في مجالات الكساء والغذاء والمواصلات والألعاب الاستعراضية وفنون الرقص.

غير أن أروع اندماج لهذه القوميات يبدو جلياً في انتشار الثقافة الدينية وتطورها، إذ تنتشر البوذية والإسلام في منطقة السور انتشاراً واسعاً. وقد انتقلت البوذية والإسلام الى الصين عن طريق هذه القوميات في منطقة السور. والى الآن لا يزال لهذين الدينين تأثيرهما على معظم القوميات في منطقة السور العظيم.



ليشتنشتاين: الامارة المنسية

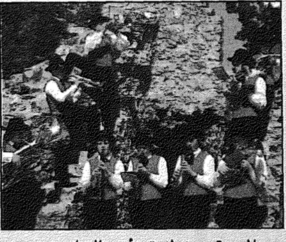
قلما نسمع عن بلاد اسمها : ليشتنشتاين في الكتب أو في وسائل الاعلام. والحق أنها إمارة صغيرة جدا في أوربا الوسطى تقع بين النمسا وسويسرا ولا تتجاوز مساحتها ١٦٠ كيلا مربعا. اما عاصمتها «فادوز» فلا يتجاوز عدد سكانها الخمسة آلاف نسمة من بين ثلاثين الفا هم مجمل سكان الامارة. وتمتد البلاد على طول منطقة جبلية يحدها وادي الراين غربا وتتمتع بطقس معتدل نسبيا ويفوق معدل التساقطات المطرية الألف ميليمتر سنويا. ويتكلم السكان اللغة الالمانية كلغة رسمية لكن بلكنة محلية متميزة تختلف من منطقة الى آخرى ويعتنق ثمانون في المائة منهم مذهب الروم الكاثوليك بالاضافة الى أقلية من البروتستانت والمذاهب والأديان الاخرى. أما العملة المتداولة فهي الفرنك السويسري.

التاريخ :

يرجع تاريخ ليشتنشتاين الى عهود غابرة ويعتقد علماء التاريخ والحفريات أن المنطقة كانت مأهولة منذ العصر النيوليثي. وقد استعمرت البلاد منذ ثمانمائة عام قبل الميلاد من قبل الرايتيين. وفي العام ١٥ ق.م. احتلها الرومان فأنشأوا طريقا رومانيا يخترق مستعمرتهم من الشمال الى الجنوب



ـ من المهرجانات الشعبية.



ـ الموسيقى جزء لا يتجزأ من الحياة عندهم.

اعداد : الحسان الرزاقي - المغرب

- طفلتان بالزي الفولكلوري.

وتدل على ذلك بقايا الدارات الرومانية المكتشفة في كل من: شانفالد ونينديلن.

وجدت الديانة المسيحية متسعا لها في مقاطعة شورايتيا في القرن الرابع الميلادي حيث بُجّل أول قديس نصراني في البلاد وهو القديس لوزيوس. وفيما بعد أجبرت الهجرات المتوالية للشعوب الجرمانية المنحدرة من الشمال الرومان على الرحيل. وضمت إمارة ليشتنشتاين الحالية لاحقا الى دوقية ألمانيا وأصبحت جزءا من رايتيا السفلى وتمخض عن ذلك تكوين أراضي كل من فادوز وشيلينبيرغ خضعت لحكم اربعة أسر متميزة: فيردنبرغ - فادوز وبرانديس وشولتس وهوهينيمس.

وفي سنة ١٦٩٩ اشترى الامير يوهان أدام أراضي شيلنبرغ وأضاف إليها سنة ١٧١٢ مقاطعة فادوز آملا بذلك الحصول على صوت ومنصب في الحكومة. وأسست امارة ليشتنشتاين في الثالث والعشرين من يناير سنة ١٧١٩ بعد أن أصدر القيصر كارل السادس قرارا بتحويل مقاطعتي فادوز وشيلنبرغ الى إمارة من اجل خادمه الأمين انتون فلوريان الليشتنشتايني.

في سنة ١٨٠٦ دخلت ليشتنشتاين عضوا في كونفدرالية الراين بإيعاز من نابوليون ففي ذلك العهد أنشأ نابوليون اتحادا يضم ست عشرة مقاطعة من مقاطعات الرايخ الالماني التي اعترفت به كحام لها ومنحها الاستقلال الرسمي فحصلت بذلك الإمارة على سيادتها. وفي مؤتمر فيينا المنعقد سنة ١٨١٥ أضحت الامارة جزءا من الاتحاد الالماني. ومَهَّدَ تفكك ذلك الاتحاد سنة ١٨٦٦ الطريق للانفصال النهائي عن ألمانيا لكنها لم تنشيء جيشا خاصا بها إلا سنة ١٨٦٨. وبين سنتي ١٨٥٢ و١٩١٩ احتفظت الامارة باتفاقية جمركية مع الامبراطورية النمساوية المجرية.

الزهور تتفتح فى كل مكان



العمران والطبيعة يتناغمان فى هدوء

وتعزى النهضة المعاصرة للبلاد بدرجة بالغة الى الدستور الليبرالي الديموقراطي لسنة ١٩٢١ الذي ما يزال معمولا به الى اليوم وكذا الى العلاقات الخاصة المتميزة مع الجارة سويسرا والتى توجها التوقيع على الاتفاقية الجمركية بين البلدين سنة ١٩٢٣ واعتماد الفرنك السويسري في التعامل التجاري والاقتصادي منذ سنة ١٩٢٤.

ليشتنشتاين اليوم :

منذ نهاية الحرب الكونية الثانية عرفت ليشتنشتاين نموا اقتصاديا وثقافيا ملحوظا رغم مساحتها وامكانياتها المحدودة، فقد انتقلت من بلد زراعي الى بلد صناعي. لكن تزايد المنشآت الصناعية والعمرانية لم يؤثر كثيرا على المظهر الطبيعي العام للبلاد، فهذا العمران يتداخل ويتناغم مع المعالم الطبيعية الساحرة من جبال وأودية وغابات. وتعتمد البلاد حاليا في دخلها على التجارة والخدمات بنسبة ٥٢٪ والصناعة بنسبة ٤٦٪. أما نظام الحكم فهو حكم أميري متوارث مثله في ذلك مثل باقي ممالك أوربا، غير أن الدستور ينص على اقتسام السلطة بين الأمير والشعب. وينتخب أعضاء البرلمان بالاقتراع السري ويتمثل الدور الاساسي للبرلمان في إصدار القوانين التي تتماشى مع مقتضيات الدستور. أما الحكومة فهي مسؤولة امام الامير وامام البرلمان ويستطيع افراد الشعب التأثير مباشرة على القوانين بنظام كفالة حق المبادرة وتنظيم الاستفتاءات.

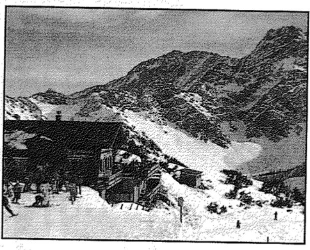
معالم الطبيعة :

تتميز ليشتنشتاين بطبيعة متميزة، فموقعها

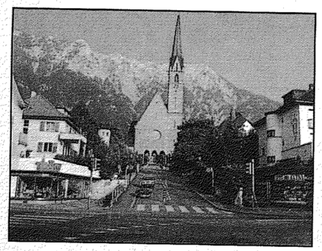




الجغرافي يجعلها بعيدة شيئا ما عن المراكز الصناعية الكثيفة جدا في اوربا الغربية فثلثا الامارة عبارة عن جبال تكسو الخضرة والثلوج معظم ارجائها ولذا يؤمها السياح والمتنزهون والمتسلقون من كل ارجاء الدنيا. أما العائلات التى تقصد الامارة للتنزه فتحط الرحال غالبا قرب الجداول المائية وما اكثرها حيث تتمتع الى جانب التجول وسط الاشجار الخضراء الباسقة والزهور الملونة المتفتحة بتناول وجبة شهية من النقانق المشوية فوق المواقد الحجرية المؤقتة. وبامكان هواة التجوال مشيا على الاقدام اتباع المسالك الجبلية المطروقة في الاماكن النائية والاستمتاع برؤية شاملة للوديان الخضراء المتعرجة وفسيفساء الخضرة الطبيعية البكر. ويستطيع هواة تسلق الجبال الصعود الى علو يصل الى ثمانية الاف قدم بين الثلوج والقمم الصخرية الشامخة. ويترافق قدوم طقس الشتاء مع مجيء محبي الرياضات الشتوية. وفي فترة اعياد الميلاد يتراوح سمك الثلوج من ثلاثة الى ستة اقدام مما يمكنها من مقاومة الذوبان الى حين حلول شهر ابريل بشمسه الربيعية الدافئة وزهوره الغناء.



الثلوج تكسو قمم جبال ليشتنشتاين



منظر من مدينة شان

واشهر منطقة للتزلج على الثلوج هي: مالبون التي يعرفها جميع محبي هذا النوع من الرياضة ولا يقل وادي فالونا أهمية عن مالبون وهو الذي يقع على بعد كيلومترين فقط منها حيث تفسح المنحدرات الفسيحة امام عدد اكبر من المحترفين والهواة والمتفرجين ايضا الطريق للممارسة والتمتع بهواياتهم المفضلة.



الإسلام والفنون الجميلة

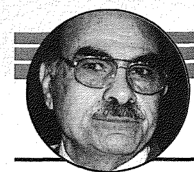
(الحلقة الثالثة)

لقد كان منهج النبوة، الذى تجسد في سلوك الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في خاصة نفسه، ومع أهله، وفي تشريعه للناس.. كان هذا المنهج - بصدد التربية الجمالية، والسلوك الجمالي - البيان العملي والممارسة التطبيقية للبلاغ القرآني، الذى شرع الله فيه منهج الاسلام في هذا الميدان.

فهذا الرسول الذى جاء رحمة للعالمين، كان النموذج الأرقى للانسان الذى يستشعر كل آيات الجمال في خلق الله، ويلفت النظر بهذا السلوك الجمالي، ليغدو سنة متبعة في مذهب الاسلام وحضارة المسلمين.

لم يكن الرسول «مترفا»، ولا «مستغنيا»، ولكن الله قد أغناه عن الحاجة، بعد أن كان فقيرا عائلا.. (ووجدك عائلا فأغنى)[١]. لم يكن «الراهب» الذى يقيم الخصام بين مملكة الأرض ومملكة السماء.. ولا «الناسك نسكا أعجميا»، الذى يدير ظهره للدنيا وطيباتها.. كان يقبل الهدية ويهدى الى الناس، وكان يتصدق، دون أن تتطلع نفسه أو تمتد يده الى شيء من الصدقات.. كان له من المال - في «فدك» - ومن الغنائم - سهم وصفايا - ما يكفيه وأهله، كإمام للدولة، بمقاييس بساطة تلك الدولة ودرجتها في الثراء، في ذلك الزمان وذلك المكان.. كان المال في يده، لكنه لم يستول على قلبه في يوم من الأيام.

ونحن إذا شئنا أن نتلمس في سيرته - في خاصة نفسه - نماذج شاهدة على رقيه وارتقائه في السلوك الجمالي، والاحساس بالجمال، فإننا واجدون الكثير.



بقلم المفكر الإسلامي : أ.د. محمد عمارة

- مصـــر -

يروى ابن عباس فيقول: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن»[٢].

والذين يتأملون هذا السلوك، في ضوء قضيتنا، يدركون أن التفاؤل إنما هو ثمرة لرؤية إيجابيات الواقع وجماليات المحيط.. وهو ضد التشاؤم، الذى لا يرى صاحبه سوى القبح والسلبيات.. وأيضا هو غير السذاجة، التى لا يبصر صاحبها لا الايجابيات ولا السلبيات.. فالتفاؤل موقف إيجابي من جماليات الحياة وإيجابيات المحيط..

«ولا يتطير».. لأن المتطير هو الذى لا يرى من الأشياء إلا جانب القبح والشؤم.. على حين أن في هذه الأشياء - كل الأشياء - من وجوه الخير والجمال ما يطرد التطير والتشاؤم عن الذين يبصرون هذا الخير وهذا الجمال.

ويعجبه الاسم الحسن.. أى أنه {صلى الله عليه وسلم} قد بلغ في استشعار آثار الجمال الى الحد الذى جعله يلمحها حتى في الأسماء.. فهو يدرك أثر «العنوان» في الدلالة والايماء على «المضمون والموضوع».

* وفي مأكله ومشربه - على بساطتهما - كان طالبا للجمال والاستمتاع.. «كان يحب العسل والحلواء»[٣].. و«كان أحب الشراب إليه الحلو البارد»[٤].. فكان - على بساطة عيشه - ذواقة يحب الطيب والجميل من الطعام والشراب.. وقصصه شهيرة عندما كانت تعاف نفسه حلال الطعام إذا لم تستطبه نفسه، عليه الصلاة والسلام.

* وكما لبس البسيط من الثياب.. فلقد «لبس جبة رومية»[٥].. وعندما أهديت إليه جبة من ديباج منسوج فيه الذهب، لبسها، {صلى الله عليه وسلم} وقام على المنبر، وجلس ولم يتكلم! ثم نزل، فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون إليها.. فلما خشى افتتانهم بأمثال هذه الأشياء، سألهم:

- «أتعجبون منها؟!»

- قالوا: ما رأينا ثوبا قط أحسن منه!

- فقال، {صلى الله عليه وسلم} لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون![٦].

لقد لبس هذا الذى لم ير الناس ثوبا قط أحسن منه.. لكنه ذكرهم بما هو خير منه وأفضل عند الله!..

* وعلى اختياره للبساطة في أدوات منازله وحاجيات أهله.. فلم يكن يعاف استخدام ثمين الأدوات.. ويروى حميد فيقول: «رأيت عند أنس بن مالك قدحا كان للنبي {صلى الله عليه وسلم} فيه ضبة فضة[٧].

* وعندما تحدث عن الطيبات التى يعشقها ويحبها في هذه الحياة، كشف لنا عن ذوق راق يستشعر آيات الجمال، ويستمتع بطيبات الحياة: «حبب اليّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٨].

ومن الذى لا يرى الرقى في التحضر، والسمو في الانسانية مجسدا في هذا النبي العظيم.. الذى جعلت قرة عينه في الصلاة.. والذى كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه.. والذى كان لا يجارى في شجاعة المقاتل، حتى ليقول على بن أبى طالب - وهو من هو في الفروسية والفداء - في خبر شجاعة النبي المقاتل: كنا إذا حمى الوطيس واحمرت الحدق احتمينا برسول الله {صلى الله عليه وسلم}؟!.. هذا النبي، هو ذاته الذى يقف بالمسجد، اثناء اعتكافه فيه للعبادة - والمعتكف لا يغادر المسجد أثناء الاعتكاف - يقف على عتبة حجرة

أم المؤمنين عائشة - وكانت حائضا لا يحل لها دخول المسجد - يقف على عتبة الحجرة، بين يدى زوجه، لترجل له شعره أثناء الاعتكاف؟!.. أى رقى هذا الذى تجسده تلك الصورة الانسانية الجميلة، التى يصورها حديث عائشة: «أنها كانت ترجل النبى، وهي حائض، وهو معتكف في المسجد، فيناولها رأسه وهي في حجرتها»؟![٩].

* ثم .. أى رقى في الجمال والتجمل يبلغ ذلك الذى تحدث عنه خادمه أنس بن مالك، عندما وصف هذا الجانب من حياته، فقال: «ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ألين مسا من كف رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، كان أزهر اللون[١٠]، كأن عرقه اللؤلؤ»[١١].

ترى، هل هناك في الجمال والتجمل أرقى من ذلك الذى كان «كأن عرقه اللؤلؤ»؟!.. هذا هو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جسد في عشقه للجمال، وارتقائه على دربه منهج الاسلام في التربية الجمالية.. فكانت حياته، في خاصة نفسه، التجسيد لسنته التى علمنا إياها عندما قال: «إن الله جميل يحب الجمال».

أما «سيرته الجمالية» في أهله، فإنها هي الأخرى نموذج للجمال الراقى، وللرقى الجمالى.. تدهشنا اليوم، بعد أكثر من أربعة عشر قرنا.. فما بالنا إذا تصورناها في ذلك التاريخ البعيد؟!..

* هذه عائشة، زوجه، رضى الله عنها.. التى تروى عنه الحديث، وتفتي في الدين.. كانت تعشق اللعب بالتماثيل.. تماثيل البنات، والخيل ذات الأجنحة - وكانت تسمى خيل سليمان! - وكانت لها صواحب يأتينها ويلعبن معها في بيت النبوة.. وعندما كان صواحبها يستحين من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، كان يدفعهن دفعا رقيقا ليلعبن وعائشة بالتماثيل!.. تروى ذلك أم المؤمنين عائشة فتقول: «كنت ألعب بالبنات على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وكان لي صواحب يلعبن معى، فكن إذا رأين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ينقمعن منه، فكان رسول الله يُسرِّبهُنَّ إليّ يلعبن معى»[١٢].

* وهذا النبي الذى يأتيه الوحي، ويبلغ رسالة ربه، ويقود الدولة، ويرعى الأمة، ويكاتب الملوك، ويقاتل صناديد الشرك، وينهض بتغيير وجه الحياة على الأرض.. هذا النبي يمارس «السباق» مع زوجته عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها.. وأين؟.. ليس سرا وراء الجدران والأبواب المغلقة.. وإنما في الطريق وهم مسافرون..

تروى عائشة حديث هذا الخُلق الراقى في الاستمتاع بجمال الحياة، وفي الأخذ بحظه من طيباتها، فتقول: «خرجت مع النبي في بعض أسفاره، وأنا جارية[١٣]، لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقته!. فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقني! فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك[١٤].

ترى، هل هناك ما هو أرقى من هذا السلوك الجميل، الذى وإن حمل صاحبه تبعات الدنيا بأسرها، فإنه لا ينسى حظه من جماليات الحياة؟!..

إننا نسوق هذا الطرف من سيرة رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، لا لنعجب أو نستدر العجب، وإنما لنقول إن هذا هو المنهج الطبيعي والوحيد للاسلام في علاقة المسلم بجماليات الحياة.. منهج {ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك}[١٥].. فلقد أحسن الله إلينا بآيات الجمال التى زين بها كل ما في الوجود.. والإحسان المقابل هو أن نحسن الاستقبال لهذه النعم الإلهية، ونرتقى بقنوات وأدوات وحواس استشعارها والاستمتاع بها، شكرا له على ما أنعم،



وإقامة للتوازن والوسطية الاسلامية، التى وإن أنكرت الترف والإسراف في الملذات، فإنها تنكر الرهبانية ونسك الأعاجم وإدارة الظهر لطيبات الحياة، وتعطيل الحواس التى أنعم الله بها علينا عن أن تستمتع بطيبات وجماليات هذه الحياة. إنه المنهج الذى يعلمنا أن كل عمل يرتقى بإنسانية الانسان، حتى ما كان منه «لهوا» يروح عن النفس، و«لذة» حلالا، فهو «عبادة» لله، يستمتع بها الانسان في دنياه، وتكتب له بها الحسنات التى يوفاها في أخراه.. يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا: رمية الرجل بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق[١٦].. ويقول: «عجبت من قضاء الله عز وجل، للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر. المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها الى في امرأته[١٧].. فحتى في العشق.. والحنان.. والملاعبة، يؤجر المؤمن، لأنه يستمتع بطيبات الحياة وجمالياتها..

ورسول الله {صلى الله عليه وسلم}، لا يقف - في هذا المنهج - عند تقرير هذه الحقائق.. وإنما هو يدعو المسلمين الى سلوك هذا السبيل.. فهو يسأل الصحابي جابر بن عبد الله:

- «أتزوجت» ؟
- فيقول جابر : نعم ..
- فيسأله الرسول: «أبكرا؟ أم ثيبا؟؟»
- فيقول جابر : لا ، بل ثيبا ...
- فيقول، {صلى الله عليه وسلم}: «أفلا بكرا تلاعبها[١٨]».. وتلاعبك؟!..

تلك هى سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، في التربية الجمالية.. وهذا هو منهج النبوة بإزاء جماليات الدنيا وزينة الكون وطيبات الوجود.. وهكذا تجسد هذا المنهج النبوى سنة عملية وأسوة حسنة، ضربنا عليها الأمثال، وسقنا لها النماذج الشاهدة.. من حياته الشريفة، في خاصة نفسه، وفي علاقاته بأهله، وفي توجيهاته للناس..

انه منهج العشق الحلال للطيب من آيات الجمال، ينفى - بل ويستنكر - ذلك التجهم الذى يفتعل الخصام بين المسلم وبين طيبات وجماليات هذه الحياة.. فالمسلم لن يستطيع أداء فريضة الشكر لله على نعمة الجمال، إلا اذا عرف، واستمتع، بأنعم الله في هذا الجمال.

- للبحث صلة -

الهوامش :

(١) الضحى : ٨.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذي وأبو داود والدارمي وابن ماجة والإمام أحمد.
(٤) رواه الترمذي والإمام أحمد.
(٥) رواه الترمذي، من حديث المغيرة بن شعبة.
(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد.
(٧) رواه الإمام أحمد.
(٨) رواه مسلم والنسائى والإمام أحمد.
(٩) رواه الإمام أحمد.
(١٠) الأزهر: الأبيض المستنير.
(١١) رواه مسلم والإمام أحمد.
(١٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة والامام أحمد.
(١٣) أي صغيرة شابة.
(١٤) رواه أبو داود والإمام أحمد.
(١٥) القصص : ٧٧.
(١٦) رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة والإمام احمد.
(١٧) رواه الإمام أحمد.
(١٨) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة وأبو داود والدارمى والإمام أحمد.



الكلم الذي لزم النفي

« من المقالات المحفوظة في ملف الدكتور السامرائي ولم تنشر »

* من الدراسات التي بقيت في ملف الاستاذ الدكتور/ ابراهيم السامرائي - يرحمه الله - مما آثر به المنهل.

أقول: وفي العربية من الكلم، من الأفعال والاسماء، مما لم يرد إلا في حيّز منفي، وهذا يعني أنها لم ترد في جمل وتراكيب موجبة.

وقد وقفت عليها في استقرائي للمعجمات التى رأيت أن استوفيها لحاجة لي، وكان من هذه «مجمل اللغة» لابن فارس. وقد رأيت أن أجمعها في هذا الموجز فأقول:

١ - جاء في مادة «الأزل».

الأزل: القدم، ونقول: هو أزَليّ.

قال ابن فارس:

«وأرى الكلمة ليست بمشهورة، وفيما أحسب أنهم قالوا للقديم: «لم يزل»، ثم نُسب الى هذا فلم يستقم إلا بالاختصار، فقالوا: يزليّ، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخفّ، فقالوا: أزلي. وهو كقولهم في الرُمح المنسوب الى ذي يزن: أزني.

أقول: ومن هنا يكون بحسب قول ابن فارس ان في قولهم «لم يزل» يكون الفعل «يزل» أصلا في «الأزل» بمعنى القدم.

وهذا الفعل قد لزم النفي لإفادة الاستمرار والدوام، وكذا سائر الافعال وهي: «ما برح» و«ما فتىء» و«ما انفك».

وأرى ان الفعل «مادام» الذي يفيد الاستمرار والدوام من هذه الأفعال أيضاً، وعلى هذا تكون «ما» للنفي، وليس كما قال النحاة: إنها ظرفيه مصدرية.

وقد أوّلوا قولهم: «ما دُمتُ حيّاً» فذهبوا الى ان المراد: مدّة دوامي حياً.

أقول: قد يقال: ان الفعل «دام» يفيد الدوام، فهل تنفيه «ما»، والجواب: أن «دام» هي فعل غير الفعل التام «دام يدومُ» وان «دام» وقبلها «ما» تركيب يفيد



بقلم : أ. د. إبراهيم السامرائي

- عليه رحمة الله -

الاستمرار والدوام. وأن «ما» قبل «دام» مثل «ما برح» و«ما فتيء».

٢ ـ وجاء الفعل «أبه» منفياً في قولهم:

«ما أبهتُ له»: أي لم اعلم مكانه، ولا أنستُ به.

ولم يرد هذا الفعل إلا ملازماً للنفي لأداء المعنى المذكور.

٣ ـ وجاء الاسم «بدّ» في قولهم مثلا:

«ولابد من هذا» والمعنى: «لا محالة، كما في قولهم: «إن هذا حادث لا محالة».

٤ ـ وجاء في مادة (حول) قولهم:

«إن هذا حادث لا محالة».

أقول: وهذا يعني: ان حدوثه لابدّ منه. ولم تأت «محالة» إلا في سياق النفي هذا.

٥ ـ وجاء في مادة (حيص) قوله تعالى:

{سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص} أي محيد.

أقول: ولم ترد «محيص» إلا في سياق النفي، وقد وردت كذلك في خمس آيات من لغة التنزيل.

٦ ـ وجاء في مادة (سجس) قولهم:

«ولا أفعله سجيس الليالي» أي لا أفعله أبداً.

أقول: وقد ورد هذا في النفي المطلق الذي استعين عليه بالظرف «أبداً».

وقد كثر مجيء «أبداً» في حيّز النفي، قال تعالى:

{ولن يتمنوه أبدا} (البقرة/ ١٥).

{إنّا لن ندخُلها أبداً ما داموا فيها} (المائدة/ ٢٤).

{فقل لن تخرجوا معي أبداً} (التوبة/ ٨٣).

{لا تقم فيه أبداً} (التوبة/ ١٠٨).

{ولن تفلحوا إذاً أبداً} (الكهف/ ٢٠).

{وإن تدعُهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً} (الكهف/ ٥٧).

{ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً} (النور/٤).

{ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً} (النور/ ٢١).

{ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً} (الأحزاب/ ٥٣).

{بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً} (الفتح/ ١٢).

{ولا نطيع فيكم أحداً أبداً} (الحشر/١١).

{ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم} (الجمعة/٧).

٧ ـ وجاء في الفعل «عاج يعيج» قولهم:

«ما عجْتُ بكلامه»: اي لم اكترث له ولم أصدِّقه.

والفعل «عاج يعيج»، و«العيج» بمعنى الإقبال على الشيء. غير ان هذا الفعل لم يرد إلا في حيّز النفي.

٨ ـ وجاء في الفعل «عبأ يعبأ» قولهم:

«وما عبأت به»: اذا لم تباله.

وهذا مما لزم النفي.

٩ ـ وجاء في الاسم «عبقة» قولهم:

«ما بقيتْ لفلان «عبقة»: اي لم يبق له من ماله شيء.

١٠ ـ وجاء في الاسم «عبكة» قولهم:

«ما ذاق عبكة ولا لبكة»: أي لم يذق شيئاً.

و«العبكة»: الكسرة من الخبز، و«اللبكة»: اللقمة من ثريد.

١١ ـ وجاء في الاسم «عدوف» قولهم:

«ما ذقتُ «عدوفاً» أو «ذواقاً»: أي لم أذق شيئاً.

و«العدوف» اليسير.

١٢ ـ وجاء في الفعل «كرث» قولهم:

«لم يكترث فلان لهذا الأمر»: أي لم يهتم.

أقول: إن استعمال هذا الفعل في غير النفي قليل، وكأنه مع الأفعال التى لزمت النفي.

١٣ ـ وجاء في الاسم «لهسة» قولهم:

«ومــالك عندي «لهســة» أي: ولا قليل، وأصل «اللهس» اللطع كاللحس.

١٤ ـ وجاء في الاسم «نوص» قولهم:

«لا مناص من هذا الأمر» : أي لابدّ منه.

أقــول: و«المناص» هو الملجــأ، ولكنه لم يرد إلا في حــيــز النفي، وجــاء: قــوله تعــالى {ولات حين مناص}.

١٥ ـ وجاء في الاسم (نبض) قولهم:

«ما به حبض ولا نبض» أي ما به حركة.

أقول: ومــجيء «الإتبــا ع» وهو «حــبض نـبض» يأتي لتقوية النفي.

ان النبض مصدر «نبض العرق» ولكنه سبق بـ «حبض» وهو يفيد الحركة، وقد فتح اللفظان لاجل ما يشبه التركيب.

١٦ ـ وجاء في الفعل «نَغَى» قولهم:

«وما نغى فلان بحرف» أي ما تكلم.

أقــول: والفــعل «نغي» والمزيد «ناغى» يســتــعــمل في الإيجاب، إلا أن ما ذكرناه هو في حيِّز النفي.

١٧ ـ وجاء في الفعل (هيد) قولهم:

«لا يهيدنَّك هذا الأمر» أي لا يكْرُثُك.

أقول: وهاد لي الشيء يهيدني اذا كَرَثَني.

وقد يكون لأسلوب النفي إشارات لتقوية النفي، ومن هذه استعمال «شيء» لزيادة النفي كما في قوله تعــالى: {**ومــا قدروا الله حق قدره إذ قــالوا مــا أنزل الله على بشر من شيء**}.

أقــول: قــوله تعــالى: {**من شيء**} أريد به أي شيء، فــقــد جــاءت «من» مع النكرة لزيادة التنكيــر، وفي ذلك تقوية للنفي.

وقال تعالى: {**لو شــاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حُرمنا من شيء**} وهذا كثير في لغة التنزيل.

خاتمـة:

هذا موجز وقفت عليه في قراءتي لمواد العربية رأيت أن أجمعه.



الدلالة الاصطلاحية عند النحاة وارتباطها بالمجال التطبيقي

كان الدافع الاول للتفكير في وضع علم النحو يرجع الى إبعاد اللحن عن الذين تسرب الى ألسنتهم من الاعاجم الذين أسلموا، ثم الحرص على حفظ اللغة من التحريف لتبقى محافظة على هيكلها، ثم خلق التواصل المعنوي بين مدلولاتها وبين المتكلمين بها على اختلاف أجناسهم وعصورهم وأدى ذلك الى وجود تداخل بين جوانب شتى من المعرفة اللغوية، كان بعضها يرتبط باللفظ وبعضها يرتبط بالمعنى: وبعضها يرتبط بالنظم العام وتولد عن هذا التداخل علوم مختلفة كلها لها ارتباط باللغة العربية في شموليتها، إلا أنها تتنوع اهتماماتها فهي إما متصلة بالبنية اللفظية التى توجه اليها علم الصرف وإما متصلة بالإعراب الذي توجه اليه علم النحو، وإما متصلة بوضعية التركيب في مجاله المعنوي والبياني الذى تولى النظر فيه علم البلاغة.

ورغم هذه الاختصاصات التى فرضتها ظروف التصورات النظرية فإن استقلال كل منها لم يكن ليسمح بإهمال بعض ما يتعلق بغيره بحيث يمكننا أن نقرر بأن الإهمال المطلق للجوانب الاخرى في أي اختصاص قد يفسد على اللغة تماسكها وعلى الذوق شفافيته.

ويستنتج مما قررناه عدم استغناء الدارسين للغة عن كل مقوماتها ليستطيعوا بذلك تلقيم كل اتجاه بما يلائمه تلقيما لا يتسع اتساعا كبيرا يفسد على المتلقي طريق البلوغ الى اهدافه والا اصبحت تلك العلوم عائقا بين الشخص المعني بالخطاب وبين مدلولات اللغة المتولدة عن الابداعات الذاتية والهادفة الى خلق التواصل بين المتكلم والمخاطب بحيث لا يكون للغة دور اجتماعي أو فكري الا اذا كانت هناك قوانين قابلة للربط بين الطرفين لتعين على التفاهم ولتقوى الأواصر ولتساعد على الامتزاج الفكري والروحي والعملي، ولا تتيسر هذه القوانين والقواعد الا بوضع كليات ثابتة تندرج تحتها جزئيات مختلفة تقوى على الاندماج داخل تلك الكليات.



بقلم : محمد عبدالعزيز الدباغ

محافظ خزانة القرويين / بفاس - المغرب

ومن المعلوم ان اللغة العربية حين تأسيس علم النحو والعلوم الأخرى المعينة على استيعابها كان لها كيان يكاد يكون ثابتا وإنما اصبح الذين يضعون القواعد يبحثون عن بعض الكليات ليجعلوها سبيلا الى حفظ التوازن اللغوي. ولم يكن ليتيسر لهم ذلك إلا بالاستقراء والقياس واختيار المناهج التى يسيرون عليها، ثم بالعمل على تبرير المنهاج المختار وعلى تعليله حسب التصورات التى دفعت من سار عليه على اختياره وتفضيله دون غيره.

وعلى أساس هذه الاختيارات تولدت المدارس النحوية المعروفة كمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة والمدارس التوفيقية، كما تولدت الاتجاهات المعارضة التى رأت أن التحرر من قيود بعض النحويين ومن تعسفاتهم أفيد للغة من وضعها وحصرها في قوالب جامدة تتنافى مع روحها وواقعها.

والواقع يدفعنا الى الاعتزاز بمجهود كل الذين أسهموا بأفكارهم ودراساتهم لتحديد القالب اللغوي من جهة ولتحديد المفاهيم من خلال التراكيب من جهة اخرى، إلا أنه ينبغي أن تؤخذ تلك الدراسات بمنظور علمي بعيد عن التعصب، بعيد عن الاندفاعات المؤدية الى ضياع المجهود الفكري الذى بذله السابقون من اجل تقعيد اللغة وتيسير ايصالها الى الناس، فان لغتنا العربية مازالت في حاجة الى استغلال المجهودات الكبرى التي قام بها علماؤنا منذ ظهور الاسلام الى الآن، والى الاطلاع على مصطلحاتهم لنفهم من خلال ذلك كثيرا من الكتب النقدية، ولنساير من خلالها ما أنتجته القرائح العربية من الدراسات سواء على الصعيد الأدبي، أو على الصعيد الديني، فإن انفصالنا عن المجهود اللغوي قد يكون سبيلا الى انفصالنا عن المفاهيم التى ترتبت عنه في تفسير القرآن وتأويله، وفي تحديد بعض الأحكام. فليست الدراسات اللغوية العربية موضوعة من أجل الترفيه اللغوي، وإنما هي هادفة في كثير من أبعادها إلى فهم النصوص واستيعابها والى تقويم اللسان وتعويده على السير على منوال اللغة حتى يصبح التواصل قائما بينها وبين المستمع اليها على مر العصور، سواء من حيث بنيتها اللفظية أو من حيث بنيتها التركيبية. فعلم التصريف مثلا اذا كان له أثر في حفظ البنية اللفظية فان لعلم النحو اثراً كبيراً في تحديد أصول الإعراب إلا أن هذا التحديد تختلف أسبابه حسب ما ذكرناه من قبل فمن النحويين من يرجع ذلك الى عوامل لفظية أو معنوية، ومنهم من يرجعه الى المتكلم ذاته، ومنهم من يرجع ذلك الى طبيعة الشكل اللغوي.

وتعددت الأبحاث في ذلك والنظريات، وأصبح

بعض المنظرين للقواعد في عصر ابن قضاء الأندلسي الى الآن يستخفون بنظرية العامل ويرون أنها تعسف ما كان ينبغي له أن يستبد بالاتجاه اللغوي، في حين نرى عدداً آخر من النحاة يرون أن نظرية العامل إنما هي شكل من أشكال التفكير المنطقي الضروري لتقريب المبررات الصوتية للمتعلم بحيث تعتبر الحركة المبينة للمعنى المتولد عن الشخص إنما ظهرت بسبب وضع الكلمة المشتملة عليها في اطار تركيبي جعل لبعض الكلمات في التركيب اثراً في ذلك الوضع الذى وضعت عليه، ومن ثم لم يكن هناك فرق بين القصد الإنساني وبين التأثير بواسطة الالفاظ حسب ترتيبها ووضعيتها وحسب تقديمها أو تأخيرها.

ويمكن استغلال هذه الظاهرة في تعليم اللغة وفي تقريبها للمتعلمين في الدراسات الأولية والثانوية دون أن تتعمق في ذكر العلل التي جاء بها النحويون. فقد ذكر الزجاجي في كتاب الايضاح في علل النحو (٦٤) أن علل النحو ثلاثة أضرب: (علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية).

فالعلل التعليمية هي العلل الصورية التى توضح شكل الجملة دون التعمق في ذكر المبررات وهي أيسر التعليلات وأقربها الى تحقيق السلامة من الأخطاء والعلل القياسية هي التى يحاول بها النحويون تبرير ظاهرة من الظواهر وربطها بظاهرة اخرى، أما العلل الجدلية فهي التى يستعملها غالبا المعارضون للعلل القياسية. فالزجاجي حينما أراد التمثيل للعلة القياسية جاء بمثال يتعلق بنصب أن للمبتدأ ورفعها للخبر، وذلك كقولهم إن زيدا قائم، فذكر انه إذا قيل لمن نصب زيداً بإن لم وجب نصب إنّ لهذا الاسم؟ فيقول مثلا لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه فأعملت اعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله نحو (ضرب أخاك محمد) وما أشبه ذلك، ومثل للعلة الجدلية بمعارضة ذلك التبرير الموجود في العلة القياسية كقول القائل مثلا في علة إعمال إنّ المذكور سابقا وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها الى ما قدم مفعوله على فاعله نحو (ضرب زيداً عمرو) وهل شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الاصل وذلك فرع ثان؟ فأي علة دعتك الى الحاقها بالفروع دون الأصول الخ.

فهذه المتاهات العلمية يمكن الاستغناء عنها في المجال التلقيني بالعلة التعليمية المتجلية فيما حققه العامل في التبليغ النحوي، وأما العلتان الأخريان فيمكن ترك الاشتغال بهما للمتخصصين الذين قد يستنتجون منهما ما يعينهم على تطوير اللغة وتحوير طرق تلقينها.

والظاهر ان العلة التعليمية هي أقرب العلل الى ربط القواعد بالمصطلحات لأنها علل منطقية تعتمد على الشكل اكثر مما تعتمد على المعاني، وهذا هو الذى دفعنا الى القول بأن الدلالة الاصطلاحية عند النحاة قد تكون مرتبطة في المجال التطبيقي

بالصورة الشكلية وقد تكون مرتبطة بالاطار المعنوى.

وسنتحدث أولا عن المجال الشكلي فنقول:

إن ارتباط الدلالة الاصطلاحية بالمجال الشكلي يجعل العلة التعليمية قالباً يتقيد به المتعلم، وهذا القالب يتحكم في الصورة ولا يتحكم في المعنى بحيث إذا ذكرت المعاني فلغايات تقريبية ويمكن الاستدلال على ما نقول بأمثلة نذكر منها ما يأتي:

أولا: اسم التفضيل:

هو في الاصطلاح اسم مشتق على وزن أفعل يدل في الغالب على ان شيئين اشتركا في معنى وزاد احدهما على الآخر فيه، ولا فرق في هذا المعنى والزيادة بين أن يكون أمراً حميدا أو ذميما.

انما حقيقة هذه الزيادة قد تكون واضحة وقد تُؤَوَّل بأمر آخر، ولكنها رغم تأويلها فانها تبقى خاضعة للأحكام التى يسير عليها الأسلوب من حيث المطابقة أو غيرها ولا تخرج صيغة أفعل من ذلك الا اذا كانت بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة فإنها حينئذ تخضع لاحكام اخرى.

ومعنى هذا أن التعبير الاصطلاحي لأفعل التفضيل إنما يخضع لما تخضع له الصيغة مع تركيبها سواء دل على التفضيل أم لم يدل. اللهم إلا إذا اختلفت صورة التركيب فان أفعل حينئذ يبحث عن معناها الذي اختلف بسببه الشكل الترتيبي، ويتجلى ذلك كما قلنا سابقا في أفعل التى تأتي بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة.

فالاصطلاح إذن ليس مقيداً بالتفضيل معنى، وإنما هو مرتبط به صورة ولا مبرر لنقد المصطلحات اذا أبان أصحابها عن أهدافهم التى يقصدون، فالفرق الحاصل بين أفعل التفضيل (حُكما لا معنى) وبين أفعل التى هي بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة يتجلى فيما يأتي:

أولا: لا تأتي أفعل بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة مضافة لنكرة. مطلقا.

ثانيا: إذا أضيفت الي المعرفة وجبت المطابقة في حين أن أفعل التفضيل إذا أضيفت الى المعرفة فإنها يجوز فيها أن تطابق ويجوز فيها أن تلزم الافراد والتذكير.

ثالثا: إذا كانت أفعل مجردة من أل والإضافة فإنها في التفضيل يجب إفرادها وتذكيرها، أما عندما تكون بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة فالتذكير والإفراد هو الأشهر لكن تجوز المطابقة كقول الشاعر:

إذا غاب عنكم أسود العين كنتم
كراما وأنتم ما أقام ألائمُ

وعليه يخرج قول أبي نواس:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها
حصباء درّ على أرض من الذهب

وعليه فإذا كانت صيغة أفعل في غير هاتين الحالتين متفقة الاستعمال مع نظائرها فإنها تدمج في اسم التفضيل وان لم تكن دالة عليه، وتبقى صلاحية البحث عن مقتضى الحال أو الخروج عنه

الى علماء البلاغة والى شراح اللغة ولا يقبل حينئذ تخطيء النحويين فيما اصطلحوا عليه.

وقد تعرض ابن القطاع الصقلي المتوفي سنة ٥١٥هـ الى الإشكال الحاصل من اصطلاح افعل التفضيل حيث لاحظ أنها قد تدل على التفضيل، وقد تدل على غيره، واعتبر كون الذين يسمونها تفضيلا دائما مخطئون حيث قال في كتاب شرح المشكل من شعر المتنبي اثناء الحديث عن قول المتنبي:

يترشفن من فمي رشفات

هي فيه أحلى من ...

ما يأتي:

«ذهب كثير من الناس الى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع، وذلك غلط والصحيح أن أفعل تجيء في كلام العرب على خمسة أوجه في هذا المعنى.

أحدها: أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الآخر زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل، فهذا يكون حقيقة في الفضل لا مجازاً وذلك كقولك زيد أفضل من عمرو، وهذا السيف أصرم من هذا.

والثاني: أن يكون الأول من جنس الثاني ومحتملا للحاق به وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل نحو قولك الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو، وبيت المتنبي من هذا القبيل أي يترشفن من فمي رشفات هن فيه قريب من التوحيد.

والثالث: أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريباً منه والثاني دون الأول، فهذا يكون على الإخبار المحض، نحو قولك الشمس أضوأ من القمر، والأسد أجرأ من النمر.

والرابع: أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول في جنسه بالفضيلة فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني نحو قولك زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف.

والخامس: أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جداً فيكون هذا على المبالغة المحضة نحو قامته أتمُّ من الرمح، ووجهه أضوأ من الشمس، (عن البرقوقي وعن بحث للدكتور محسن عياض بمجلة المورد العدد السادس الخاص بالمتنبي).

وما سار عليه ابن القطاع هنا يساعد على فهم بعض النصوص، ولكنه في الواقع تقَوّل على الذين نسب اليهم الغلط ما لم يقولوا لأنهم هم أنفسهم لا يمكنهم أن يخالفوه في مضمون كلامه، وإنما السبب في تغليطه لهم أنه لم يحدد مفهوم اصطلاحهم. ولو حدد ذلك المفهوم بما شرحناه سابقا لما تسرع الى ذلك الحكم إذ من المعلوم أن كثيرا من الخلافات بين الباحثين والنقاد قد تكون ناتجة عن عدم اعتبار الدوافع التي كانت سبباً من اسباب اختيار الطرق الأخرى لاتجاه من الاتجاهات، فإذا استحضرت تلك الاعتبارات قلّت كثير من المعارضات وزالت كثير من الخلافات.

ثانياً. ألف التأنيث الممدودة:

تحدث النحويون عن أسباب المنع من الصرف وذكروا منها اختتام الكلمة بألف التأنيث المقصورة أو الممدودة إلا أنهم لم يحددوا معنى التأنيث هنا كما حددوه في العَلَم المؤنث فهم هناك **قسموا المؤنث الى ثلاثة أنواع:**

المؤنث المعنوي كزينب.

والمؤنث اللفظي كحمزة ومعاوية.

والمؤنث الجامع بين المعنى واللفظ كفاطمة.

وفي كل الأحوال يكون العَلَم هناك ممنوعا من الصرف أما في ألف التأنيث الممدودة فإنهم اكتفوا بالأمثلة التى تبين بأن هذا الاصطلاح يطلق على المؤنث كصحراء ونفساء، ويطلق على المفرد المذكر كزكرياء، ويطلق على جمع التكسير المختوم بها كأصدقاء وفقراء. ولم يصرحوا بأن التأنيث قد يكون لفظيا فقط وقد يكون لفظيا ومعنوياً في آن واحد، ولا يتصور هنا التأنيث المعنوي دون اللفظي لأن الف التأنيث هنا لا تنفصل عن الكلمة.

وعليه فاصطلاح النحاة هنا ليس من لوازمه أن تكون الدلالة حقيقية ما دام الهدف من ذلك تحديد الجانب اللفظي الدافع الى ان تكون الكلمة عند الإعراب ممنوعة من الصرف فالهدف الصوري كان تأثيره أقوى من الهدف المعنوي. وهذا نوع من الاصطلاحات إذا ارتبط به المتعلم سلمت لغته من الخطأ وابتعد لسانه عن اللحن. واني أرى أن هذا التفريق ينبغي الإشارة إليه صراحة في كتب النحو، وألا يكتفى في ذلك بالإيماء أو بالأمثلة ليتيسر لطالبي اللغة أن يفهموها دون عناء، ولا بأس أن يقرر هؤلاء الملقنون ما يتعلق بهذه الألف وأن يقربوها للمتعلمين لتتجلى لهم حقيقتها فهي ألف متطرفة دالة على التأنيث تزاد عادة بعد ألف زائدة ولكنها لتطرفها بعد مد قلبت همزة فأصل حمراء حمراا بألفين ويقال في إعلالها تطرفت الألف بعد مد فقلبت همزة فصارت حمراء. وهكذا في جميع النظائر شأنها شأن الواو والياء إذا تطرفتا بعد ألف فإنهما تقلبان همزة كما في بناء ودعاء، وهذا التشبيه يتعلق بالاعلال فقط ولا دخل فيه لأصالة الحرف أو عدم أصالته لأن الهمزة في حمراء منقلبة عن ألف زائدة للتأنيث في حين أن همزة بناء منقلبة عن ياء اصلية، وهمزة دعاء منقلبة عن واو أصلية واذا اتضح لنا ذلك تبين لنا أن ألف التأنيث الممدودة عبارة عن الألف التى انقلبت همزة. وهي الموجودة بعد الألف الزائدة، ويكون الألفان معاً زائدتين وحينئذ لا تصبح الكلمة ممنوعة من الصرف إلا إذا كانت هذه الزيادة واضحة في الحرفين معاً، أما اذا كانت الهمزة أصلية كأنباء جمع نبأ أو منقلبة عن اصل كأبناء جمع ابن، أو ملحقة بأصل كحرباء، فان الاسم يصرف حينئذ.

ولقد تنبه بعض الأقدمين الى ضرورة تعداد أنواع الأمثلة والى تفصيل أقسامها فلقد قال الزبيدي في كتابه الواضح في العربية (تحقيق الدكتور أمين علي السيد دار المعارف بمصر ١٩٧٥ صفحة ١٥٣)، «ما كان من الأسماء والصفات آخره ألف التأنيث الممدودة جمعا كان أو واحدا فهو غير

متصرف في معرفة ولا نكرة من ذلك ما كان مؤنثا لأفعل نحو حمراء وخضراء وشهباء وبيضاء وكذلك ما جاء على غير هذا المثال مما في آخره ألف التأنيث المدودة مثل نفساء وعشراء وقوباء وزكرياء وعاشوراء ومن الجمع مثل أصفياء وأصدقاء وخلطاء وعرفاء».

إن الزبيدي في هذا التقسيم يوحي للمتعلم بصفة غير مباشرة الى ما قررناه من أن ألف التأنيث المدودة قد تكون دالة على التأنيث حقيقة في الصفة كحمراء، وفي الاسم كنفساء، وقد تكون الدلالة لفظية فقط كما في زكرياء بالنسبة للمفرد، وكما في اصدقاء وخلطاء بالنسبة للجمع.

ومما ينبغي أن يعرف في هذا الباب أن علماء اللغة يصفون الحرف الأخير بما قبله فإذا قالوا مثلا ألف التأنيث المدودة فمرادهم من ذلك ألف التأنيث المسبوقة بمد مثلهم مثل العروضيين وارباب القوافي حينما يقولون في الروي انه مردوف فإن مرادهم من ذلك أنه مسبوق بردف. ومن المؤلفين من لم يقتصروا على ذكر الكلمة موصوفة بل نصوا على حقيقتها، فهذا سيبويه رحمه الله عقد باباً خاصاً لهذا الموضوع في كتابه فقال: باب ما لحقته ألف التأنيث بعد ألف فمنعه ذلك من الانصراف في النكرة والمعرفة، (كتاب سيبويه ج ٢ ص ١٢ منشورات مؤسسة الأعلمي). ثم جاء بأمثلة عامة تشمل جميع الأنواع وبعدها حاول أن يتحدث عن الإعلال بالقلب الحاصل في الألف الثانية الدالة على التأنيث والمبدلة همزة فقال: «والالف اذا كانت بعد ألف: مثلها إذا كانت وحدها إلا أنك همزت الآخرة للتحرك، لأنه لا ينجزم حرفان، فصارت الهمزة التى هي بدل من الألف بمنزلة الألف لو لم تبدل، وجرى عليها ما كان يجرى عليها إذا كانت ثابتة كما صارت الهاء في هراق بمنزلة أراق.

ومعنى كلامه أن الهمزة الأخيرة ليست همزة وإنما هي ألف التأنيث ، وأن ألف التأنيث تمنع الاسم والصفة من الصرف سواء كانت وحدها كجرحى وحُبلى أو كانت قبلها ألف زائدة كما هو موضوعنا الآن.

وتطرق سيبويه إلى همزة الالحاق في فعلاء بكسر الفاء وفُعلاء بضم الفاء باعتبار أن هذين الوزنين لهما نظير في الأسماء التى تختم بحرف غير الألف يمكن قلبه همزة باعتبار انه مقلوب عن ياء لا عن ألف وذلك مثل حرباء وعلباء إلحاقاً بسرحان، ومثل قوباء إلحاقا بقسطاس وقال في هذا الصدد: فإن قلت ما بال علباء وخرباء فإن هذه الهمزة التى بعد الألف انما هي بدل من ياء كالياء التى في درحاية وأشباهها فإنما جاءت هاتان الزيادتان هنا لتلحقا علباء وجرباء بسرداح وسربال ألا ترى أن هذه الألف والياء لا تلحقان اسما فيكون أوله مفتوحا لأنه ليس في الكلام مثل سرداح ولا سربال (اي بفتح الأول) وانما تلحقان لتجعلا بنيات الثلاثة على هذا المثال والبناء فصارت هذه الياء بمنزلة ياء هي من نفس الحرف ولا تلحق ألفان للتأنيث شيئا فتلحقا هذا البناء به ولا تلحق ألفان للتأنيث شيئا على ثلاثة احرف وأول الاسم مضموم أو مكسور.

وذلك لأن هذه الياء والألف انما تلحقان لتبلغا بنيات الثلاثة بسرداح وقسطاس ولا تزادان ها هنا الا لهذا فلم تشركهما الألفان اللتان للتأنيث كما لم تشركا الالفين في مواضعهما.

وعلى كل حال فان الغرض من التعرض لهذه الجزئية هو الإشعار بأن تحديد مفهوم المصطلحات ضروري للربط بين الأبعاد النحوية والصرفية وبين استعمالاتها.

ورغم الدقة في وضعية هذه الألف، فإن النحويين وجدوا انفسهم مضطرين إزاء كلمة اشياء واختلفت التأويلات في منعها من الصرف ويمكن ان تعتبر شاذة وأن كل وزن على أفعال مصروف إلا هذه الكلمة، ويمكن أن نسير على رأي البصريين الذين يرون أن هناك قلبا في هذه الكلمة بحيث يكون وزنها لفعاء بتقديم آخرها. والقلب نظام طبيعي عند العرب في كلامهم للتخفيف غالبا، وللابتعاد عن الاستثقال، وتكون الكلمة مختومة بألف التأنيث الممدودة وقد خص ابن الأنباري لها بابا في كتابه الإنصاف ودافع عن هذا الرأي رغم ان المعارضين ذكروا أن هذه الكلمة لو كان بها قلب وكانت بمثابة طرفاء لوجب أن لا يضاف العدد اليها من الثلاثة الى العشرة لأنه يشترط في المضاف الى العدد حينئذ أن يكون جمعاً لا مفرداً فدل ذلك على أن أشياء جمع وليست مقلوبة عن شيئاء واجاب ابن الأنباري عن ذلك بأنها وإن كانت صورتها صورة المفرد فان معناها معناه الجمع فهي في ذلك بمثابة قول الله تعالى {وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض} حيث إن كلمة رهط مفردة لفظا ومجموعة معنى وكذلك جرى هذا الحكم على شيئاء وطرفاء وحلفاء وغير ذلك فإذا قلبت أشياء فهي ظلت على ما كانت عليه من هذا المعنى.

ثالثا: الفاعل :

وهو اصطلاح عند البصريين يطلق على الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل ودل على الذى فعل الفعل، فاذا كان ذاك الاسم المرفوع غير متأخر عن الفعل وجاء مبتدأ به فإنه يعرف عندهم بالمبتدأ لا بالفاعل.

فالفاعل والمبتدأ كلاهما مسند إليه إلا أن المصطلح يتغير بتغير المكان ويقتضي هذا التغيير خصائص تركيبية تتعلق بالجملة في مجراها الخطابي. هذا وان الفاعل ذاته اصطلاح «شكلي» وليس تقريرا معنويا لأنه كما سبق قد يُسَمَّي فاعلا وهو لم يفعل شيئا وهذا النظام الشكلي ليس بدعا على المنهاج الذى سار عليه العرب في تركيب الجملة فقد ذكر الدكتور محمد الحلواني رحمه الله في بحث له بمجلة المناهل العدد ٢٦ مارس ١٩٨٣ أن منهاج العرب للجملة يجارى منهاجهم النحوي العام، وهو في عمومياته منهاج شكلي صياغي يفصل بين العلاقات النحوية والمعاني المنطقية فالفاعل الذهنية أو إن شئت بتعبير أوضح يفصل بين المعاني النحوية والمعاني المنطقية، فالفاعل مثلا هو ما ارتبط بالفعل بعلاقة إسنادية سواء أكان فاعلا حقيقة أم لم يكن. وبهذا يتساوى عندهم مثلا الزجاج والطفل في مثل

تحطم الزجاج واكل الطفل مع أن الزجاج لم يفعل شيئا بل وقع عليه في الحقيقة الواقعة فعل الفاعل.

وقوله هذا يسير في فلك واحد مع القسم الذى خصصناه للإطار الشكلي في المجال التطبيقي.

اما القسم الثاني الذى يراعي فيه المعنى فإنه ايضا يعد ملحظاً من ملاحظ بعض الأبواب التى تعرض لها النحويون خصوصا بالنسبة الى الاضافة والى الحروف ومعانيها، وإذا كانت الدقة واجبة في احترام جوانب المعنى اثناء التعليم العالي فان التعرض لذلك اثناء التعليم الأولي والثانوي لا يضر خصوصا إذا كان فهم النص يتوقف على ذلك.

فالإضافة مثلا عند النحويين في إطارها الشكلي تجعل المضاف اليه مجروراً ولكن تبقى ضرورة التحدث عما تفيده الإضافة من تعريف أو تخصيص، وعما يتلاءم معها من حروف مناسبة، لأن الاضافة عادة قد تكون لامية أو بيانية أو ظرفية فاللامية هي التي تأتي على تقدير اللام وتفيد المُلْك أو الاختصاص كقولهم هذا كتاب علي وحضرت اسبوع الفرس والبيانية ما كانت على تقدير من نحو هذا سوار ذهب أي سوار من ذهب، وتظهر في كل مضاف اليه اذا كان جنساً للمضاف ويصح فيها الإخبار بالمضاف إليه نحو هذا السوار ذهب وأما الظرفية فهي التي تفسر بفي ويكون المضاف اليه فيها ظرفا نحو قيام الليل ودخول المسجد.

وهذه المعاني ضرورية في تقديم القواعد المتعلقة بالاضافة في جميع مراحل التعليم وجر المضاف اليه ضروري والعلة التعليمية تقتضي أن يكون العامل في الجر هو ذلك الحرف المقدر كما ذهب اليه البصريون. ولا يضر أن يكون العامل هو المضاف كما ذهب الكوفيون، لأن الجانب الشكلي أمر واقع والمعنى ملحوظ ولأن الهدف هو تمكين المتكلم من التعبير السليم والفهم السليم وكل ذلك يمكن البلوغ اليه من الصورة الشكلية والعلة التعليمية لكن يجوز في التعليم العالي عند ذوي الاختصاص أن يتحدث عن العامل وأشكاله ولا ضرر في ذلك لأن المؤهلات العلمية تكون قد استعدت للقبول، ولان الملكة قد تجعل الطالب قادرا على استيعاب الموجود، وعلى اضافة ما يمكن اضافته لتقريب اللغة الى الراغبين في تعلمها.

ومن الجزئيات التي يمكن التحدث عنها في هذا القسم الذى يلاحظ فيه الجانب المعنوي في المجال التطبيقي حرف الواو الداخل على الفعل المضارع وما يترتب على معناه من تغيير لما بعده، ذلك أن القصد المعنوي له أثر في تغيير شكل المضارع فالنحويون مثلا يمثلون لواو المعية بقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن ويذكرون هنا ان الفعل المضارع الموجود بعد هذه الواو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعدها ويسمون هذه الواو بواو المعية لأن النهي مسلط على الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن، أما إذا أراد الشخص تناول أحدهما على حدة كان ذلك غير محظور فإذا كان القصد صب النهي عن الأكل والشرب فان الواو تكون واو عطف ويكون الفعل بعدها مجزوما كالأول. وأما اذا كان القصد هو

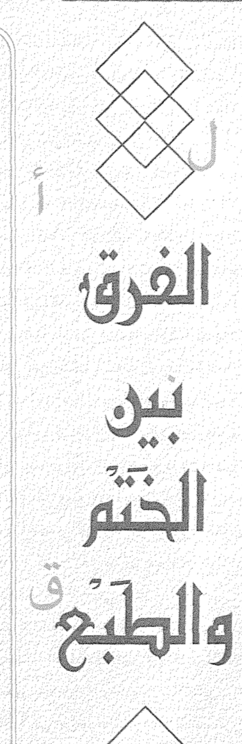
انصباب النهي عن الأكل دون الشرب فان المتكلم حينئذ يرفع الفعل وتكون الواو حينئذ للاستئناف.

فالاعتبارات المعنوية إذن لها اثر في وضعية التركيب ويجب الاعتناء بها اثناء التلقين.

وهكذا نرى ان المجالات التطبيقية تأخذ مسارين: المسار الأول يتعلق بمراعاة الدلالة الاصطلاحية إذا كانت شكلية. والمسار الثاني يتعلق بمراعاة الدلالة الاصطلاحية حينما تكون معنوية.

واللغة قابلة للمسارين معاً، والنحويون اجتهدوا في تبليغ ذلك حسب اجتهاداتهم وتأويلاتهم، ولم تكن الاجتهادات والتأويلات بعائق عن تعلم اللغة أثناء نصوع الحضارة العربية الإسلامية، وانما أصبح الأمر في العصر الحاضر ذا شأن خطير نظراً لكون الثقافة العربية زوحمت بثقافات أخرى وصارت الرغبة فيها قليلة، الشيء الذي دفع عدداً من المصلحين والعلماء للتفكير في البحث عن وسائل إنقاذها، ومن هؤلاء من ظن أن الأمر مرجعه الى تعقيد القواعد النحوية، ومنهم من ظن أن الامر مرجعه الى اشكالية الخط، ومنهم من توهم أن الأمر مرجعه الى القيود الفنية المهيمنة على القالب الشعري، ومنهم من ظن ان الأمر مرجعه الى سيطرة البلاغة القديمة وعدم توافقها مع الأسلوبية الحديثة الى غير ذلك من الظنون وأنا أرى أن أهم ما يجب التفكير فيه هو وجوب تغيير نظرة العربي إزاء نفسه فيعلم أن هاته اللغة لم تعجز قديما عن الإحاطة بما أنتجته الدراسات العلمية، كما ان شعرها لم يعجز عن اظهار شعور العرب في مختلف المجالات التى كانت تتلاءم مع عواطفهم ومع معاييرهم الفنية. ولذلك كان من الضروري استغلال هذه التوعية في استمالتهم للإقبال على تعلم هذه اللغة وعلى استغلالها في نقل العلوم وتدوين الأفكار ومسايرة التطور العالمي فاللغة فكر لا يمكن تطورها مع جمود اصحابها بحيث إذا ارتقت المدارك سايرتها اللغة في الارتقاء واصبح لها من الفعالية ما تثبت به وجودها في مختلف المجالات وحينئذ لا يتعذر تعلمها ولا استعمالها في الأطر التعليمية العامة سواء في الدراسات الأولى أو في التعليم الثانوي أو في التعليم العالي على اختلاف شعبه واختصاصاته، ولا تعود هناك تلك اللمزات المنسوبة الى قواعد اللغة لأن الرغبة في تعلمها تسهل الوسائل وهذا لا يمنع من البحث عن أيسر الطرق، لكن مع عدم اهمال الدراسات السابقة، ومع عدم نسيان العلل التعليمية فهي المقربة لحصر القواعد ، والميسرة للتعليم، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بموافقة الدلالات الاصطلاحية للمجال التطبيقي شكلا أو معنى.

ولا ريب ان للجامعة دوراً رياديا في تحقيق هذه الغاية لأن مهمة الجامعة تظهر في تكوين الملكات وتقوية الشعور بالمسؤولية، وتعليم طرق التفكير، وإلا صارت عائقاً من عوائق التقدم فإذا كانت الروح الإبداعية موازية للتلقي، وكانت روح العزة قوية في نفوس العرب فيستطيعون إن شاء الله استيعاب ما أبدعه السابقون وسيحرصون على الإضافة إليه في إطار مناسب لأصول البحث، غير بعيد عن المعقولية خال من التعصب والأنانية وعلى الله التوفيق.



قد يظن الإنسان أن الترادف في الكلمات يجعل بعضها يقوم مقام بعض، وهذا غير صحيح، وقد قدمنا من ذلك بعض الشيء، ولكن هذه الكلمات المشابهة المعاني ظاهراً، المختلفة عند التدقيق والنظر، تعطيك أمراً واضحاً - أحياناً - أن هذه الكلمات، وإن تشابهت معانيها فيما يرى القارئ لها إلا أنه بعد التفكر فيها والنظر في كتب اللغة، أنه يفترق بعضها عن بعض في الشدة وفي القسوة والغلظة، وكلامنا هنا عن كلمتين من هذا القبيل، فالفرق بين كلمتي خَتم وطَبَع جاء على هذا المنوال، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم هاتين الكلمتين مراراً، فما هو الفرق بينهما؟.

الفرق بينهما:

أن كلمة (خَتَم) تُنبيء عن إتمام الشيء، وقطع فعله وعمله، تقول ختمت القرآن: أي أتممت حفظه، وقرأته، وقطعت قراءته، ولا يقال ختمت الكنز، إلا إذا كان ذلك آخر ما تفعل به لحفظه، والأصل في الختم، ختم الكتاب؛ لأنه لا يكون إلا بعد الفراغ منه[١]، ولذلك جاءت الآيات مقررة لهذه المعاني، لأن القرآن حفظ لنا هذه اللغة الجميلة البديعة، التى لا تضاهيها لغة في العالم، قال الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾[٢]، فكأن الله تعالى يريد أن يبين أن هؤلاء الناس لا ينفع فيهم العلاج، لأنا عرفنا أن الختم ينبيء عن إتمام الشيء، فكأن هؤلاء بعد كل الآيات والأحاديث، وبعد كل المواعظ أغلقوا قلوبهم وأسماعهم بأيديهم، حتى لا ينفذ إليها خير.



بقلم : د. ياسين بن ناصر الخطيب
- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

وانظر الى هذه الآية تريك كيف أن هناك قوماً علموا الحقيقة، ولكنهم تجاهلوها ونكصوا عنها وابتعدوا قال الله تعالى: {**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم، وخَتَم على سمعه وقلبه**}[٣] فهو قد علم الحقيقة ناصعة البياض {**على علم**} قال {صلى الله عليه وسلم} «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[٤]، ومع ذلك لم ينفعه علمه هذا بل اتخذ الهوى إلهه من دون الله، ومعلوم أن الهوى لا يدل على خير، ولا يوصل الى نفع، وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشحّ مُطاع، وإعجاب المرء بنفسه»[٥]، فجعل النبي {صلى الله عليه وسلم} الهوى المتبع أول الأشياء المهلكة للإنسان، فعرفنا أن هذا الإنسان لا ينفع فيه أي موعظة، لأنه علم الحق ولكنه اتبع هواه، فكأنه وصل الى مرحلة أن لا عودة الى الحق، فاستحق أن يختم الله تعالى على سمعه وقلبه، ومن هذا المعنى جاء قوله {صلى الله عليه وسلم} أصحاب الجنة «يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك»[٦] لأن المسلم عندما يشرب الكأس لا يشعر إلا بلذة طعم الشراب، لكن عندما ينتهي من الشراب تماماً، تفوح عليه رائحة المسك، فيشعر بتمام اللذة: طعم لذيذ ورائحة زكية، فجاء الختام هنا دالا على تمام الشيء، ومنه قوله تعالى {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}[٧]، فبه {صلى الله عليه وسلم} انتهت الرسالات وختمت النبوات، ومن هنا تبينا أن الختم إتمام الشيء وقطع فعله.

أما (الطبع) فهو غير الختم، أو هو الختم مع شدة وقوة لأن الطبع أثر في المطبوع ملازم له، فهو يفيد من معنى الثبوت واللزوم مالا يفيده الختم؛ ولهذا قيل طبع الدرهم طبعاً، فالطبع هو الأثر الذي يقع على الدرهم فلا يزول عنه، وإذا كان الإنسان على حالة ثابت عليها قالوا: طبع الإنسان على كذا؛ لأنه ثابت غير زائل عن تلك الحالة، فالطبع غاية النهاية في الشيء، فهو إذن يفيد بعد النهاية ثباتاً ومع الثبات لزوماً وعدم انفكاك[٨].

فبنو اسرائيل: لما عملوا مالا يرضي الله تعالى من أعمال شنيعة، قال الله تعالى عنهم {**فبما نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها فلا يؤمنون إلا قليلا، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله**} (الآيات) [٩].

فانظر الى هذه الآيات كيف بينت بوضوح أن الطبع على هذه القلوب، كان بعد كل هذه الأفعال الآثمة، أو بعد كل هذه الكبائر الموبقة: من نقض الميثاق، والكفر بآيات الله، ثم قتل الأنبياء بدون حق[١٠]، ثم استهزائهم وقولهم قلوبنا غلف، ثم تأكيد الكفر مرة أخرى بقولهم على مريم البهتان العظيم، وكذبهم وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم، كل هذه الأعمال بين الله تعالى أنها ليس فقط غلافاً على القلوب - كما زعموا - بل هي طبع عليها، وهذا الطبع لازم لها لا ينفك ولا يحول إلا قليلا، وهذا القليل ذكره الله تعالى لكي يترك مجالا لمن أراد أن يؤمن بالله من هؤلاء فكأنه يغريهم بهذا للدخول في الإيمان، وانظر الى الآيات من سورة التوبة فإنها بعد أن بينت فضائح المنافقين وما كادوه للنبي {صلى الله عليه وسلم}، وبعد أن بين أن المنافقين يستأذنون النبي {صلى الله عليه وسلم} ليأذن لهم في التخلف عن الجهاد بلا حق، ثم بعد أن بين أن النبي {صلى الله عليه وسلم} والذين معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ثم تكلم عن عذر الضعفاء {**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله**}[١١].

قال: {**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**}، وهكذا نعلم لماذا يكون المنافقون أشد عذاباً من الكفار، ولماذا جعلهم الله تعالى في الدرك الأسفل من النار، لأنهم حادوا عن الطريق بعد أن عاشوا مع المسلمين، وعرفوا الحق من الباطل، لكنهم نكصوا عن الحق، فهم لا يعلمون عاقبة أمرهم ولا عاقبة نفاقهم.

ومن سورة النحل[١٢] بين الله تعالى حال الكفار، فقال الله تعالى بعد أن بين أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، قال: {**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**} ثم بين أنهم يقولون عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه مفتر على الله جل جلاله ثم بين أنهم يقولون عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه إنما

يعلمه بشر، وليس هو وحياً من الله تعالى، ثم بين أن هؤلاء قد شرحوا للكفر صدورهم، فقال جل جلاله مبيناً عاقبة فعلهم هذا {ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} ثم بين جل جلاله أن {**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**} بعد كل ذلك قال: {**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون**} وبين نتيجة فعلهم فقال: {**لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**} فالطبع هنا كان على كل منافذ العلم التي بها يستطيع الإنسان أن يتعلم، قال الله تعالى: {**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**}[١٣] فبين الله تعالى أن هذه هي الأدوات التي يستطيع بها الإنسان أن يتعلم بعد أن كان لا يعلم، فماذا إذا طبع الله تعالى عليها؟.

وهكذا وبعد هذه الجولة في الآيات عرفنا معنى الختم ومعنى الطبع وعرفنا الفرق واضحاً بينهما، فسبحان من ضمن كتابه علوماً لا تعد.

الهوامش :

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٦، قال في المصباح المنير ١/١٧٦ وختمت القرآن حفظت خاتمته، وهي آخره والمعنى حفظت جميعه عن ظهر غيب.

(٢) البقرة/ ٧).

(٣) الجاثية/ ٢٣).

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١٢٦ وسنن ابن ماجه المقدمة رقم ١.

(٥) رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الأوسط.

(٦) المطففين/ ٢٥ ـ ٢٦).

(٧) الأحزاب/ ٥٠).

(٨) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٦ وقال الفيومي في المصباح المنير ٢/١٥: والطبع بالسكون ايضا الجبلة التى خلق الإنسان عليها.

(٩) النساء/ ١٥٥ ـ ١٥٧).

(١٠) معلوم أن قتل الأنبياء لا يكون بحق ولا بغير حق إطلاقا، لكن مع ذلك بين أن هؤلاء اليهود قتلوا الأنبياء بلا ذنب اقترفوه، إنما لمجرد أنهم يدعون الى الله تعالى.

(١١) التوبة/ ٩٠ ـ ٩٣).

(١٢) النحل/ ٩٩ ـ ١٠٩).

(١٣) النحل/ ٧٨).



معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي

لقد اطّلع الخليل بن أحمد على الرسائل اللغوية السابقة عليه فلاحظ أنها لا تسير في جمع اللغة على أساس علمي مقبول وأنها لا تخلو من تكرار، فلا يمكن عن طريقها أن تجمع الألفاظ جمعاً عاماً شاملا كما أراد الخليل. ورأى أيضاً أنها لا تفي بحاجة الباحثين وأن التدوين على هذا النحو لا يحقق الهدف المنشود الذي من أجله وضعت هذه المؤلفات وهو: حفظ اللغة من الضياع، ذلك أنها غير مستوعبة وغير حاصرة. ففكر الخليل في الأمر، ثم قدّر فهدى الى منهج يمكنه من تحقيق غرضه، ذلكم هو منهج التقليبات الصوتية، وعليه كان معجم «العين» للخليل[١].

مكانة معجم «العين»:

أما مكانة معجم «العين» في تاريخ المعاجم اللغوية: فلعل الخليل بتأليفه يعدّ أول من سعى الى وضع مصنف جامع، أراد به استيعاب جميع ألفاظ العربية، معتمداً في ذلك على ما صنفه سابقوه من تآليف مفردة، وإن كانت أيضاً معاجم متواضعة وكان التجديد الآخر - فيما يظهر - هو أنه - أي الخليل - رتّبه على نظام المخارج والتقاليب.

ومن الطبيعي أن يحظى معجم «العين» في زمان مبكر بمنزلة المصنف المحتذى في صناعة المعاجم وإذا كان في كتاب «العين» شيء من القصور، وإذا كان قد وُجِّه إليه شيء من النقد، فإن هذا أو ذاك لم يستطع أن يغضّ من شأنه، أو أن ينال من مكانته البارزة[٢].



بقلم : أ.د. محمد السيد على بلاسى

أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر

نسبة معجم «العين»:

يقول البروفيسور فؤاد سزكين: «والنقاش في هل ألف الخليل هذا المعجم أم أن النص المتداول ليس من تصنيفه، شديد التعقيد، ويرجع الى عصر متقدم وبعض المصادر تسند الى الليث بن المظفر دوراً بالغ الأهمية في رواية الكتاب وتعديله، بل حتى في إتمامه فيقال إنه استحوذ على الكتاب بعد موت الخليل وأتمه؛ ومن هنا كانت الأخطاء والأوهام الكثيرة فيه[٣].

ومهما يكن من أمر فلقد حسم هذه القضية بأدلة ملموسة الدكتور محمد رياض كريم في كتابه: «القول الفصل في نسبة كتاب العين للخليل»[٤] وأثبت أن معجم «العين» هو للخليل بن أحمد الفراهيدي.. وفقط.

لِمَ سُمّي بمعجم «العين»؟:

لقد فكّر الخليل بن أحمد الفراهيدي أول الأمر في جمع ألفاظ اللغة العربية بطريقة استقصائية حاصرة عن طريق متابعة الحروف الأبجدية إلا أن ذلك لم يتيسر له، حيث أوضح في مقدمة كتابه «العين» أن الحروف الأبجدية لم تسعفه في ذلك لأنه وجد أن الألف لا استقرار لها؛ فعدل عنها، ولمّا لم يبدأ بالحرف الأول، كره البدء بما يليه، وهو الباء، لذلك نجد أنه اتجه اتجاها آخر يحقق هدفه من خلاله، فجمع الألفاظ حسب مخارجها مراعياً في ذلك الناحية الصوتية، فبدأ الحروف الحلقية، وثنى باللسانية، وثلث بالشفوية، وختم بالجوفية.

وعندما تناول أوّل المخارج من الداخل، أو أبعدها من الخارج، نجد أنه رأى أن العين أوّل حروف الحلق قوة، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي: «قال ابن كيسان: سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة، أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها

مهموسة خفية، لا صوت لها، فنزلت الى الحيز الثاني وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»أ٠هـ[٥]٠

من هنا؛ كان السرّ في اختيار الخليل لمعجمه اسم «العين»٠

منهج الخليل في معجم «العين»:

١ ـ حشد ألفاظ اللغة وترتيبها على أساس صوتي، مترسماً في ذلك مخارج الحروف، فبدأ بالحلقية، ثم ثنى باللسانية، ثم ثلث بالشفوية، ثم أنهى بالجوفية[٦]٠

٢ ـ جرد الكلمات من زوائدها، فراعى الحروف الأصلية لكل كلمة[٧]٠

٣ ـ استقصى ألفاظ اللغة ناظراً الى أبنيتها التى حددها الصرفيون بأنها لا تخرج عن الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وجعلها أبواباً ووزع على ضوئها ما جمعه[٨]٠

٤ ـ مراعاة نظام التقليبات وذلك بحشد المفردات المؤلفة من حروف واحدة في موضع واحد[٩]٠

٥ ـ دعّم شرح المادة اللغوية بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشعر وفصيح الكلام[١٠]٠

طبعات الكتاب :

لقد ظلت مخطوطات معجم «العين» مختفية الى وقت قريب؛ مما جرّأ جرجي زيدان أن يقول: «وكتاب (العين) تحفة من تحف الأدب، وللخليل فضل كبير في وضعه وللأسف ضاع، وقد كان موجوداً حتى القرن الرابع عشر الميلادي ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكتبات الخاصة[١١]٠

هذا، وللعثور على هذا المعجم الخالد في العصر الحديث قصة يجلّيها لنا الدكتور عبد الله درويش إذ يقول: «لقد ساعدني الحظ على اكتشاف المخطوطة، فعثرت عليها أثناء إقامتي في لندن، إذ كان لابد لي الاطلاع عليها لإتمام بحث موضوع أطروحتي لدرجة الدكتوراه فعثرنا على نسخة في بغداد نقلت صورتها على «مايكروفيلم» اليّ في لندن، ثم عثرت على نسخة في ألمانيا في جامعة توبنجن، وهي منقولة عن نسخة بالكاظمية٠

وبعد عودتي للقاهرة، كان لابد لتحقيق الكتاب من الحصول على نسخة الكاظمية؛ لأنها أقدم تاريخاً من زميلتيها ولأنها أصل واحدة منهما؛ فسافرت الى بغداد عام ١٩٥٩م وهناك صورت نسخة الكاظمية، وأصبح في حوزتي ثلاث مخطوطات كاملات لا تختلف الواحدة عن الأخرى إلا بمقدار ما تختلف أي نسخة عن أخرى بسبب التصحيف أو التحريف أو نقل النساخ أو وهمهم.

هذا كله بجانب قطعة تمثل قسماً صغيراً من أول الكتاب كان الأب أنستاس الكرملي قد طبعها على عجل عام ١٩١٣م، ولم يقدر لها الذيوع[١٢].

هذا ولقد حقق الدكتور عبد الله درويش الجزء الأول فقط من الكتاب وطبع بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٧م.

وقد ظل باقي الكتاب مخطوطاً لم ير النور الى أن حقق الكتاب كله الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، وظهر في ثمانية أجزاء طبع الجزء الأول منه عام ١٩٨٠م والجزء الثامن عام ١٩٨٥م، وقد نشرته وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية[١٣].

الهوامش :

(١) انظر: المعجم العربي.. دراسة ونقداً: د. شعبان عبد العظيم، ص ٣٨، الطبعة الثانية - مطبعة الأمانة، سنة ١٤٠٣هـ.

(٢) راجع: تاريخ التراث العربي: البروفيسور فؤاد سزكين، ترجمة د. عرفة مصطفى، المجلد الثامن، الجزء الأول، ص ٨٠، ٨١، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ.

(٣) المرجع السابق: ص ٨٢.

(٤) انظر: كتاب القول الفصل في نسبة كتاب العين للخليل: للدكتور محمد رياض كريم، الطبعة الأولى - مطابع الشناوي بطنطا، سنة ١٤١٢هـ.

(٥) نظرات في المعاجم العربية: د. يحيى محمود على الجندي، ص ٤٩، ٥٠ بدون طبعة وتاريخ. وانظر المزهر: للسيوطي ١/٩٠، ط الحلبي.

(٦، ٧) المرجع السابق ص ٥٢.

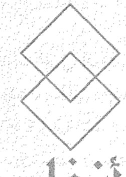
(٨، ٩، ١٠) المعجم العربي.. دراسة ونقدا: ص ٣٩، ٤٠.

(١١) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، ٢/٤٣٠، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، سنة ١٩٨٣م.

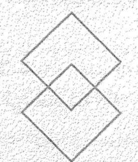
(١٢) العين: للخليل، تحقيق د. عبد الله درويش ١/٣، ٤، ط. مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٧.

(١٣) القول الفصل: د. كريم، ص ٨.





أنغام الميكرفون في عُرس ابن خلدون !



* في أحد المجالس الزاهرة بمدينة القاهرة أصغى التلاميذ لحديث شيخهم الأريب ابن تغري بردي[١]

قال : حدثني شيخي أبو العباس القلقشندي[٢] عن العلامة ابن خلدون[٣] وما جمع من المعارف والفنون، وأنه إمام المؤرخين، وشيخ المحققين، وحكيم التربويين، والمنشيء الأول لعلم الاجتماع لخدمة الباحثين عن العادات والطباع ومصالح الانتفاع.

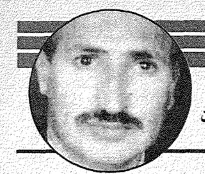
قلت : يا أبا العباس، قد بالغت في وصف الرجل، وأنت الموسوم بالنزاهة وعفة اليراع والبعد عن الانحياز والأطماع !

قال : سامحك الله يا أبا المحاسن، والله لو رأيت ابن خلدون لذبت في حبه كليلى والمجنون، ولكنت أشد المعجبين بعلمه والصادحين بأدبه والمنافحين عن سمعته وفضله !

قلت : وهل حظيت برؤيته ولقائه والنهل من آرائه يا أبا العباس؟

قال : كيف لم أحظ بملازمته، وقد نزل ضيفاً عليَّ لما جاء الى القاهرة من أرض المغرب بعد أن شغل كتابة العلامة[٤]، وتبوأ الصدارة في الوزارة، وطرد وسجن، وأخرج من الوطن، فآثر السلامة فقصد أرضنا العامرة وسلطاننا (برقوق)[٥].

قلت : فما فعل السلطان برقوق بالضيف الكبير والعلامة النحرير؟



بقلم : **د. أحمد عطية السعودي** - الأردن

قال : أكرم مثواه، وأحسن مأواه، وأجرى بين يديه سيل المال، وولاه التدريس والقضاء، فأقام على الاشتغال بالعلم. فلما سمع التلاميذ بقدومه انثالوا عليه من كل حدب وصوب حتى اكتظ الجامع الأزهر بهم. فلما اطمأن أرسل الى أهله وولده ليلحقوا به، فوقعت الكارثة، ونزلت الجائحة الجارفة[٦].

قلت : وما ذاك يا أبا العباس؟

قال : «لما ركب أهله البحر من تونس بالسفين، فما هو إلا أن وصلوا الى مرسى الاسكندرية، فعصفت بهم الرياح، وغرق المركب بمن فيه، وما فيه ، وذهب الموجود والمولود فعظم الأسف، واختلط الفكر»[٧].

قلت : وهل اتخذ أهلا من مصر بعد اللوعة والفرقة؟

قال : لما هدأت نفسه، وصفا فكره وحسّه، شاورني في أمر زواجه، فقلت له مداعباً:

لا تنكحنَّ عجوزاً إن دُعيت لها

وإن حُبيت على تزويجها الذهبا

فإن أتوك وقالوا: إنها نَصَفٌ

فإن أطيبَ نصْفيها الذي ذهبا[٨]!

قال : لا تخلط الجد بالهزل، هيا دلني على فتاة تليق بصديقك الأستاذ القاضي!

قلت : عجبا لك يا أبا زيد، عالم الاجتماع ولا تعرف فن التزويج والدعاية والترويج؟

أنا أدلك فاسمع نصيحتي، وعضّ عليها بالنواجذ، فقلت له مداعبا:

عليك إذا ما كنت لابدَّ ناكحاً

ذوات الثنايا الغرّ والأعين النُّجل

وكلَّ هضيم الكشْح خفاقة الحشا

قطُوف الخُطا بلهاء، وافرة العقل[٩]

فضحك بعد عبوس، وانفرجت أساريره، ثم انطلقنا وخطبنا له خريدة[١٠] خفاقة الحشا وافرة العقل يقال لها قطر الندى[١١].

فسرّ سروراً عظيماً، وأمر خدمه بإعداد الولائم وإشعال المصابيح، وندبني للإشراف على عرسه البهيج وحفلته الكبرى.

قال ابن تغري بردي: وكيف كان عرس ابن خلدون يا أبا العباس؟ قال: كان عرساً مشهوداً وحفلا محمودا، فقد حضره السلطان وأكابر الأمراء، وجمع من الأساتذة والقضاة، ووضعت لهم الأرائك والطنافس[١٢]، ونثرت على الحاضرين الجواهر والدنانير وصُبتْ على ابن خلدون التحف والهدايا، وجيء بالمنشدين والوعاظ والقُصاص، فأبدعوا وأجادوا، وأمتعوا وأفادوا!

قلت : وهل جارى ابن خلدون الناس في البذخ والإسراف في الأعراس؟!

قال : حاشاه يفعل فعلهم، فهو عالم الاجتماع، لا يفتأ يدعو الى البساطة والقناعة، والبعد عن الاستكثار من الأثاث والرياش، وتذكير الناس بحرمة لبس الذهب والحرير على الرجال وحرمة الاختلاط، وتحذيرهم من العادات القبيحة والتقاليد الشنيعة كالرقص والغناء الماجن واللباس الشفاف الفاضح المخالف للشريعة.

قلت : ومن شهد عرسه من الأعلام الفضلاء والأدباء الأجلاء؟

قال : جمع غفير كالسيل الغزير من أهل مصر واليمن والشام والأندلس، كان في مقدمة صفوفهم لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين وذو العُمْرين[١٣] والمعجمي اللغوي الفيروز أبادي[١٤]، وصاحبه المقريزي شيخك صاحب «الخطط»[١٥] وتلميذه الوفي ابن حجر العسقلاني[١٦]! كما شهد عرسه من رعايا المسلمين أصدقاء وده القديم: بيكو، وأوجست كونت، وهربرت سبنسر، ودوركايم[١٧]، وجاءوا بآلة عجيبة فتنت الناس، وملكت عليهم الإحساس!.

قلت : ما هذه الآلة العجيبة يا أبا العباس؟!

قال : يسمونها الميكرفون، ونسميها المجهار أو اللاقط المأمون وهي في الهيف كغصن الزيزفون[١٨]، وفي الطول كعرْناس الذرة، تسري فيها حرارة ملتهبة، فتحول موجات الصوت في أحشائها، ثم تضخمه فيخرج حلواً جميلا عالياً رخيما.

قلت : هنيئا إذن للعريس ابن خلدون بهذا اللاقط المأمون فما كان شأن من رأوه؟

قال : حقا لقد سعد به الحاضرون، وانهال الناس من الحارات متعجبين من شدة الصوت خوف الفوت، وتصاغر ذوو الأصوات الجهورية[١٩] بعد أن تطاولوا بها زمنا.



وتسابق الأعيان والأمراء والأدباء والشعراء على التكلم من خلاله، والاستمتاع برونقه وظلاله! فأمسك ابن الخطيب بالمجهار، وهنأ صديقه ابن خلدون، ثم جاشت عواطفه فتذكر بلاده فقال:

بلادي التي عاطيتُ مشمولة الهوى
بأكنافها والعيش فينانُ مخضرُّ
وجوّي الذي ربّى جناحي وكرُهُ
فها أنذا مالي جناحٌ ولا وكرُ

فتأثر ابن خلدون وتذكر بلاده وقال: «إن ابن الخطيب أبكى سامعيه تأثرا وأسى[٢٠] فخذ يا أبا العباس الميكرفون، وأضحك الناس. فقمت امتثالا لأمره وقلت:

سيداتي وسادتي، أهلا وسهلا بكم في عرس عالمنا الجليل، مع هذه الباقة من الطرائف:

لقي رجل الشعبي وهو واقف مع زوجته يكلمها، فقال الرجل: أيكم الشعبي؟! فأشار الشعبي الى زوجته وقال: هذه!

وقيل لحضري: ما حد الشبع؟ قال: أن يحشى حتى يُخشى!

وجاء رجل الى الشعبي فقال: إني تزوجت امرأة فوجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها فردّها!! فضحك الناس، وسُرّ ابن خلدون ثم أخذ مني الميكروفون، وتحلق الناس حوله فغاص في أدق العلوم يحدثهم عن ضرورة الاجتماع الإنساني وطبائع العمران، وألوان البشر وأحوالهم وأخلاقهم، والأمم الوحشية والقبائل البدوية، والملك والخلافة والمراتب السلطانية، والبلدان والأمصار، والمعاش ووجوهه من الكسب والصنائع، والعلوم وأصنافها والتعليم وطرقه[٢١]. وذلك بأسلوب علمي رصين، ورونق أدبي مكين، وعبارة سهلة ساحرة، وشواهد كثيرة باهرة، والكل ينظر إليه، والعُجم الأربعة يكتبون مأخوذين مأسورين، حتى إذا فرغ صفقوا له، ثم زفوه الى عروسه قطر الندى وسط الهتاف والأنغام والنشيد. فما رأيته بعدها إلا باسما منعّما!

قلت : يا أبا العباس، ما صنع الشعراء لما رأوا الميكروفون بين يدي ابن خلدون؟

قال : كان منظر الميكروفونات - وهي مزينة الأعالي بالمصابيح الصغيرة - مثيراً لإلهام الشعراء فقال أحدهم يصف ذلك:

انظر الى منظر تلهيك بهجتُهُ
بمثله في البرايا يُضربُ المثلُ

نارٌ تلوحُ على الأغــــصـــان في

شجر لا النارُ تطفأ ولا الأغصانُ تشتعلُ!

وقال ابن رافع القيرواني وقد ظن الميكروفونات «جزراً» وهي متلألئة:

انظر الى الجــزر البـــديع كــأنه

في حُـسنه قـضبٌ من المرجــان

أوراقـــهُ كــزبرجــد في لونهـا

وقلوبُهُ صــيــغتْ من العــقـيــان

قلت : وماذا عن الكُتّاب والمصنفين؟

قال : احتفلوا بالميكروفون أيّ احتفال، وخصوه بالذكر في تآليفهم وتصانيفهم، وعالجوا شؤونه من وجهة الدين، فألف ابن ميمون للتلاميذ وطلبة العلم «آداب المتكلمين بالميكروفون من المتعلمين» وذكره الفيروز أبادي في قاموسه المحيط فقال: «الميكرفون: جهاز مؤتلف من كلمتين: ميكرو أي المتناهي في الصغر، وفون على وزن جون، وهو الصوت. يقال: تلفون، وفونوغراف، وهما معروفان! وفونتيك أي علم الصوت. قال أبو عبيدة: أصله ميكروب شُبّه به لخطورة التكلم فيه: ولأنه يسري في هوائه سريان المرض. قال ابن دريد: أخطأ ابو عبيدة بل أصله المكر هون، وهون لهجة بني دميم[٢٢] بمعنى هنا يبدلون الفاء هاء. قلت هو مجهار[ج] مجاهير قلتُ: أحسنت أبا العباس، فقد رغبتني في وضع فصل عنه في كتابي (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة). أمّا أنت فماذا ألفت؟! قال: أنا الذي رأيت الميكروفون بأم عيني، وتكلمتُ فيه، وصدحتُ وخطبتُ، تسألني ماذا كتبتُ عنه؟! ارجع الى كتابي «صبح الأعشى في صناعة الانشا» وستقرأ في جزئه الأول:

«أنغام الميكروفون في عُرس ابن خلدون»!!

الهوامش :

(١) ابن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، قاهري المولد والوفاة، تتلمذ على أستاذه المقريزي، له «النجوم الزاهرة» وكتب قيمة غيره، ت ٨٧٤هـ (لم يدرك ابن خلدون).

(٢) القلقشندي: أبو العباس، المؤرخ الأديب البحاثة، صاحب «صبح الأعشى» توفي بالقاهرة (٨٢١هـ).

(٣) ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ وحفظ القرآن الكريم بقراءاته السبع، ودرس علوم الفقه واللغة والأدب والفلسفة والتاريخ على أئمة مشهورين، شغل مناصب وزارية كثيرة. رحل الى الأندلس، وفي سنة ٧٨٤هـ ارتحل



الى القاهرة، والتقى في دمشق بالطاغية تيمورلنك، له كتاب «العبر» و«المقدمة» و«التعريف بابن خلدون» ت٨٠٨هـ.

(٤) كتابة العلامة، سميت بذلك لأنه كان يضع علامة في اسفل مكتوباته.

(٥) برقوق: الملك الظاهر سيف الدين، مملوكي، فتح دمشق، وانتصر على جيش تيمورلنك ت ١٣٨٢م.

(٦) الجائحة : المصيبة «ج» جوائح.

(٧) مقتبس من كلام ابن خلدون.

(٨) حبيت: أعطيت. نصف: امرأة كهلة «ج» أنصاف، ونصف.

(٩) عين نجلاء: حسنة متسعة. هضيم الكشح: لطيفة ما بين الخاصرة والضلوع. خفاقة الحشا: هيفاء ضامرة الخصر. قطوف الخطا: بطيئة السير. بلهاء: ناعمة.

(١٠) الخريدة : الفتاة الحيية.

(١١) لا دليل على أن ابن خلدون تزوج بعد غرق أهله، وإنما الحكاية متخيلة!

(١٢) الطنافس : مفردها طنفسة: البساط.

(١٣) ابن الخطيب : أديب ومؤرخ أندلسي، كان صديقا لابن خلدون، له «الإحاطة في أخبار غرناطة» ت ٧٧٦هـ.

(١٤) الفيروز أبادي: أحد أئمة اللغة والأدب، ولد بشيراز، زار مصر، توفي في زبيد (٨١٧هـ). له «القاموس المحيط» كان معاصرا لابن خلدون.

(١٥) المقريزي: تقي الدين احمد بن علي، قاهري المولد والوفاة، له كتاب «الخطط» عاش بين سنتي ٧٦٦هـ - ٨٤٥هـ.

(١٦) ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل، إمام في الحديث والتاريخ والتراجم، له «فتح الباري» أصله من عسقلان بفلسطين، قاهري المولد والوفاة، تعلم على يد ابن خلدون ونال منه اجازة، ت ٨٥٢هـ.

(١٧) هؤلاء من اشهر علماء الاجتماع في العصر الحديث.

(١٨) الزيزفون: شجر حرجي ابيض الخشب طريه، له زهر أبيض في المثل «هو كالزيزفون يزهر ولا يثمر»!

(١٩) صوت جهوري : شديد مرتفع.

(٢٠) مقتبس من كلام ابن خلدون في حفل استقبال ابن الخطيب بالمغرب.

(٢١) هذه مباحث مقدمة ابن خلدون.

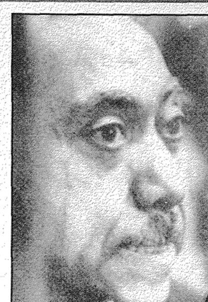
(٢٢) نقصد ببني تميم هؤلاء الذين ينطقون الكلام على غير وجهه الصحيح محبذين العامية والكلمات الأجنبية.

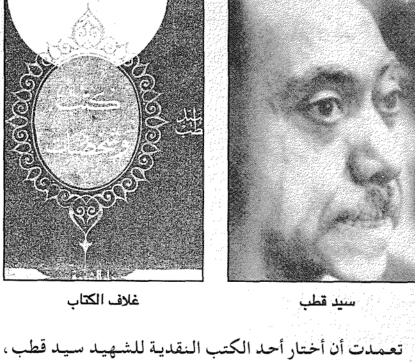




رحلة في المكتبة

١٩


سيد قطب


غلاف الكتاب

كتب وشخصيات

تأليف الأستاذ سيد قطب

تعمدت أن أختار أحد الكتب النقدية للشهيد سيد قطب، لأن فريقاً ممن يتحدثون عنه بعد وفاته ينكرون جهاده الأدبي السابق لمؤلفاته الإسلامية، مع أنه جهاد حافل في سبيل لغة القرآن، وكان للرجل اجتهاده الكبير في كل ما تعرض له من بحوث، ولا أبالغ إذا قلت إنه كان ناقداً موهوبا ممن صاروا بعده من كبار المؤلفين، كانت لهذا الناقد عبارته الحاسمة، ودفاعه الكاسح، وهجومه الزاحف الى قلاع كانت تعتبر حصينة، ولكنها دكت دكا بزحفه الواثق. وليس معنى هذا أنى أوافق الناقد الجاد في كل اجتهاداته، فقد كان يحارب عن اتجاه معين في التعبير والتفكير والتصوير، فإذا اتجه أديب الى غير ما يتجه ويقرر، فهو المخطىء الذى يجب أن يرتد الى الصواب، وصاحب الاتجاه المعين لا يجمع الكثيرون على رأيه، إذ يجد المعارض كما يجد المؤيد، ومن هنا اتسع المجال أمامي لأختلف معه في بعض ما يقرر من آراء.



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

وقد اخترت كتاب «كتب وشخصيات» لأنه يضم فصولا أولى عن التنظير والتقعيد، وفصولا تالية عن التطبيق الإبداعي لهذا التنظير، فهو كاف في بابه لأن يقدم وجهة نظر الكاتب كما اهتدى إليها بعد صيال دائم في دنيا النقد والإبداع.

ابتدأ سيد قطب كتابه بفصول نظرية تتحدث عن وظيفة النقد وعن الصلة بين النقد والفن، وعن الصور والظلال في الفن، وعن الوعي في الشعر، والنفس الإنسانية في الشعر العربي، والطبيعة في الشعر العربي، وهو كمجدد في حقل الإبداع الشعرى. ينظر الى التراث الشعري بمفهومه المعاصر الذى استقاه من قراءاته المتوالية في كتب الشرق والغرب فيراه لا يشبع رغبته، ويرى نصيبه من الفن الشعرى الحافل بالظلال والاضواء، المرتكز على اللمح والرمز والإيحاء، يرى نصيبه ضئيلا بالقياس الى شعراء الغرب، وأظن بعض النقاد قد واجهه برأي مخالف، حين ذكر أن الأستاذ قطب قد اعتمد على مختارات من الشعر الأوربي دون أن يلم بالدواوين الماما شاملا وأصحاب المختارات الشعرية يختارون الرائع الممتاز فحسب، وإذا كان سيد قطب قد قرأ الشعر العربي في دواوين شعرائه، فإنه يختار منه أحيانا مالا يصل الى الجودة ليقرنه بالنادر المختار من الشعر الأوربي وهنا يجد الفرق شاسعا، ثم إن أكثر الشعر في الدواوين العربية قد عبر عن تجربة صادقة، وأحسن التعبير تصويراً وتفكيرا، فلماذا نحكم عليه هذا الحكم! الحق أن سيد قطب كان ينشد مثلا أعلى يراه في خياله، ثم لا يجد ما يريده من التطبيق، فيسرع بالحكم العام!

على أن من المشاهد أن آراء الأستاذ سيد قطب في عالم الشعر قد وجدت سبيلها الى التطور، فهو فيما قبل ظهور كتاب «كتب وشخصيات» قد خاض معركة ضخمة على صفحات مجلة الرسالة ذهب فيها الى أن شعر **العقاد** هو أرقى أنواع الشعر وأن لفتاته الذهنية ذات براعة لا يصل إليها غير من جال جولاته في كتب الفلسفة والعلوم التجريبية والاجتماع وعلم النفس! وبهذا المقياس أخذ يحارب شعر **الرافعي** رحمه الله بضراوة قاتلة! ولكنه فيما كتبه في هذا الكتاب تحت عنوان (العقاد الشاعر) حاول أن يتراجع بلباقة فائقة حين ذكر[١] «أن العقاد في ديوانه - أعاصير مغرب - لا يجد فيه القارىء فورة الحماسة، ولا وهلة المفاجأة ولا تهاويل الحلم، وسيجد الشوط بعيدا بين العقاد الذى عرفه في دواوينه الأولى، والعقاد الذى يراه في هذا الديوان، مثله مثل الشاب في مستهل حياته يلبس البنّيقة المنشّاة، وينمق هندامه ويكوي ملابسه، فإذا جاوز هذا الطور ترك بنيقته مسترخية، وربما لبس القميص المفتوح وسار لا تعنيه النظرات، بل قد لا يحس بأحد.


العقاد


المازني

هنا تراجع دبلوماسي مهذب، ولكن الأستاذ بعد صدور (كتب وشخصيات) بسنوات تراجع تراجعاً مكشوفا حين اتهم العقاد بالعقلانية المفرطة في الذهنيه والوعى الذى يجني على رقة العاطفة، وتوهج الشعور.

فإذا تركنا البحوث النظرية الى البحوث التطبيقية، فإننا نجد الكاتب يسير مع اتجاهه الملتزم بمدرسة العقاد، فهو يرحب **بالمازني**. ويصب القذائف على شعر **شوقي**! ويوازن بين العقاد **وهيكل** ليرفع الأول سامقاً، ويهوى بالثاني هابطا وليس معنى ذلك أن الناقد يحابي قوماً، ويشاكس قوماً لذات المشاكسة والمحاباة، ولكن معناه أنه صادق في ما يعتقد صحته من نظريات النقد، وكل من خالف ما يعتقد فهو مجال التجريح والتخطئة، وحسب الناقد أن يكون صادقاً ما بينه وبين نفسه! فهو ينحاز لما يعتقد صوابه، وان لم يمد نظره الى آفاق أخرى أبعد مما ينحصر فيه اتجاهه! وقد يرى هذه الآفاق لا تستحق التأمل الطويل.

كتب سيد قطب موازناً بين اتجاه شوقى واتجاه **عزيز أباظة** في الشعر المسرحى فقال إن الإنسان يحس بالفارق الهائل[٢] بين الحياة الحارة، والصدق الطبيعى في قيس ولبنى لأباظة ويحس بالموت البارد والتلفيق المتهافت في مجنون ليلى لشوقى من ناحية رسم الشخصيات وإجراء الحوادث والعرض الفنى ولا من الطلاقة والقدرة على الأداء في الرواية الأولى، والاضطراب والتهافت في الرواية الثانية.

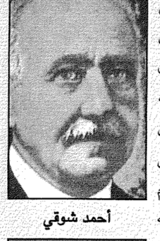
والحكم على مسرحية شوقى بالموت البارد، والتلفيق المتهافت شيء مستغرب وقد كان في إمكان سيد قطب أن يقول إن الحيوية في شعر أباظة أكثر منها في شعر شوقى! فيعطى القارىء انطباعاً بأنه غير متأثر بنظرة خاصة نحو شوقى، وقد مثلت رواية شوقى على المسرح فألهبت الأكف بالتصفيق! ومن مبتدعات شوقى في مجنون ليلى المشهد الرائع الذى تحدث عن وادى عبقر بجنه وشياطينه، وما دار من حوار خالب بين المتكلمين، وانقسامهم فريقين، فريق مع المجنون وفريق عليه، هذا المشهد المبدع ذو الخيال الواثب يراه الناقد حيلة من الحيل الرخيصة التى تنشئها قلة الموهبة للفت النظر حين تقل الحرارة الطبيعية الصادقة»، ثم ختم النقد بملاحظات نحوية عروضية اتضح أن لها وجها صحيحا لا خلاف عليه، وسيد قطب دارس مثقف لانه **لا يجهل وجه الصواب، ولكنه يتحامل.**

فإذا تركنا شوقى الى **محمود تيمور** فإننا نجد القسوة المفرطة ذات الحد الباتر، فالناقد يقرر أن **تيمور** من الوجهة التاريخية أحد الرواد[٣] لفن الأقصوصة في الأدب العربي، ولكن الحكم التاريخى شيء. والحكم الفني على قيمة عمله شيء آخر،

فللسابق فضله ولكن لا يمنحه هذا السبق قيمة أكبر من قيمته التاريخية.

والسؤال الذى نوجهه للناقد الكبير هو: هل كان الحكم التاريخى بسبق تيمور معتمدا على أسباب فنية، أو أنه حكم دون أسباب، إن الذين أكدوا سبقه الذى اعترف به الناقد، لم يقرءوا للرجل (حواديت) خالية من التصوير والتحليل، وكم جاء قبل تيمور مَنْ أكثر منْ هذه (الحواديت) فلم يلتفت إليه أحد، ولكنهم وجدوا اتجاهاً جديدا في تصوير الأشخاص، ورصد الطبائع، وتحليل الأحداث فحكموا لتيمور بهذا السبق التاريخى تبعاً لما أبداه من سبق فني! وقد يكون الرائد غير مكتمل الأدوات الفنية بالنسبة لبعض من تبعه ثم تفوق عليه، ولكنه ما كان رائدا إلا لأنه غرس البذور القوية في أرض الفن. وتعهدها بالسقيا حتى أصبحت تؤتى أكلها! فكيف نحكم عليه هذا الحكم البعيد!

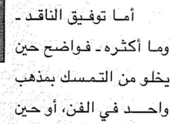
ثم قال سيد قطب: إنه كثيرا ما كان يتصور نفسه وهو يجول بين شخوص تيمور بأنه يجول في متحف الشمع، فتماثيل الشمع هى التى تمثل هذه الشخوص إذ ليست أجساماً حية تجرى فيها الدماء، فتتصرف تصرف الأحياء! وواقع الفن القصصى لدى تيمور ينكر ذلك، وكل أديب يهبط أحياناً في بعض نتاجه، فلا يكون هذا الهابط مقياساً عاما لكل ما أبدع!! وقد قال عن شخصيات تيمور إنها تؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية، فهي فاترة الضحكة[٤]، دانية الخطوة، باهتة الغضبة! والحق أن من يقرأ تصوير تيمور للحجّاج وعنترة، وامرىء القيس، لا يرى شيئا مما يقرره الناقد، والأحرى أن نقول إن الهدوء طبيعى في الحياة لبعض الشخصيات، والانفعال طبيعى لبعضها الآخر، وقد عبر تيمور عن الاتجاهين معا! هذا الى أن الرجل نفسه مسالم وديع، ومثله في وداعته مثل طاغور الذى أثنى سيد قطب كثيراً على بساطته وهدوئه وتسامحه بل على سكونه أحيانا، فهل نقيس بمقياسين؟



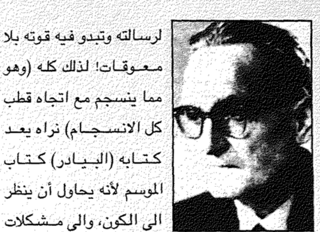
أحمد شوقي

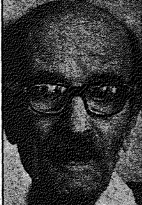


د. محمد حسين هيكل



أما توفيق الناقد ـ وما أكثره ـ فواضح حين يخلو من التمسك بمذهب واحد في الفن، أو حين يجد ما يوافقه من الاتجاهات الفنية لدى الأديب المنقود، هنا يكون سيد قطب الناقد في خير حالاته، وهنا يفصح عن مواهب نادرة مؤتلقة لا يستطيع كثير من النقاد أن يفصحوا عنها. لأن له عمقه الغائص، واستشفافه البعيد **فميخائيل نعيمة** أديب يتمتع بروح إنسانية عالية ترى البشر جميعاً في مستوى واحد، وترى الشرق بعد ذلك مهد الحضارة الروحية، ومنقذ الإنسانية من حمأة الضلال، وهو الذى يبذل جهده المتكرر ليلفت الشرق الى خصائصه الروحية، ويكشف له عن حقيقة قواه الكامنة ويدله على ميدانه الأصيل الذى يناسب طبيعته، ويتسع


محمود تيمور


ميخائيل نعيمه

لرسالته وتبدو فيه قوته بلا معوقات! لذلك كله (وهو مما ينسجم مع اتجاه قطب كل الانسجام) نراه يعد كتابه (البيادر) كتاب الموسم لأنه يحاول أن ينظر الى الكون، والى مشكلات الحياة الإنسانية بعين خاصة هي عين الشرق، وأن يحل مشكلاته بطريقة خاصة هي طريقة الشرق. وهذا وحده يجعل للكتاب قيمة خاصة.

والناقد يعجب كل الإعجاب بقول نعيمه[٥] «من أكمل كمالات العربية وأسماها تمييزها بين البصر والبصيرة، وجعلها الكلمتين فرعين من أرومة واحدة، فالبصر ومركزه العين يحصر كل همه في التقاط أشكال الأشياء وألوانها ومن أشكالها وألوانها يحاول أن ينفذ الى كنهها في حين أن البصيرة ومركزها القلب والوجدان همها الوصول الى بواطن الأشياء دون التلهى بظواهرها.. ثم بعد حديث يدور هذا المدار يقول نعيمة[٦]:

«إذا قلت لكم إن الشرق هو بصيرة العالم، وأن الغرب هو بصره فما إخالكم تسيئون فهم ما أقول، فتحسبون أن الشرق كله بصيرة ولا بصر، وأن الغرب كله بصر بلا بصيره.. فكل ما أرمي إليه هو القول بأن زبدة الشرق في بصيرته، وزبدة الغرب في بصره، اتبع الشرق هدى البصيرة فأنجب الأنبياء، واتبع الغرب هدى البصر فأنجب العلماء»

ما هي بالهدية الطفيفة أن تُهدى الى العالم بأسره اليقين من الإله الشفيق الرحيم العادل، أما الذى أهداه الغرب فمكتشفات قضت على محاسنها آلات التدمير الجهنمية، انه يعطى البشرية طيارات ومدافع ومدمرات ولكن هل يعطي البشرية آية منزلة، لم يستطع ولن يستطيع.

هذا الكلام يصفق له قطب من كل جوارحه، ونصفق له جميعا، لأنه يمحو مركب النقص الذى أسدل على العيون غشاوة كثيفة رأت بها الشرق متأخراً لأنه لم يخترع آلات التدمير كما اخترعها الغربَ ونسيت أن التدمير لبعث الفناء والرسل لبعث الحياة، كما يبعث الأمل حين يصرّح بأنه يجب الفرق بين الضعف والتخلف الموقوتين، وروح الشرق الأصيلة وتعاليمه الصحيحة، ولا تأخذنا الفتنة بالحضارة المادية الى حد الزراية على الأهداف الروحية».

واذا كان المؤلف باعث أمل، وكان الكتاب دليلا على القدرة التى تجيز هذا البعث، فقد أرضى شوق القارئ وطموحه، بل رفعه فوق مستواه بالبصيرة والبصر معا! وحق لسيد قطب أن يشيد بصاحب هذه اللمسات المتفائلة لأنها دفع بالمسيرة الى الأمام.

وهذه الروح التى دعت سيد قطب الى تأييد الأستاذ ميخائيل نعيمه في اعتزازه بالشرق، هي نفس الروح التى دعت الناقد الكبير الى تأييد

الأستاذ **عبد المنعم خلاف** في اعتزازه بالإنسان، لأن كتابه (أومن بالإنسان) محاولة قوية لبث روح الإيمان بالإنسانية، والرجاء في مصيرها البعيد، والتفاؤل بمستقبلها الموعود والثقة في ضميرها، وفي عناية القوة الإلهية بها، وتمجيد الكائن الإنساني، وبيان أنه مقصود لذاته، فلم يكن مجيئه الى هذا الكون فلتة غير مقصودة، وإنما هناك وظيفة له لا يؤديها سواه.

والكتاب يتفق مع كتاب نعيمة في بعض اتجاهاته، التى يقول فيها (نحن ورثة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد، أولئك الآباء الذين عذبوا في سبيل الإنسانية، وقدموا لها وهى في مهد حياتها رسالات الروح والخلق، وإن الشعوب الأوربية في الحرب العالمية الثانية ـ قد شربت من الدم والوحل حتى بشمت وزهدت، وتريد أن تسمع صوتاً يفتح لها حديث الرحمة والحب والتعاطف بعد أن تضع الحرب أوزارها.. إن الغربيين قدموا لنا عبقرية المادة، ونود أن نقدم لهم عبقرية الروح، وأن نريح أرواحهم كما أراحوا أجسامنا.

إن النبع واحد قد استقى منه نعيمة وخلاف معا، فوافقا رغبة قطب في إنقاذ البشرية، وقد كتب الله له أن يكون من أكبر دعاة الإسلام فيما بعد، ليهدى الى هذا النبع الدافق مستنداً الى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول {صلى الله عليه وسلم}، ثم تقدم خطوة تالية فأتبع القول بالعمل، وظل يعمل حتى رزق الشهادة، فلحق بالأبرار.

أما نقاشه الجاد للأستاذ **شفيق جبرى** حين وقف وقفات نقدية لكتابه (العناصر النفسية عند العرب) فمن أوضح ما يدل على تعمقه البعيد في فهم روح الإسلام، وتقدير أعمال الرجال، وبخاصة في حديثه عن انتخاب الرعية لواليها، وموقف أبى بكر وعمر ثم معاوية! وما حكم به المؤلف على مسلك معاوية وعليّ في اتجاههما السياسي، إذ ذهب الأستاذ شفيق جبري الى أن خبرة الإمام علي بالأمور النفسية لم تكن على قدر صراحته، وموقفه من العدل في قسمة الأموال كان يستدعى بعض التساهل ليجذب اليه الناس.. وقد رد الأستاذ قطب[٧] بأن الفرق بعيد بين معرفة السلاح، واستخدام السلاح، فعليُ كرم الله وجهه كان يعرف كلّ ما يعرفه خصمه، ولكنه لا يسمح لمبادئه أن تتنازل عن مُثُل إنسانية تشرَّبها وقامت عليها حياته، وهنا الفرق بين رجل ورجل!.

لقد أثبت الأستاذ سيد قطب أنه كان موهوبا في كل ما زاوله من اتجاهات، موهوباً في الأدب والنقد موهوباً في نظرته الى الشرق بعيداً عن غشاوة الغرب، موهوباً في اختياره الدقيق لمواقف رجال التاريخ وفي طليعتهم رجال الصدر الأول من عهد الإسلام، وقد بقيت آثاره العلمية ناطقة بفضله، مخلدة لذكراه.

الهوامش :

(١) كتب وشخصيات ص ٩٠.

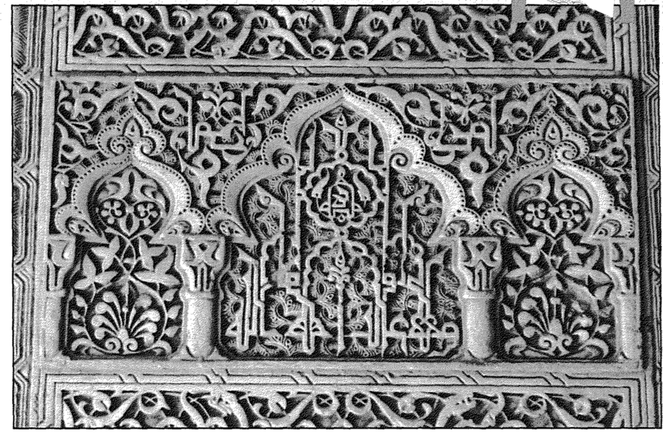
(٢) كتب وشخصيات ص ١٤٠.

(٣) كتب وشخصيات ص ١٧٣.

(٤) كتب وشخصيات ص ١٧٦.

(٥) كتب وشخصيات ص ٢٠٢.

(٦) كتب وشخصيات ص ٢٤١.



مسرحية (سقوط الأندلس)

في قاعة قصر ملك الأفرنج:

فرناندو: فيم تفكر ياسيدي؟

أراك حائراً تبدو علامات القلق على قسمات وجهك.

ملك الأفرنج: أفكر فيها.

فرناندو: ومن هي هذه الجميلة الحسناء التى سلبت عقلك ياسيدي؟

ملك الأفرنج: يا غبي إنها ليست امرأة.

فرناندو: إذن ماذا؟

ملك الأفرنج: الأندلس.. الأندلس يافرناندو.

فرناندو: وما الذي جعلك تفكر فيها بالذات؟

ملك الأفرنج: جمالها وخضرتها الغناء وتراثها الحضاري ووعيها الثقافي ومكانها الطبيعي، كل هذا جعلني أفكر فيها.

فرناندو: وهل ستحتلها مباشرة هكذا؟

ملك الأفرنج: وما الذي جعلني أفكر وأحتار إلا الطريقة التى تمكنني من الحصول عليها واحتلالها.

فرناندو: لابد إذن أن تتعرف على أهلها وعلى ثغورها ونقاط ضعفها وقوتها حتى تتمكن من غزوها وأنت مطمئن.

بقلم : سعود بن حامد الصاعدي

– مكة المكرمة –

ملك الأفرنج: بل لابد أن أتعرف على تاريخها من بدايته الى نهايته يافرناندو.

فرناندو : حسناً ياسيدي إن فانتر يعيش منذ زمن بعيد قرب تلك الأراضي ويعرف أحوالها فهل لك باستدعائه ياسيدي؟

ملك الأفرنج: أجل الآن .. الآن.

« عن يمين ملك الأفرنج »

فانتر : ياسيدي إن هذه الأرض عريقة وذات أصالة وحضارة وهي خليط من العرب المسلمين والأسبان.

وبداية حضارة هذه الأرض وإشراقها على الدنيا بدأ من العرب المسلمين.

ملك الأفرنج: العرب المسلمين .. ومن هم هؤلاء؟!

فانتر : إنهم قومٌ يعبدون الله ولهم نبي مرسل الى كافة الناس كما يقولون، وهدفهم في الحياة نشر دينهم ولهم كتاب سماوي ذو مباديء سامية ينهجون عليها.

وما تمسك أحدُ منهم بهذا الكتاب إلا أفلح وما حاد عنه أحدُ منهم إلا خسر.

ملك الأفرنج: يهز رأسه .. تابع الحديث..؟!

فانتر: وانطلاقاً من هذا المبدأ. أسس قائدهم عبد الرحمن الداخل المسمى صقر قريش دولتهم هنا.

ملك الأفرنج: ومن أين أتى هذا الصقر... من الصحراء!

فانتر : لا تهزأ ياسيدي!

نعم أتى من الصحراء.

أتى قاطعاً البحار والفيافي والقفار.

وأسس دولته هنا وتتابع أبناؤه وأحفاده وعشيرته على الملك حتى وصلوا الى ما وصلوا إليه الآن.

ملك الأفرنج: والأسبان ؟!

فانتر : الأسبان هم سكان البلاد الأصليون الذين اختلط بهم العنصر العربي المسلم.

ملك الأفرنج: هل حصل بينهم اشتباك ؟

فانتر : ولم هذا السؤال ؟

ملك الأفرنج: علّنا أن نستفيد من هذه النقطة في عملنا.

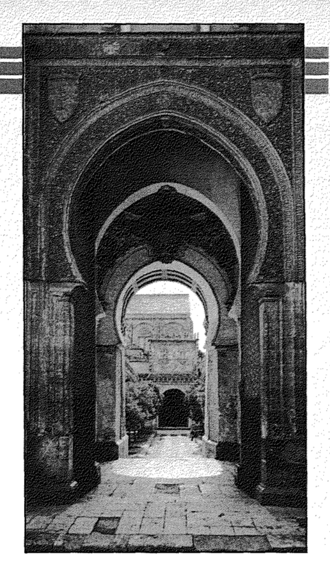
فانتر : لا ياسيدي .. بل الأسبان الذين دخل عليهم المسلمون أحبّوا المسلمين حباً دَاخَلَ بشاشةَ القلوب.

ملك الأفرنج: عجباً ما السبب؟ أما احتلوا أرضهم؟؟؟

فانتر : لا .. بل فتحوها وملأوها خيرات وحضارة ونشروا فيها العدل والسلام .. ولذا فقد أحبوهم ياسيدي.

ملك الأفرنج: الأمر صعب جداً إذن !

فانتر : مالصعب ياسيدي؟!



ملك الأفرنج: احتلال هذه الأرض.

فانتر : نعم ياسيدي .. إذا كانوا على ما هم عليه من تمسكهم بمبادىء دينهم.

ملك الأفرنج: إذا كانوا .. ماذا تقصد ؟!

فانتر : أقصد أن المتتبع لأحوال هذه الأمة يجدها متمسكة بتعاليم دينها، قوية فيه، وبه، ولكن قد تأخذ بعضهم الدنيا، وكلما امتدت بهم الايام يدب فيهم الضعف نتيجة اهمالهم دينهم وعدم تمسكهم بما كان عليه أسلافهم السابقون.

ملك الأفرنج: ماذا تقول ؟

فانتر: أقول ياسيدي: إن امتداد الزمن مع الدنيا وملذاتها ينسي بعضهم مصدرهم الأصلي ومبدأهم الذي فيه قوتهم، وجمال الدنيا يجذبهم؛ فيبتعدون عن دينهم ومنهجهم الذي هو أساس قوتهم.

ملك الأفرنج: وما العمل إذاً ؟

فانتر : العمل هو أن تعرف أحوال هذه الأمة مع كتابها ومنهجها.

ملك الأفرنج: وكيف أعرف ذلك ؟

فانتر : عن طريق المعاملة.

فمعاملتهم قائمة على الاجتماع والمحبة والألفة لأن دينهم يأمرهم بهذا.

ملك الأفرنج: وإن كانوا عكس ذلك.؟!

فانتر : فقد تخلوا عن منهجهم إذاً !

ملك الأفرنج: ويمكنني الهجوم.؟!

فانتر : بكل تأكيد .

ملك الأفرنج: وكيف أعرف ذلك.؟!

فانتر: عن طريق جاسوس يتطلع على أحوالهم ويبحث عن أخبارهم ويجوس في أسواقهم وشوارعهم ويرى هل هم على مبدأهم أم لا.

ملك الأفرنج: ولم السوق بالذات ؟

فانتر : لأنه مجتمع الناس بجميع الطبقات.

* * *

في سوق الأندلس:

الجاسوس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

البائع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته.. (مبتسماً).

الجاسوس: بكم هذا القماش الحريري.؟

البائع : أتريده لك ؟

الجاسوس : وما الذي يعنيك في ذلك.؟

البائع : أجل يعنيني.

إذا كنت تريده لك فلن أبيعه لأن ديني يأمرني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولبسك للحرير أمرٌ منكر.

الجاسوس : ولم منكر ؟!



البائع : لأن فيه فخراً وكبرياء وفيه كسر لقلوب الفقراء.

الجاسوس: أريده لزوجتي فبكم تبيعه ؟!

البائع : المتر بمائة دينار.

الجاسوس : هل هو من النوع الجيد؟.

البائع : نعم، ولكن هناك أجود منه.

الجاسوس : أين ؟!

البائع : عند البائع الذي بجواري.

الجاسوس : يكلم نفسه عجباً لهذا الترابط ويقلب نظره في السوق. الإبتسامات، التحايا، الحجاب والعفاف، النظام والصمت.

البائع : أستأذنك يارجل فإني أريد أن أقفل متجري.

الجاسوس : ولماذا.؟

البائع : بقى وقتٌ قصير عن صلاة الظهر.

«الدكاكين تغلق جميعها ».

« الهدوء في السوق ».

يرتفع صوت الأذان بعد فترة من الزمن.

الله أكبر .. الله أكبر

* * *

« **مكان القصر** » :

ملك الأفرنج: يقوم واقفا ويرى جاسوسه.

حسناً ماذا رأيت يادينري؟ !!

دينري : رأيت عجباً .

ملك الأفرنج: ماذا رأيت ؟!

دينري : صدقاً ووفاء ومحبة وتعاوناً.

فانتر : لا تستطيع ياسيدي.

ملك الأفرنج: ما العمل ؟

فانتر : انتظر سنوات!

ملك الأفرنج: سنوات!؟ وما ا لذي يصبرني كل هذا الزمن؟

فانتر : لابد أن تصبر وتعمل.

ملك الأفرنج: وما العمل الذي أعمله يا فانتر؟

فانتر : كأس وغانية.

ملك الأفرنج: كأس وغانية؟ !!

فانتر : إذا كنت تريد زعزعة مبادئهم فاشغلهم بها لأنك لا تستطيع عليهم إلا بهذا السلاح ياسيدي.

ملك الأفرنج: السلاح الفكري.

فانتر : نعم .. وبعده السلاح الجسدي.

لأنك لا تستطيع مقاومة أجساد بها أرواح قوية فإذا سلبت أرواحها ملكت أجسادها.

ملك الأفرنج: وكيف نتمكن من ذلك وهم على ما ترى؟.

فانتر : الأمر في غاية السهولة، عن طريق الرق.

ملك الأفرنج: وهل عندهم رقيق.؟

فانتر : نعم، ما عليك إلا أن ترسل أحداً بعدد من السراري المدربات ومن أجملهن حسناً وأرقهن صوتاً.

ملك الأفرنج: متهللا ثم ماذا ؟!

فانتر : ثم يتم نشرهن في جميع البلاد الإسلامية. على أن يرقصن أسيادهن المسلمين بالغناء.

ملك الأفرنج: ولماذا الغناء ؟!

فانتر : لأن الغناء كما يقول علماؤهم لا يجتمع مع القرآن.

فإذا ابتعد القرآن تمكن الغناء.

وإذا تمكن الغناء ابتعد القرآن وعندها تتساقط المبادىء وتنهار القوى.

ملك الأفرنج: وعندها أبدأ يا فانتر!!

فانتر : نعم ياسيدي.

ملك الأفرنج: عبقري !

* * *

« الجاسوس في الأسواق »:

الجاسوس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الباعة : (في مقدمة الطريق وفي أول السوق يتلقونه) هنا ، وهناك

الجاسوس : قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحد الباعة : وعليكم .. أتريد شيئاً .. عندي يا هذا.

الجاسوس : أريد قماشاً من الحرير.

البائع : إنه عندي، ومن أجود الأنواع.

الجاسوس : يتفحصه قائلا: (لكنه ليس ناعماً .. يبدو أنه خشن الملمس).

البائع : إنه من آخر الأقمشة التي وصلت ومن أجودها.

الجاسوس : ربما أجد عند غيرك أفضل منه.

البائع : لا يوجد أفضل من هذا وأرخص منه.

الجاسوس : ألا يوجد عند جارك الآخر؟.

البائع : لا يوجد إلا أقمشة عتيقة.

الجاسوس: بكم المتر من القماش.

البائع : بمائتين وخمسين ديناراً .. ووالله إنه لرخيص.

الجاسوس : ....

(يقلب نظره في السوق).

النساء المتبرجات .. كاسيات عاريات.

محلات الغناء .. المراقص.

الضجيج والنداء ..

الأيمان والعهود .. هنا وهناك.

يرتفع النداء متأخراً:

الله أكبر الله أكبر

السوق كما هو لم يتغير شيء.

البعض يتوضأ ويذهب .. والبعض يتحدث .. والبعض مشغول بتجارته.

الجاسوس : ....

[يتحدث مع نفسه]:

فرق كبير .

الآن ، الآن

يمكننا الهجوم .. ونحن مطمئنون.

* * *

« في قاعة ملك الأفرنج »

ملك الأفرنج: أراك متهللا يادينري هذه المرة.

دينري : ولم لا ياسيدي وقد رأيت أحوالا تسرنا؟

ملك الأفرنج: وماذا رأيت؟

دينري : رأيت مجتمعاً متفككاً يفتقد التعاون .. أنانياً يفتقد كثيراً من الصفات الحميدة.

ملك الأفرنج : الآن يا فانتر حان وقتنا .

فانتر : مبتسماً .. نعم يا سيدي أغز وأنت مطمئن البال.

ملك الأفرنج : هنري .. هنري .

هنري : لبيك .. يا سيدي.

ملك الأفرنج: أعد العدة، وجهز الجيش، وانطلق الى الأندلس.

ولا تدع قرية أو مدينة إلا نصبت بها علماً لنا ومكاناً يدين لنا بالطاعة.

واقتل كل من يقف أمامك حائلا دون ذلك.

هنري : لبيك .. يا سيدي.



«في أراضي الأندلس والقوات مجتمعة والأفرنج قادمون»

الرجال : ما الذي حصل ؟!!

الإفرنج قادمون!

النساء : يا ويلتاه..

أين المفر ؟!

الأطفال: .. أماه أماه. أين تذهبين؟!

أين تذهبين؟! أبتاه .. خذني معك يا أبتاه.

« الأسواق والشوارع ممتلئة بالقتلى والجرحى والنساء في حوزة العدو تبدو مدامعهن على خدودهن.

والأطفال قد قتلوا.

والكبار قد أزهقت أرواحهم!!»

« وفي بيت رجل من الأفرنج يدخل يهودي بعد أن طرق الباب وفتح له »

اليهودي : أسعدت صباحاً يا سيدي.

الأفرنجي : وأنت أسعدت صباحاً.

اليهودي : بكم تبيع تلك الجارية الحسناء؟

« وهناك تبدو المرأة المسلمة الشابة مطأطأة الرأس، مدامعها على وجنتها، وتخدم الأفرنجي».

الأفرنجي: إنها خادمة جميلة، ولا أريد أن أفرط فيها.

يمكنك أن تأخذ غيرها..!!

فهناك عشر فتيات سأحضرهن لك لتختار.

اليهودي : لكنني أريد هذه ولا أريد غيرها ولو بثمن غال.

الأفرنجي: حسناً .. إن دفعت مبلغاً مقداره مائة ألف دينار أعطيتكها.

اليهودي: يدفع المال ويذهب بالمرأة جارية له.

* * *

« داخل سجون الأفرنج »

أحد المسلمين لزميله : إنه عقاب من الله.

الآخر : لقد كنا في نعمة فكفرناها.

وقد قال تعالى: {ولئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}

الأول : الآن يا منذر تتذكر هذه الآيات.؟!

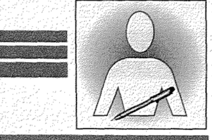
منذر : نعم لقد نسيناها بسبب الغناء والجوارى الحسان.

وها نحن نتجرع المرارة يا عباد.

عبّاد : نعم نتجرع المرارة.

وكلما تذكرت صورة مدينتنا وهي في محاريبها المكسرة ومساجدها المهدمة، وحضارتها المحطمة تألمت يا منذر

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شأن
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
أتى على الكل أمر لا مرد له
هوى له أحد وانهد ثهلان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان



قماشة السيف [*]

قماشة عبد الله سيف الجابر .. واسمها الأدبي قماشة السيف .. عرفت نفسها في غلاف مجموعتها القصصية بأنها (كاتبة مقال وقصة، سعودية، ولدت بمدينة القيصومة بحفر الباطن) عام ١٣٧٩هـ .. من أسرة كريمة في شرقي المملكة العربية السعودية من مدينة الجبيل.

حصلت على شهادة معهد المعلمات عام ١٤٠٠هـ والتحقت بجامعة الملك سعود بالرياض ـ كلية الاداب قسم اللغة العربية ـ إلا أنها لظروف خاصة لم تتابع دراستها فانخرطت في سلك التدريس والعمل الإداري، وقد بدأت الكتابة والنشر في العقد الثاني من عمرها، وقد نشر إنتاجها الأدبي في مجلة (اليمامة) وجريدة (الرياض) وبعض الصحف المحلية.

والمجموعة القصصية التى صدرت لهذه الأديبة بعنوان (من شرق الوطن) هي المجموعة القصصية الاولى للقاصة قماشة السيف.. وهي مجموعة قصصية تعالج أوضاعا اجتماعية مألوفة إلا أنها تتميز بعدة مميزات هي:

١ ـ ذلك الإقتحام المفاجيء الذي يشد القاريء لمواصلة القراءة .. كقولها في إفتتاحية قصة: (المدينة وأتون الإغتراب).. «تتململ المدينة تحت سياط الأقدام وفرامل السيارات المجنونة الراكضة في كل إتجاه» وفي مدخل قصة (ما قبل الغروب): «في هذه الساحة الخارجية للبناء شجرة مورقة عتيقة متجددة تمد أعراقها في الأرض وتواجه تقلبات الزمن بكل شجاعة كأنها تؤمن بشيء واحد فقط بأنها مدت بالصلابة والحياه وان عليها أن تصبر وان تصبر.

وعندما كف المطر عن الإنسكاب المتدفق ولم يبق إلا قطرات تتبعثر هنا وهناك كانت خطواتي تتجه عبر ذلك الممر الضوئي الضيق.. وكنت احرص على معانقة المطر بسمعي وبصري وبقية حواسي فهو الوحيد الذي يمس روحي ويغسلها».

وتهجم في قصة «الغجرية» هكذا :

«أنت .. يقولون متعجرفة.. ويقولون مكابرة لأنك لم تكوني طرفا في ثرثرة معتادة حد الإلغاء لكنك تمارسين العقوق.. سيلا موسميا ليس على مساحة غير الورق، أنت عندما تجيئين.. تجيئين كلك عندما ترحلين لا تعودين.. ليس هناك أعتى منك عندما تهبين كالعاصفة.. لكنها حسن نواياك دائما .. يا غجرية .. حتى يؤلك الجحود .. حسن النوايا لا يمنح أدنى عزاء .. ألا يمكن أن تتخابثي .. أو أن تتلوني قليلا..

وقتك ليس للبراءة ألا يمكن أن تجيدي الحركات المسرحية المشاعر الرمادية؟ لا ينقصك الذكاء وليس للبراءة وقت.

٢ ـ إن الكاتبة استطاعت توظيف الصحراء .. والجفاف .. والمطر في تصوير بديع لمجتمع الصحراء الذي يتراوح بين البداوة والتمدن.. فهو في أعماقه بدوي صميم لكنه مع طفرة التحضر انتقل الى المدن، سكن المنازل الحديثة وامتطى السيارة بدل الجمل والطائرة بدل الحصان.. واستعمل الكهرباء والغاز

بقلم : عبدالله بن أحمد الشباط

الخُبَر - المملكة العربية السعودية

بدل أعواد الحطب التي يجمعها من الصحراء.. إلا أنه يظل ذلك المجتمع القبلي بكيانه ووجدانه بحرصه على شرف القبيلة واسمها.. وتقاليدها وأعرافها.. إنه يحرص على هذه الأشياء ويحافظ عليها محافظته على نفسه وولده وماله.

٣ - تمتاز هذه المجموعة بسلاسة الأسلوب وسهولة اللغة.. وبأنها تعالج أوضاعا اجتماعية مألوفة.. دون ضجيج لكنها تلمسها بهدوء.. احيانا تأخذ في تشريحها كما في قصتها (الذي لا شفاء منه) وأحيانا بلمسة خفيفة كما في (اللحظات الموحشة).

وليسمح لي القراء أن استعير بعض ما كتبه الناقد عبد الرحمن شلش بعد أن قرأ المجموعة القصصية (من شرق الوطن) للقاصة قماشة عبد الله السيف[١].

تثير قماشة عبد الله السيف في مجموعتها القصصية (محادثة برية شمال شرق الوطن) أسئلة القص والتعبير في تقاطعهما مع اسئلة المشهد الراهن، دون ان تعني بتقديم اجابات أو علاج لظواهر في الواقع المعاش فعليا كان أو متخيلا، بل تستهدف طرح رؤى مسكونة بأفكار الشخصيات وهواجسها واحلامها واحباطاتها وتطلعاتها وآمالها، فالعالم الذي تعبر عنه الكاتبة بصدق وحزن شديدين، عالم يموج بصراعات شتى، نفسية، واجتماعية، وانسانية، ويظهر صور للشخصيات رجالا ونساء في حالات من المعاناة تجاه ظروف قاسية، من مرض وضياع وسجن واغتراب وفقد واحزان.. وربما تبدو هذه الشخصيات، وخاصة النماذج النسائية، لأول وهلة منكفئة على الذات تلوك حكاياتها الخاصة وتعبر عن همومها الشخصية ولكن هذه الشخصيات بضعفها وقوتها، وانكسارها وصمودها وحضورها وغيابها، وتمزقها وتماسكها، صمتها وبوحها ترسم صورا متعددة لإنسان لا يرفع الراية البيضاء في مواجهة ما يحيط به من ظروف وضغوط.

من هنا فالكاتبة تركز على الإنسان رجلا وامرأة من خلال حالتين أو جانبين، أولهما الجانب السلبي والآخر الجانب الإيجابي بوضعهما تحت بؤرة الرصد والتحليل فالرؤى تأتي راصدة لظواهر فردية لكنها تمثل - في الوقت نفسه - ظواهر إنسانية، إن معظم النماذج لديها تواجه واقعا ومأزقا وصراعا على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي، ولكنها لا تكف - برغم كل شيء - عن مجابهة ذلك كله بتحد وعزيمة صلبة حتى وإن انكسرت احلامها على صخرة الواقع وتكمن في ذلك أهمية النماذج التى تعبر عنها الكاتبة في نصوصها القصصية، بفكر واع، وأساليب فنيه، مما ينم عن امتلاكها لأدواتها، بوصفها احدى الكاتبات اللاتي ظهرن منذ زمن غير قصير مضى، حين بدأت مشوارها مع القصة القصيرة عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م وربما قبل ذلك التاريخ لذا فنحن ازاء قاصة متمرسة في كتابة القصة القصيرة، لها باع في ابداع هذا الفن، يتبدى من خلال اسهاماتها المتميزة وكتاباتها القصصية، التى تتسم بالنضج والجودة، وإن بدت مقلة في إنتاجها القصصي الذي نشرته.

(*) معجم الكتاب والمؤلفين: ط٢ ص ٨١.

(١) مجلة العربي العدد ٤٧٠ يناير ١٩٩٨م ص ١٨٨.



رمزية جولدنج في رواية سيد الذباب

في روايته سيد الذباب[١] يحاول وليم جولدنج، كما يقول «تتبع عيوب ونواقص المجتمع في عيوب الطبيعة البشرية ونواقصها»، ويرى بأن «من الخلق أن يعتمد شكل المجتمع على طبيعة الفرد لا على أي نظام سياسي مهما بدا منطقياً ومحترماً في ظاهره»·

ولقوة سرد جولدنج[٢] تبدو شخصيات وأحداث ووقائع الرواية واقعية لدرجة أن يقع القاريء في وهم أنه يقرأ عن صبْية حقيقيين: يتحدثون كصبية، شجاعتهم ممكنة تعتمد على ما تتطلبه الضرورة منهم وليسوا أنظف من أي صبية آخرين عندما لا يتوفر الصابون، يحبون اللعب ولا يحبون العمل، وليسوا على قدر كبير من المسؤولية، وحتى أكبرهم يخاف العتمة· وكلما طال بقاؤهم على الجزيرة كلما نسوا حياة مجتمعهم وتحولوا لبدائيين بعد تبنيهم أساليب حياتيه جديدة·

رواية سيد الذباب رمزية في طبيعتها[٣]· والرمزية أحد المذاهب الراسخة في الفن والأدب، والرمز، كما يرى هيجل، شيء مادي موجود، وما يرمز إليه فكرة مجردة بحيث تكون العلاقة بين الاثنين علاقة الملموس بالمجرد· يستخدم جولدنج جزيرته المدارية لحالة البشرية بإضاءة العالم الحقيقي وما يجري فيه من شرور ومصائب وكوارث وتخريب وقتل وتدمير وانتهاك للمحرمات عن طريق ما يجري في جزيرة الصبية في الرواية· فعالم



بقلم : جودت أحمد الحمد

- الأردن -

الصبية صورة مصغرة لعالم الراشدين. فالمعاملة القاسية التى عامل بها صبية جولدنج بيجي من منابزة وعجرفة وكبرياء شبيهة بالطريقة التي تعامل بها المجتمعات الحديثة المعقدة الغرباء[٤].

ترمز نظارات بيجي لعقلانيته[٥]، وللرؤية والبصيرة. بدونهما لم يكن بيجي قادراً على الرؤية، كما كانت الوسيلة التى استطاع الصبية بواسطتها عمل نار إشارة بدخان على الجبل لجذب انتباه السفن العابرة بالجزيرة لإنقاذهم. كسرُ جاك إحدى العدستين في الفصل الرابع اضعاف لبصر بيجي، وسرقة جاك لهما فيما بعد لإشعال نار طبخ، لا نار إشارة، تاركاً بيجي لا حول له ولا قوة يجب أن يقاد ككلب، إشارة لفقدان السلوك العقلاني التدريجي عند الصبية. وأن العقل الذي يمثله بيجي أصيب بالعمى البطيء على الجزيرة، ومؤشر على هزيمة الفكر والتنور أمام البدائية والتوحش لتبلع الجزيرة سلسلة من العواطف التدميرية التي قضت على كل أمل في الإنقاذ والعودة للتحضر.

المحارة The Conch:

شيء جميل مثير يجذب انتباه المرء إليه، إلا أن جولدنج استخدمها كشعار ورمز لسلطة وحكم رالف؛ وفي تحطم المحارة في الوقت الذي مات فيه بيجي دلالة على فقدان نظام السلطة التقليدي كما مثله رالف وآمن به بيجي. كما ترمز المحارة لحق الفرد في التعبير في المجتمع الحر. كان رالف أول من شاهدها، وكانت بالنسبة له في البداية شيئا يُلعب به. ثم علّم بيجي رالف كيفية استخدامها لاستدعاء الناجين من الصبية للاجتماع. كان على من يرغب بالحديث من الصبية أن يمسك بالمحارة ولا يحق لأحد مقاطعته إلا الرئيس. وكان رالف يلوح بالمحارة ليحمل الصبية على الإصغاء له. وفي الفصل الحادي عشر من رواية سيد الذباب يتسلح بيجي بالمحارة للذهاب الى جاك ليطلب منه إعادة نظاراته إليه: «لدي المحارة سأذهب الى جاك ميريديو وأخبره أنا نفسي .. سأخبره بحقائق الأمور.. سأريه الشيء الوحيد الذي ينقصه.. سأذهب إليه وهذه المحارة في يدي.. سأرفعها .. سأقول له: أنت أقوى مني ولا تصاب بأزمة .. أنت تستطيع أن ترى .. اعطني نظارتي .. لأن ما هو حق هو حق».

أما الجبل The Mountain:

فيرمز لعظمة الإنسان في طموحه للتحرر

الروحي، ومن هنا كان الوصول لقمة الجبل تدميراً للخرافة والمخاوف وتحقيقاً لسيطرة الإنسان على الطبيعة. فالجبل مكان مرتفع يمكن منه رؤية الحقيقة. حقيقة أن الصبية كانوا على جزيرة، ومن أن الوحش الرابض هناك لم يكن إلا إنسان ميت، وأن المكان مثالي لبناء نار إشارة بدخان كوسيلة لجذب انتباه السفن العابرة للجزيرة لإنقاذ الصبية. ويقع الجبل ونار الإشارة في الطرف المقابل من الجزيرة من القلعة الصخرة حيث استخدمت النار هناك كنار للطبخ فقط. تخلى الصبية عن الجبل ونار الإشارة بعد اعتقادهم بوجود الوحش هناك. في الفصل الحادي عشر من الرواية ينتقد رالف الصبية لتخليهم عن الجبل حيث كانت نار الإشارة، رمز الأمل والإنقاذ والوجود الإنساني المتحضر.

ترمز النار لأفضل ما في الإنسان ـ آمال الروح البشرية المتقافزة للأعلى. يصر رالف في رواية سيد الذباب على إشعال نار إشارة بدخان لجذب انتباه السفن العابرة، والنار بذلك تمثل، بالنسبة لرالف، الإيمان بالمجتمع الذي ما يزال موجوداً وما يزال يهتم به، ومن هنا، إشعال نار إشارة واجب يجب القيام به، لا لغاية مباشرة، بل لأنها تعطي الأمل في الخلاص. وكما يقول رالف في الفصل الخامس: «النار أهم شيء في الجزيرة. كيف يمكن أن ننقذ.. إذا لم نبق ناراً مشتعلة.. ألا ترون بأن علينا أن نموت قبل أن ندع النار تخمد؟»[٦] وعندما تستعر النار وتخرج عن نطاق السيطرة يصبح لها معنى آخر، فتغدو كنار جهنم، رمزا للجانب المدمر للنار، كما في الفصل الثاني عندما التهمت النار مساحات كبيرة من الجزيرة ومات الصبي ذو الحموة: «.. علقت النار بالغابة وبدأت تقضم وتلتهم. تدحرجت فدادين دخان أسود وأصفر بثبات صوب البحر. عند رؤية ألسنة اللهب ومسار النار الذي لا يقاوم صرخ الأولاد صراخاً حاداً وهتفوا هتافاً هائجاً.. وتحول ميل مربع من الغابة الممتدة في الأسفل تحت الأولاد المتقافزين الى بقعة دخان ولهب وحشيين.. وأدرك رالف، والفزع يشله، أن الصمت والسكون قد جمّد الصبية وهم يشعرون ببداية رهبة من القوة التي أطلقت من عقالها من تحتهم».

أما المعرورشات The Creepers: وهي نباتات متسلقة متشابكة، فمتثل فكرة الشر الكامن في البراءة وترمز لكل ما يعيق المنطق والعقل[٧]. ويرمز الشق The Scar للأذى الذي تسبب به عالم الراشدين ضد الطبيعة، وما الجزيرة التى أحدثت فيها الطائرة ذلك الشق إلا نسخة من المدن التى تشظت بفعل الحرب النووية[٨].

ويمثل المظلي الميت The Parachutist: فساد الأمل الإنساني. فقد كان الطيار، قبل أن تصاب طائرته ويقتل، رمزاً لذروة عظمة الإنسان والتقنية، إلا أن البشرية استخدمت هذه التقنية لا لمصلحة البشرية بل لتدميرها فكان المظلي أداة

للتدمير وضحية لها. وفي هذا السياق ينكر الناقد فرانك كيرمود أن يكون المظلي الميت هو الإنسان نفسه المشترك في كل شر. وهو رمز حيادي لخوف الصبية الذي ما هو إلا نتاج إنساني.

وترمز الأفعى The Snake: كالشق الذي أحدثه سقوط الطائرة وانجرافها الى البحر، وكالصخرة المتدحرجة من على الجبل، لدخول الوحش عالم الجزيرة الفردوس. تتواجد الأفعى حيث يتواجد الإنسان، وهي أيضاً رمز للشر الذي هو جزء لا يتجزأ من الإنسان، وتمثل قوى الفوضى التي تهدد البشرية، والأماكن المعتمة للتجربة الإنسانية[٩]. فقد تحدث الصبي ذو الحموة عن رؤيته أشياء تشبه الأفاعي.

ويرمز الوحش للوجود الشيطاني الذي لا يمكن إشباع جوعه في سعيه لابتلاع كل الناس وإخضاعهم لإرادته. ويرى جولدنج في رواية سيّد الذباب بأن الحضارة البشرية هي التى تبقى على الوحش بين الناس. وسيّد الذباب، هو بعلزبول، رئيس الشياطين. ولم يكن سيّد الذباب، بالنسبة لسيمون إلا رأس خنزير على عصا. وترمز المواجهة بين سيمون وسيّد الذباب للصراع بين أسمى الغرائز وأدناها، ما بين الخير والشر الموجود في كل إنسان ويشرح سيّد الذباب لسيمون، في تلك المواجهة الرمزية بينهما، عدم جدوى محاولة صيد الوحش لأن عنصر الدمار موجود في الصبية أنفسهم كجزء لا يتجزأ منهم[١٠].

ورأس الخنزير رمز لشر الافتقار للعقل وقد تركه الصبية هدية وتضحية للوحش.

يمثل الرصيف The Platform في رواية سيد الذباب المستوى العقلاني للوجود البشري، وتبرز مكانته وأهميته كمكان تعقد فيه اجتماعات الصبية على الجزيرة رمزاً لسلطة القوانين والأنظمة. وقد كان مرتفعا عن المخاطر وفوضى الغابة ومظللا كمكان مثالي للمناقشات الديمقراطية وقد مورس عليه انتخاب الصبية رئيسا لهم. والانتخاب ممارسة ديمقراطية حضارية، وقد تنافس على الرئاسة (والتنافس الحر والديمقراطي والشريف ممارسة حضارية ديمقراطية أيضا) كل من رالف وجاك، وفاز بها رالف بغالبية الأصوات[١١].

الشاطئ The Beach مكان سهل مألوف حيث كان رالف يفضل أن يبقى في تضاد مع الغابة[١٢] التى كان جاك ينسحب إليها بدافعية الصيد وانجذب إليها سيمون لرغبته في البقاء وحيداً في محيط من الهدوء والجمال[١٣].

أما البحيرة التى كان الصبية يستحمون فيها فتمثل مكانا آمناً من السراب وفيها الماء أدفأ من درجة حرارة الجسم وفيها كان رالف يحلم بالعودة والإنقاذ والخلاص مما هم فيه. في مقابل ذلك كان

البحر المفتوح على الطرف الآخر من الجزيرة خلفية لنوع قاس من الحقائق حيث لا أحلام، والماء بارد هناك والجزيرة لا تحميها الصخور المرجانية.

يرمز طقس الصيد للحياة الجديدة التى بدأت تحل محل مجتمع رالف المنظم. تتيح تفاصيل رقصة الصيد للصبية نسيان أنفسهم ليصيحوا قتلة، كما يسعى الصبية لنسيان مخاوفهم من الوحش في السلوك الهمجي. لُعبت أول لعبة طقس صيد في الفصل الرابع من الرواية بعد أول عملية صيد ناجحة للصبية لصيد خنزير للتأكيد للصبية بأن فعل القتل المرعب وسفك الدم لم يكن الا لعبا. «ثم تظاهر موريس بأنه الخنزير وجرى وهو يزعق في مركز الدائرة، والصيادون يحيطون به طيلة الوقت متظاهرين بضربه. وحينما هم يرقصون غنوا: اقتلوا الخنزير. اقطعوا رقبته، اسحقوه». وحتى رالف.. اشترك في طقس رقص الصيد في الفصل السابع: «زمجر روبرت في وجه (رالف). دخل رالف في اللعبة وضحك الكل. وفي تلك اللحظة، أخذ الكل يطعن باتجاه روبرت الذي كان يقوم بحركات اندفاعية مقلدة.. ضاقت الدائرة حوله (روبرت). زعق روبرت ممثلا حالة رعب ثم متألما ألماً حقيقياً.. توقفوا إنكم تؤلمونني. سقط عقب الرمح على ظهره وهو يتخبط بينهم.. أمسكوا به.. أمسكوا بذراعيه ورجليه. انتزع رالف، وقد سيطر عليه انفعال عميق، رمح اريك وطعن به روبرت.. اقتلوه، اقتلوه.. فجأة أخذ روبرت يصرخ ويصارع بقوة وجنون، أمسك جاك برأسه من شعره ولوح بمديته.. كان روجر يصارع ليقترب منه أكثر، ارتفع صوت الإنشاد على نحو طقسي.. اقتلوا الخنزير! اقطعوا رقبته! اقتلوا الخنزير! اسحقوه! كان رالف يُقاتل أيضاً للاقتراب، للحصول على حفنة من ذلك اللحم الأسمر المعرض للطعن. سيطرت عليه رغبة السحق والإيذاء» كما أن تزايد طقوس رقصات الصيد إشارة لازدياد سلوك الصبية بدائية ليفقد معظم الصبية، مع الوقت، هويتهم كمتحضرين ويرتدوا لبدائية متوحشة لدرجة أن بيرسفال لم يعد يتذكر حتى اسمه في الفصل الثاني عشر: «اقترب أحدهم من الضابط ورفع نظره الى الأعلى: أنا ، أنا ـ لم يعد يصل أشخاص آخرون. بحث بيرسفال ديميس ماديسون في رأسه عن تعويذه بهتت صورتها واختفت». وفي كل مرة يمثل فيها الصبية نفس الحدث يصبح سلوكهم أكثر جنوناً وقسوة وأقل تمثيلا أو لعباً أو تقليداً.

تحطيم أو تدمير القلاع الرملية التى كان يلعب بها بعض الصبية الصغار على الشاطيء من قبل صبية أكبر يُعَدّ مظهراً من مظاهر العنف التى قد تحكم الجزيرة كما أن ممارسة التحكم، البعض بالبعض الآخر، أو الأقوى بالأضعف دافع عميق في الطبيعة البشرية. وكلما هيمنت البدائية على الصبية كلما تحول وانقلب البعض منهم ضد أبناء جنسه، كما حدث في عملية قتل سيمون وبيجي وكأن مصير

العقلنة قد حكم عليها بالموت. ولنلاحظ القلعة الصخرة في الطرف المقابل من الشاطىء من الجزيرة - مجموعة مختلطة من الصخور في وسطها كهف - تتناسب مع ارتداد الصبية للتوحش والبدائية والخرافة بعد انشقاق جاك وأتباعه عن رالف وتحصنهم بالقلعة الصخرة كمقر وحصن لهم.

رواية سيّد الذباب لويليم جولدنج رواية رمزية يشكل فيها مجتمع عالم الصبية على الجزيرة مجتمعاً مصغراً لمجتمع عالم الراشدين بنفس الغرائز والدوافع والقناعات. وكما يرى ايان جريجور ومارك كنكيد ويكس تبرز أهمية الرواية لا من حقيقة أن جولدنج يحدثنا فيها عن الجانب المعتم من قلب الإنسان، بل لأنه يمكننا من دخول ذلك العالم الذي يخلقه لنعيشه بمستوى إنسان ذكي وعميق التفكير. ومن هنا يرى المؤلفان إمكانية رؤية ومعرفة مبدأ الشر كوسيلة للتخلص منه. ومع أن الرواية حكاية رمزية لسقوط الإنسان إلا أنها لا تغلق الباب على ذلك الإنسان بل تدعوه لمعرفة نفسه ومعرفة عدوه ليتمكن من منازلته والتغلب عليه - وبالذات لأن تلك القوة.. نزعة الشر غير مميزة لوجودها في داخل الانسان نفسه.

كما تحلل الرواية تفكك المجتمعات البشرية وتكشف رمزية الشر الطاغي للقلب البشري المتمثلة في فجاجة وقسوة وعدم التسامح في مجتمع الصبية على الجزيرة وما تعاني منه المجتمعات الحقيقية من رعب محسوس ليثير في نفس القارىء نبذاً للبدائية والتوحش.

يتزايد العنف والفوضى على حساب العقل. إلا أن هناك بعض الأمل للمستقبل في المعرفة الجديدة التى اكتسبها رالف في فهمه للصراع ما بين الخير والشر الموجود في الإنسان. وسيحمل رالف هذه المعرفة ليؤثر على رفاقه من البشر، وسيكون قائدا حكيماً عندما يبلغ الرشد وسيكون له تأثير ايجابي على الحضارة.

الهوامش :

(١) تدور رواية سيد الذباب لويليم جولدنج حول مجموعة صبية مدارس انجليز تصاب طائرتهم وتشتعل فيها النيران فوق جزيرة مدارية خالية من السكان تماما. ينظم الصبية أنفسهم ويختارون رئيساً لهم. يتم القيام بسلسلة من الواجبات ويعيش الصبية في مودة. الا أنهم سرعان ما ينقسمون لاختلاف أولوياتهم. يفقد الصبية الصغار الاهتمام بالقيام بمهامهم الروتينية ويفضل الصبية الأكبر قضاء وقت أطول في الصيد. وعلى الرغم من الاجتماعات المتكررة تتحطم أعصاب الصبية برعب خرافي - وجود وحش على الجبل. وفي آخر اجتماع مكتمل للصبية ينشق جاك عن رالف. ثم يهجر الصبية الواحد تلو الآخر رالف وبيجي وينضمون لجاك وقبيلته - يصبغ أفراد قبيلة جاك وجوههم

ويعيشون في القلعة الصخرة في طرف الجزيرة تحت نظام ديكتاتوري شديد يصطادون الخنازير نهارا ويتركون رؤوسها هدية وأضحية للوحش. وبسبب الخوف والخرافة وهوس الصيد يزداد جاك طغياناً وظلماً وفي إحدى نوبات طقوس رقصة الصيد يقتل الصبية سيمون وهو يحاول اخبارهم ألا خوف من الوحش على الجبل. ثم يُقتل بيجي، وهو يمسك بالمحارة على يد مساعد جاك السادي، روجر، ويترك رالف وحيداً ليطارده أفراد القبيلة من الهمج المتوحشين البدائيين لذبحه والتخلص منه. يشعلون النار بالغابة. وكان رالف على وشك أن يموت حرقاً بألسنة اللهب التى كانت تحيط به من كل جانب أو برماح الصيادين عندما تبصر فرقاطة الدخان المتصاعد من الغابة وترسو على الجريرة وتنقذ الصبية.

(٢) وُلد جولدنج عام ١٩١١م وتلقى تعليمه في مدينة مارلبورو وكلية براسينوس - اكسفورد، عمل مدرساً مدة من الزمن، وفي عام ١٩٤٠م انضم للبحرية وعمل في طرادات ومدمرات وكاسحات ألغام وسفينة صواريخ أصبح قائدا لها في نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد شاهد المعارك الطاحنة التى دارت ضد الغواصات والطائرات. كما شارك في معارك الهجوم والإنزالات البرية للحلفاء على شمال فرنسا في حزيران عام ١٩٤٤م. عمل مدرساً في مدسة وردزورث في ساليسبرج عام ١٩٥٤م، واستقر هناك منذ ذلك الوقت. كان جولدنج مهتماً، بالإضافة للكتابة بالإبحار الشراعي والكلاسيكيات اليونانية. نشر الكثير من الشعر لكنه اشتهر حين نشر روايته الأولى سيّد الذباب عام ١٩٥٤م، وبرزت شهرته بعد نشره رواياته الأخرى: الورثة عام ١٩٥٥م، بينتشير مارتن عام ١٩٥٦م، السقوط الحر عام ١٩٥٩م، ومسلة برج الكنيسة عام ١٩٦٤م والهرم عام ١٩٦٦م، وإله العقرب وظلام الورق ١٩٨٤م. وقد منح جولدنج جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٣م وتوفي في شهر حزيران عام ١٩٩٣م.

(٣) عدا عملية الإنقاذ في النهاية عندما تبدو حياة الراشدين عظيمة وقادرة مع أنها، في الحقيقة، غائصة في الشر نفسه، كما هي في حياة الصبية الرمزية على الجزيرة. يبدو ضابط البحرية البريطاني وهو يقاطع عملية اصطياد انسان وكأنه يأخذ الصبية من الجزيرة بطراد بحري سيطارد به عدوه بنفس الطريقة التى كان صبية جاك يطاردون بها رالف، فمن سينقذ الراشدين والطراد؟.

(٤) كما أن التظاهر والغيرة من الهفوات والأخطاء الكامنة وراء مظهر الصبية البريء. لكن لأي درجة يمكن اعتبار صبية جولدنج ممثلين للبشرية؟ فما من مجتمع في العالم يخلو من راشدين وما من مجتمع في العالم يخلو من إناث. وجزيرة جولدنج تخلو تماماً من الراشدين والإناث. وهل تمثل الجزيرة في رواية سيد الذباب العالم؟ وهل يمثل صبية الجزيرة مختلف أنواع وطبقات



المجتمعات الحقيقية وغرائز ودوافع ونوازع عقول وأرواح أفراد تلك المجتمعات؟.

(٥) يؤمن المذهب العقلي بأن المعرفة مستمدة من العقل المحض (قاموس المورد للبعلبكي ١٩٧٨).

(٦) يبدو أن الرحلة لقمة الجبل في الفصل السابع بعد أن روى التوأمان رؤيتهما للوحش هناك في الفصل السادس من الرواية اعتراف بخوف الصبية الذين سيفضل بعضهم ترك النار تنطفيء على أن يواجهوا الوحش هناك، ليُقتل، سيمون، فيما بعد، بعد تسلقه الجبل واكتشافه حقيقة الوحش، وعدم تمكنه من إيصال الأخبار السارة للصبية لقتلهم إياه قبل أن يتمكن من ذلك. ومهمة الإبقاء على نار إشارة محك واضح لتوعية الصبية لتجربة قدرتهم على البقاء ويرى روزنفيلد بأن جلب النار للإنسان بداية الحضارة الإنسانية وما رافقها من أشكال الكبت. فمهمة إبقاء نار الإشارة واجب رمزي لرالف لأنها السبيل الوحيد للخلاص.

(٧) وتشير لنفس الفوضى الموجودة في الأفاعي التى تنطلق من النار التى تلتهم المعرورشات. كما عجز بيجي عن السير لعلوقه بها في الفصل الأول وكان من الصعب على الصبية عبورها.

(٨) في إشارة من جولدنج لعالمية الشرّ.

(٩) ترمز عتمة الليل لدوافع الصبية المضطربة واللاعقلانية. وقد ربط جولدنج في روايته الخلفيات النهارية برالف وبيجي والعقل، وربط بخلفيات الليل، وقت الغموض والخوف بجاك وسيمون. وعتمة قلب الإنسان موضوع رئيسي في رواية سيّد الذباب.

كما وترمز الصخور للقوة العمياء وإشارة لما قد يحدث من عنف وتدمير في المستقبل.

(١٠) سيّد الذباب، الوحش هو روجر وجاك، وأنت وأنا، مستعد لأن يعلن نفسه ما أن نسمح له بذلك كما يقول جون بيتر، ولاختفاء المظلة والمظليّ الميت - الوحش - لحظة موت سيمون إشارة الى أن وجود الوحش على الجبل لم يعد ضروريا بعد أن حلّت محله وحوش آدمية.

(١١) لكن إيمان رالف بالممارسة الديمقراطية يصل لمستوى تافه عندما اعتمد على غالبية الأصوات لتقرير مصداقية وجود الأشباح. كما أن رالف لم يمارس هذه الديمقراطية عندما قرر في الفصل الأول من الرواية اصطحاب جاك وسيمون لتسلق الجبل لاكتشاف المكان. ومن هنا كان احتجاج بيجي: «كنت معه (رالف) حين وجد المحارة، كنت معه قبل أي شخص آخر».

(١٢) ترمز الغابة للجانب المعتم من الطبيعة البشرية، للقوى الشريرة التى تكمن وراء السلوك الظاهري المتحضر.

(١٣) حيث كان يستمتع بالفراش الجميل الزاهي الألوان والنقوش وأصوات الطيور الخيالية الخفيفة وطنين النحل وصرخات طيور النورس العائدة الى مخابئها بين الصخور المرحة، والبراعم الخضراء الشبيهة بالقناديل.. كلها صور جميلة في تضاد مع العنف والوحشية، ورمز للبحث عن النقاء والبراءة التى هجرها الصبية تماما.

ملاحظات حول تبويب نتائج الدراسات والبحوث

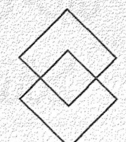
مستقبل الثقافة الاسلامية في عصر العولمة

الأديبات ومستقبل «أدب المرأة»



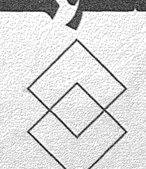






محاولة لصياغة معالم :

مستقبل الثقافة الاسلامية في عصر العولمة



إن الموضوع الذي نحن بصدده جد خطير وهام ؛ إذ لابد من هذه الوقفة مع واقع الثقافة في عالمنا الاسلامي الذي يواجه الآن كل تحديات أنواع العولمة «الدينية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية واللغوية والفكرية والثقافية» •

ومما لا شك فيه أن هذه المجالات جميعها تكون عقيدة وفكر وثقافة الأمة التى من خلالها يتحدد سلوك أفرادها، وقرارات قاداتها •

وقراءة منا لواقع الثقافة في عالمنا الاسلامي، وحال مثقفيها نجد أننا ـ للأسف الشديد ـ مهيئون تماماً لقبول العولمة، بل والذوبان في الآخر، وهذه ليست نظرة تشاؤمية، ولكن حاضرنا الثقافي هو الذي يشهد بهذا، فنحن منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الراهن كنا فريسة لمخططات الغرب لإيصالنا الى هذه المرحلة، ولابد لنا أن نكون صريحين وواقعيين حتى لا نخدع أنفسنا ونوهمها بحسن نية الآخر تجاهنا، وحتى لا نعطي للآخر حجماً اكبر من حجمه، أو نستهين بما يخططه ضدنا للتظاهر بأننا لسنا من ذوي نظرية التآمر التى نجح الغرب في أن يجعل عدداً كبيراً من مثقفينا يعتنقها ليخطط ويحقق أهدافه دون أن توجه إليه أصابع الاتهام، ولنتقبل ما يخطط لنا دون إدراك أبعاد وخطورة هذه المخططات كما هو حاصل الآن، علينا أن نقرأ التاريخ ، ونتعرف على حقيقة علاقة الشرق بالغرب، وأبعاد هذه العلاقة وأهدافها، ونتوقف عند علاقة الغرب بالإسلام وموقفه منه، ومخططاته لمواجهته، ونظرته للمسلمين عامة وللعرب بصورة خاصة، وما يفعله الآن معنا •

بقلم : سهيلة زين العابدين حماد

رئيسة لجنة الأديبات برابطة الأدب الاسلامى العالمية

إن ما يحدث الآن ليس وليد التسعينيات من القرن العشرين ولكنه حصيلة قرون عديدة مضت.. وينبغي علينا أن نحذر من الغرب لأنه يريد طمس هويتنا ومسخ شخصيتنا واقتلاعنا من جذورنا وإحلال ثقافته ودينه وعقيدته وأمراضه وانحلاله محل ديننا وثقافتنا وقيمنا وأخلاقياتنا مع فرض هيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية علينا، وحرماننا من حق المعارضة وإبداء الرأي، والدفاع عن حقوقنا الشرعية. وجعلوا منا من أصبحوا يناهضون كل ما هو إسلامي، ويطالبون بإلغاء ثوابت الإسلام، وإسقاط الإسلام من دساتير الدول الإسلامية، وقصره على العبادات، ومنا من فقدوا ثقتهم في العقلية الإسلامية، وشككوا في قدرات المسلمين بل ونسبة إنجازات المسلمين للغرب، ووصفوا الإسلاميين بسرقة أفكار الغربيين ونسبتها إليهم، بل نجد اللغة الإنجليزية قد أصبحت هي الأساسية في الدراسات الجامعية في جامعاتنا، ليس في العلوم التجريبية فقط، بل أصبحت لغة دراسة الاقتصاد والإدارة أيضاً.

كما نجد الغرب قد نجح في نسبة الإرهاب الى الإسلام بشرائه لمجموعة من الأفاقين مستغلين حبهم للمال وحاجتهم إليه للقيام بأعمال ارهابية، ونسبتها الى جماعات إسلامية، هم في الغالب وراء إيجادها وتكوينها، حتى أصبحت الحكومات الإسلامية تخشى من كل ما هو إسلامي.

أليس هذا هو واقعنا الآن؟

قد يقول قائل الخطأ خطأنا فنحن الذين أوصلنا أنفسنا الى ما نحن عليه الآن، وأنا أتفق مع هذا القائل، ولكن لكي نكون واقعيين لابد لنا أن نضع أيدينا على الأسباب التى أوصلتنا الى الحال هذه ومن ورائها علَّنا نستطيع تلافيها. وهنا يتطلب منا أن نطرح هذه الأسئلة:

متى تعرَّف الغرب بالشرق؟ وماذا كانت طبيعة هذه العلاقة؟ وما أهدافها وغاياتها؟ وكيف كانت نظرة الغرب الى الشرق؟.

لقد تعرَّف الغرب بالشرق عبر قرون طويلة، وعن طريق عدد كبير من الكتَّاب والرحالة والجغرافيين والمؤرخين، وقد اختلفت وسائل اتصال أوربا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال، وقد بدأت بعلاقات تجارية ترجع الى أيام الكنعانيين، ثم تلتها علاقات حرب واحتلال في زمن الإسكندر الأكبر في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد الذى وقف علماؤه لدراسة الشرق ليتمكن من غزوه. وهذه تعد البداية الحقيقية للاستشراق.

وعندما ظهر الإسلام كثَّفت الكنيسة جهودها لمهاجمة الإسلام والنبي محمد [صلى الله عليه

** عداء الغرب للاسلام والمسلمين قديم ضارب بجذوره في التاريخ.

** العداء مستمر دائم، تتجدد أشكاله وألوانه حسب مقتضيات الحال.

** الاسلام ظل طوال القرون ولا يزال قوة دفع جبارة للمؤمنين به.

** علماء الغرب يعرفون الاسلام وخصائص القوة فيه، فتلاحقوا على محاربته.

وسلم}، ولقد ظهرت فيهم آراء ومواقف فظة ومشوبة بالعصبية ضد العقيدة الإسلامية، وقد أوضح المستشرق البريطاني ريتشارد سوذرن في كتابه «صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى» وكذلك نظيره نورمان دانيال في كتابه «العرب وأوربا في العصور الوسطى» تلك المواقف الفظة المشوبة بالعصبية ضد الإسلام، ونبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} وألحقوا به فعالا وصفات هو منزه عنها ولا تمت الى الحقيقة والواقع بصلة، فقط ليشوهوا صورته ليصرفوا الناس عن الإيمان برسالته وبنبوته، وليفرغوا حقدهم عليه، والمجال لا يتسع لذكر ما نسبوه إليه باطلا، ولكن يبين لنا هذا أنهم في تعاملهم معنا يخرجون عن جميع مبادىء وأسس الحوار العلمي الموضوعي المنطقي الذي يتظاهر به الغرب في نقاشه وحواره معنا، قد يقول قائل أن طريقتهم اختلفت، مع مشارف القرن العشرين، ولا سيما في العقود الأخيرة منه، وأقول هنا من خلال دراستي للاستشراق، ولبعض المدارس الاستشراقية - وأهمها المدرسة البريطانية والفرنسية والألمانية، وغيرها - وموقفها من السيرة النبوية وجدتها لم تخرج عن الإطار الذي رسمه المستشرقون الأوائل الذين كان معظمهم من رجال الكنيسة، وعند دراستي لمصادرهم وجدت أن كتابات أولئك المستشرقين هي مصادرهم الأساسية، أما المصادر الإسلامية فما هي إلا مجرد إطار لوضع الصورة التي رسمها المستشرقون الأوائل مع تخفيف حدة الهجوم المباشر بتغليفه بغلاف يوحي بالمنهجية العلمية والموضوعية، ولكن عندما تتفحص في المحصلة والنتيجة تجد أنها لا تخرج عن الصورة التى رسمها أولئك المتعصبون الحاقدون على الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، ويؤكد ما أقوله الآتي:

١ - نتيجة لكشف بعض الباحثين العرب في مقدمتهم الدكتور إدوارد سعيد، والأستاذ عبد النبي أصطيف، والدكتور أنور عبد الملك أمام الرأي العام العالمي أهداف ومناهج المستشرقين مبينين مثالبهم وعيوبهم تخلى المستشرقون رسمياً عن مصطلح



«مستشرق» في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف عام ١٩٧٣م، وقال المستشرق الصهيوني البريطاني الأمريكي برناردلويس: «فلنلق بمصطلح مستشرق في مزبلة التاريخ»، لكنهم لم يتخلوا عن مناهجهم، وقد أعلنوا هذا في ذات المؤتمر، واتخذوا من مراكز المعلومات مصطلحاً جديداً للاستشراق الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية لتمارس من خلاله على الشرق ولا سيما الشرق الإسلامي ودول العالم الثالث نوعاً جديداً من الاستعمار، وهو أخطر أنواع الاستعمار لم يسبق للبشرية أن رأت مثيلا له، وهذا الاستعمار هو «العولمة».

٢ ـ لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية في إيجاد الأرضية في كثير من بلاد المسلمين للدعوة التنصيرية، وقد كتب بعض المستشرقين ونظَّروا لكيفية التنصير في بلاد المسلمين، مثل ما قام به المستشرق المنصر القس صموئيل ذويمر في معهده الذي أنشأه باسمه من قبل المؤتمر التنفيذي ليكون مركزاً للأبحاث مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين لتعزيز قضية تنصير المسلمين، وكذلك المستشرق البريطاني وليم موير ويشهد على ذلك كتابه «شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية» فهو كتاب تنصيري في المقام الأول. ومسلسل التنصير لم ينته بعد فلقد أعلن البابا في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد عام ١٩٦٥م خطته لتنصير العالم واقتلاع الإسلام مع قدوم الألفية الثالثة بحيث يتم استقبالها بلا إسلام، ولعل حملات التنصير المكثفة التى شهدتها أندونيسيا تعطينا مؤشراً لذلك، بل الأخطر من هذا وجود بعض المدارس التنصيرية في بعض دول الخليج العربي، ولعل كتاب «الغزو التبشيري النصراني في الكويت» لأحمد النجدي الدوسري يكشف أبعاد هذا المخطط، أيضاً النشاط التنصيري المكثف في الجنوب السوداني لإيجاد دولة مسيحية سودانية تمهيداً لاقتلاع الإسلام من السودان، وقد شرعوا بالفعل لتنفيذ هذا المخطط، كما نجحوا في تفتيت وحدة أندونيسيا، وقسَّموا تيمور الى شرقية وغربية، بينما نجدهم وحَّدوا برلين الشرقية والغربية.

إن مخطط تجزئة الدول الإسلامية وشطرها الى شطرين مسيحي وإسلامي، أو تقسيمها على أساس مذهبي أو عرقي كما هو مخطط للعراق، وغيرها من دول المنطقة، كل هذا يؤكد أن هدف الغرب القضاء على الإسلام، وأن أساس الصراع بيننا وبين الغرب هو الدين الإسلامي في المقام الأول ويظهر هذا بوضوح في الحروب الصليبية، إذ خشي الغرب من المد الإسلامي، وعندما فشلت هذه الحملات، ولم تحقق أهدافها نشأ الاستشراق الذي ركز هجومه على القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وكذلك دراسة الأدب العربي، والعمل على إحياء الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين كالباطنية، وقضوا السنوات في إخراج كتب ليؤثروا في المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك بثنائهم على البهائية والقاديانية، وقد أوجد

الاستعمار البريطاني القاديانية، إذ أشاد بها لأنها - كما زعم - جاءت بآراء حرة مستقلة ووصفها بالعقلانية، والاستنارة والتجديد ليخدع بها بعض المسلمين، وليشوه تعاليم الإسلام، وللأسف هناك أقلية من المسلمين تأثرت بفكر هذه الفرق المنحرفة واعتنقت عقائدها.

كما أسهم المستشرقون بقدر كبير في إحياء القوميات في العالم العربي خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، فقد نبَّش المستشرقون في الحضارات الجاهلية القديمة، لإحياء معارفها، من ذلك بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار السابقين، وأسموا دراستهم «التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام»، وتعمدوا بذلك إظهار الحضارات القديمة ليطفئوا نور الإسلام، وأن الإسلام ليس وحده هو الذي

**** المؤرخون والرحالة والعلماء من اهل الغرب، كان شاغلهم دراسة بيئة المسلمين.**

**** الاستشراق في غالبه كان الحرب العلمية والفكرية والثقافية على الاسلام والمسلمين.**

قدَّم الحضارة الإنسانية، وترتب على مثل هذه الدراسات الآتي:

أ - تحسين سمعة الجاهلية القديمة، وتمجيد رجالها.

ب - بث النعرات الانفصالية في الأمة الإسلامية.

ج - محاولة قطع صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدأ بظهور الإسلام.

د - تهيئة بعض المسلمين لتقبل قيام حضارة لهم غير مهتدية بهدي الإسلام، كما نشأت في تلك الحضارات القديمة.

- كما سعى المستشرقون في نشر بعض الأيدولوجيات الأجنبية في الأراضي الإسلامية كالشيوعية، فلقد أشاد المستشرق «بندلي جوزي» بالقرامطة، وادّعى أنهم والإسماعيلية الشيوعيون الأولون في الإسلام، وذلك في كتابه «من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام»، كما زعم المستشرق الفرنسي «جاك أوستري» أن هناك بعض الشَّبه بين الإسلام والشيوعية من حيث عالميتها وتساميها على القوميات والعنصريات، وقد شبَّه كذلك نظام الدولة في الإسلام بنظام الدولة في النظام الشيوعي، وقد تأثر بهذه الكتابات بعض الكتاب المسلمين، وعملوا على نشرها مثل الكاتب الكبير «توفيق الحكيم» في سلسلة مقالاته التي نشرت في الأهرام «دفتر الجيب»، وذلك في الفترة من ٢١ ابريل حتى ١٥ سبتمبر عام ١٩٨١م، وقد قرَّر في هذه المقالات أن الشيوعية تسير على مبدأ الإسلام في قوله تعالى {وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}، وأراد أن يثبت أن المادة قد طغت على الإسلام عند تطبيقه لنظمه



ليجعل الإسلام لا يختلف عن الشيوعية من ناحية طغيان المادة، واتخذ من الإسلام وسيلة للدعوة لتطبيق الاشتراكية، والأخذ بالشيوعية، بل قال في كتابه شجرة الحكم السياسي صفحة ٥٠٧ : «أنّ الرسول محمداً {صلى الله عليه وسلم} كان يسارياً هو وسائر الأنبياء»، ونسمع الآن عن الإسلام اليساري الذي يتزعم دعوته الأستاذ حسن حنفي.

- كما شجَّع الاستشراق على نشر الليبرالية الغربية وتبعيتها في بلاد المسلمين، وقد حاول بعض المستشرقين أن يخدعوا بعض المسلمين، بأنهم إذا أرادوا التقدم واللحاق بركب الأمم الصناعية ما عليهم إلا أن يتبنوا المنهج الأوربي الذي قام وفُرض بعد نقض كتب العهد القديم والعهد الجديد، وهي أقدس كتب لديهم وهم بهذا يريدون من المسلمين التجرؤ على كتاب الله ونقده، وللأسف فقد تأثر بعض الأساتذة المسلمين بهذه الدعوة في مقدمتهم الأستاذ الدكتور طه حسين، إذ دعا طلبته في كلية الآداب إلى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً، وأثار الشبهات حول كلمة كتاب وقرآن، وقال إن الكتاب غير القرآن، وأنه كان موجوداً قبل نزول القرآن وأن القرآن صورة عربية منه، وأنه أخذ صوراً من الكتب التى قبله، ويقول «إن هناك قرآناً مكياً له أسلوب، وقرآنا مدنياً له أسلوب آخر، وأن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق، أما القسم المدني فيمتاز بمناقشة الخصوم بالحجة الهادئة»، وهذا القول هو ما يردده المستشرقون، وفي مقدمتهم المستشرق اليهودي البريطاني دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه «مقدمة الشعر الجاهلي» الذي ترجمه الدكتور طه حسين ونسبه الى نفسه، مسمياً كتابه «الشعر الجاهلي» والذي قال فيه بخلق القرآن، ثم تراجع عن ذلك عندما وجد اعتراضاً على ذلك.

- قيام بعض المستشرقين برصد الحركات الإسلامية المعاصرة، ودراسة أحوالها وأوضاعها ليمكنوا صناع القرار في البلاد الغربية من مكافحتها، وبذل كافة الوسائل لإطفاء نورها، وهناك عدد من المستشرقين مثل «هاملتون جيب»، «ميشيل رتشارد»، «الفريد سميث» وغيرهم كتبوا عدة دراسات عن هذه الحركات، ومن أحدث الدراسات عن هذه الحركات أعدها المستشرق الأمريكي «جون سبوزيتو» عن ظاهرة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهي على صلة وثيقة بالبيت الأبيض الأمريكي.

إن رجال الحكم الغربيين والإعلاميين حريصون على معرفة الحركات وزعمائها، وفي شهر مايو سنة ١٩٩٢م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية بولاية ماريلاند بأنهم في هذا القرن أي القرن العشرين قد أخيفوا بثلاث تيارات: الشيوعية والنازية والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنازية ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية، فمن أخطر دراسات المستشرقين عن الإسلام وأهله الدراسات التى تحذر الغرب من قدرات الإسلام الكامنة، وتنبيه الغربيين الى ثروات المسلمين الهائلة ليخطط الغرب مواصلة سيطرته على بلاد المسلمين، ومن أخطر الدراسات الاستشراقية تلك التى أعدها المستشرق الألماني «باول شمتز» باسم «الإسلام قوة الغد العالمية».

إن مقولة نائب الرئيس الأمريكي عن الإسلام في التسعينيات من القرن العشرين تعيد الى أذهاننا مقولة رئيس الوزراء البريطاني «جلادستون» في أواخر القرن التاسع عشر أي قبل حوالي قرن من الزمان، إذ أعلن رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه كتاب الله عزّ وجل، وصاح في أعضاء البرلمان وقال: (إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلا، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال: هذه الكعبة).

أليس هذا اكبر دليل على أن الغرب لم ولن يغير موقفه من الإسلام والمسلمين؟

إن دور المستشرقين لم يتوقف عند هذا الحد، إذ نجدهم مهدوا وساعدوا على الاستعمار منذ عصر الإسكندر الأكبر، ونابليون بونابرت، حتى أواخر القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، سواء أكانوا رحالة أم قناصل أم جواسيس، أم منصرين.

هذا ومما ينبغي التوقف عنده والتأكيد عليه أن نشاط المستشرقين والخبراء الأمريكيين بشؤون الشرق الأوسط يشكل جزءاً رئيسياً من نظام التخطيط للعمل الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة العربية، وهذا ينبهنا الى حقيقة هامة، وهي أن الاستشراق يقوم في عصرنا الراهن على مخطط تحدده المصالح الأمريكية والصهيونية في الشرق الأوسط، كما قام الاستشراق الأوربي من قبل، والاستعمار الإنجليزي بدور في خدمة الأهداف الصهيونية بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين وإعلاء شأن اليهود مع التقليل من شأن العرب المسلمين، والذي سهل للصهيونية تحقيق أهدافها من خلال الاستشراق وجود أكثر من اربعين يهودياً في المدارس الاستشراقية الأوربية والأمريكية، ومن أكبر مستشرقيها مثل جولد تسهير، وشاخت، وكارل بروكلمان، ولويس ماسينون، ومكسيم ردونسون، ومرجليوث، وبرناردلويس.

ولا ننسى أن بعض المستشرقين أوجدوا النظرية العرقية ليبرروا الاستعمار ووصفوا العقلية العربية بأنها عقلية ذرية غير قادرة على التجميع والقيادة، وممن قالوا بهذا القول المستشرق البريطاني هاملتون جيب، وملف الاستشراق حافل بهذه المواقف التى تدين الحركة الاستشراقية، والتى بسببها أصبح مصطلح الاستشراق مشبوهاً، وأعلن المستشرقون تخلصهم منه ورميه في مزبلة التاريخ، واستبداله بمراكز المعلومات التى تقوم بنفس دور الاستشراق القديم ولكن في ثوب جديد.

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن الاستشراق قام بدور كبير في التمهيد للعولمة الثقافية باحتواء كثير من المسلمين ثقافياً عن طريق خدمة المستشرقين للتراث وتحقيقه ونشره وفهرسته، وما الى ذلك حيث أصبح كل باحث مسلم لا يستغنى عن بعض جهودهم في أبحاثه ومكتباته، فيعتمد عليها أو يتناولها بالددراسة، وتأثر بها شعر أو لم يشعر، ويرجع هذا الى نجاح الاستشراق في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وعلى الرغم من أن

بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلا أنها في النهاية، وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافي، وقد نجم عن هذا الاحتواء الآتي:

[أ] شعور كثير من المسلمين بضعفهم، ونقص امكاناتهم، وتأخرهم عن غيرهم في العصر الحديث، ونسبة كل الإيجابيات الى الغرب.

[ب] تبعية كثير من الكتّاب والباحثين فكرياً لهم، ودفاعهم عن مبادئهم ومناهجهم.

[ج] وضع أسس لمنهج البحث والتفكير المادي، فكتبوا وبحثوا ونقدوا في ضوء هذا المنهج، كما نجدهم قد طبّقوا المناهج الفكرية المادية على كثير من علومنا الإسلامية سواء في التفسير المادي للتاريخ، أو في كتاباتهم عن القرآن الكريم والرسول {صلى الله عليه وسلم} فدعموا شهادتهم في هذه الجوانب الفكرية باسم المنهج العلمي، مما أدى الى رواجها واستسلام كثير من الكتاب لها ودفاع بعض المسلمين عنها.

[د] لقد رسخ المستشرقون مبدأ العلمانية وصدّروه الى عالمنا الإسلامي سواء في الجانب الفكري والسياسي، فأصبح من المسلمين من تبنوا مبدأ العلمانية، بل نجد هناك بعض الدول الإسلامية قد تبنت العلمانية، وأعلنت أنها دولة علمانية، أو هناك من المسلمين من ينادي بعلمانية السياسة، ونحن لو رجعنا الى أصل نشأة هذه الدعوة نجد أن المستشرقين ممن روجوا لها ودعوا إليها، ولا ننسى أثر ميكافلي في ترسيخ العلمانية السياسية، وتجريد السياسة من معاني الدين والأخلاق وتبرير الوسائل باسم الغايات.

[هـ] دعوة المستشرقين الى الحرية الفكرية المزعومة التى دعوا إليها، ولم يلتزموا بها في بحوثهم وكتاباتهم؛ إذ نجدهم صوروا المفكرين الإسلاميين مجرد نقلة للتراث اليوناني الفلسفي بناء على نظرتهم العنصرية المقسمة للشعوب الى: ساميين وآريين، فالساميون، ومنهم العرب لا قدرة لهم على التفكير الفلسفي، وتناول الأمور المجردة بخلاف الشعوب الآرية، كما صرح بذلك «رينان» في كتابه «تاريخ اللغات السامية»، وكذلك «جوتيه» في كتابه «المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية».

**** المستشرقون كانوا في مقدمة الجيوش الغازية لديار المسلمين.**

**** مراكز المعلومات هي المصطلح الجديد للاستشراق.**

**** خططوا لاقتلاع الاسلام في مطلع الالفية الثالثة.**

[و] كان الاستشراق وراء طرح ونشر مصطلحات متعددة في الجانبين الأدبي والنقدي مثل «الحداثة» و«البنيوية» و«الأبستولوجيا المعرفية» و«الوجودية» و«النثرية» في مجالات الأدب، ولقد كشفت الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور

سوندرز في كتابها «من يدفع التكاليف؟» الصادر في يوليو عام ١٩٩٩م قيام الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية لإيجاد مدارس وتيارات ثقافية كاملة ومنها تيار الحداثة، ودعم مجلة الحوار العربية وغيرها، فتجرأ بعض الأدباء والشعراء على الذات الإلهية، فأدونيس كتب قصائد بعنوان «الإله الأعمى»، و«الإله الميت»، وأعلن كرهه لله، بل ادعى الألوهية في قصيدة «الخيانة».

وصلاح عبد الصبور قال في شعره «الشيطان خالقنا[١] وله قصيدة باسم «الإله الصغير»

وأمل دنقل مجّد الشيطان فقال في قصيدة له[٢]:

المجد للشيطان ... معبود الرياح

والأمثلة كثيرة لا حصر لها نربأ بانفسنا عن اثباتها حياء وأدبا، ولكن ما ذكرته يبين لنا سمة الشعر الحداثي، ومقومات الحداثة القائمة على فصل العقيدة عن الفكر والأدب آخذة بمذهب «الفن للفن»، متبنية مذاهب فكرية لا تمت للدين الإسلامي بصلة، بل تدعو الى الإلحاد وإلغاء العقل، وإحياء فكر الفرق الباطنية من دعاة الحلولية والتناسخ، كما أوجد المستشرقون في الساحة مصطلحات متعددة لتغييب اسم الإسلام.

[ز] لم يقتصر المستشرقون في بحوثهم على علم واحد، وإنما تناولوا مختلف العلوم، وللأسف لم يلتزموا بالحيدة والموضوعية في أغلب بحوثهم، إذ نجدهم سلكوا سبل التحريف والتشويه في دراساتهم عن القرآن الكريم والطعن في مصدره، وكذلك الطعن والتشكيك في السنة المطهرة وصحتها، وامتد التشويه الى نبي الإسلام محمد {صلى الله عليه وسلم}، وحسبنا قول المستشرق البريطاني وليم موير «إن سيف محمد والقرآن هي أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية الحقيقية».

**** مراكز الابحاث والمعلومات، والمعاهد، والجمعيات الخيرية، والمنشآت الانسانية، كلها وجوه وأقنعة للاستعمار الجديد.**

[ح] تأليف الكتب والمراجع والموسوعات العلمية في موضوعات مختلفة عن الإسلام ونظمه مع التحريف الخفي، والتزييف المتعمد في الوقائع التاريخية، وفي نقل النصوص من القرآن والسنة، وبيان سيرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وإصدار النشرات الدورية والمجلات العلمية الخاصة ببحوثهم عن الإسلام والمسلمين، وإلقاء المحاضرات والخطب في الجمعيات العلمية، وفي كل مكان، ونشر مقالات وبحوث في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، وخاصة في أوساط المثقفين، وترجمة كتبهم ومراجعهم وموسوعاتهم الى اللغة العربية، ويكفي أن نعرف أن هناك مراكز وأقسام عديدة مستقلة



للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية في الغرب كله، وأن في القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات الشرقية عامة، ومنها حوالي خمسين مركزاً خاصاً بالعالم الإسلامي، وأنه منذ مائة وخمسين عاماً، وحتى الآن يصدر في أوربا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، فقد صدر ستون ألف كتاب بين سنة ١٨٠٠ - ١٩٥٠م. أي عبر قرن ونصف، ويصدر المستشرقون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات في تراث الإسلام، وأن المستشرقين عقدوا خلال قرن واحد ثلاثين مؤتمراً مثل مؤتمر «إكس فورد» الذي ضم تسعمائة عالم.

وما هذا إلا خطة لتهيئة الرأي العام لقبول الغزو العسكري والاقتصادي والثقافي الغربي لبلاد الإسلام من جهة، ولدراسة أحوال العالم الإسلامي، وكل ما يتعلق بشؤونه ليساعدهم ذلك على السيطرة وبسط النفوذ من جهة أخرى.

كل هذا كان إعداداً وتمهيداً لتقبلنا لما هو آت، وهو «العولمة»، بل لخضوعنا لما تفرضه علينا العولمة، وعدم إعطائنا فرصة للقبول أو الرفض، فنحن ما بين عشية وضحاها وجدنا أنفسنا أمام العولمة الدينية - من خلال فرض الحوار الإسلامي المسيحي - والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في آن واحد، ووجدنا أنفسنا قد فقدنا القدرة حتى على شجب ما تتعرض له الأمة الإسلامية من عدوان ومحاولات إبادة، بعدما فقدنا القدرة عن المشاركة في القتال للدفاع عن ما يتعرض له المسلمون من غزو، فلقد شوهوا مفهوم الجهاد في أفغانستان بتحويل بعض المجاهدين الى إرهابيين، وتصوير الجهاد في سبيل الله ومقاومة الاحتلال والعدوان إرهاباً، وقتل روح الجهاد في نفوس المسلمين بعد اتفاقية كامب ديفيد، وخداعنا بأسطورة السلام مع الذين لا يعرفون السلام، ولا يحترمون العهود والمواثيق، ولا يلتزمون بها.

والطامة الكبرى أن «العولمة» السياسية سوف تلغي دور الدولة والحكومة، وأن النظام الاقتصادي العالمي الجديد المفروض علينا سوف يجعل البلاد النامية التى نصنف نحن ضمنها مراكز للتلوث الصناعي، إذ يخطط الكبار نقل مصانعهم الى بلادنا لحماية بيئاتهم من التلوث الصناعي، مع استغلال العمالة في هذه البلاد لرخصها، ولكن دون أن تنقل لنا تقنية الصناعة أو جعلها في أيدينا، وهذا ما تدرسه الآن بريطانيا لطلبتها وتعدُّهم لتنفيذه، كما أن النظام المالي الجديد سيتيح المجال أمام المضاربين لضرب اقتصادنا كما حصل في أندونيسيا وماليزيا، كما أن النظام الاقتصادي الجديد سوف يفتح باب الاستثمار على مصراعيه، وهذا يعني أن الصهاينة سيدخلون أسواقنا ويتحكمون في اقتصادنا كما دخلوا بيوتنا من خلال التمويل الأجنبي للجمعيات النسائية الأهلية، والاتفاقيات الدولية - كاتفاقية إزالة أشكال التمييز ضد المرأة التى وقع عليها عدد من الدول الإسلامية - ومؤتمرات المرأة العالمية، وأصبحوا يفرضون علينا الخروج على ثوابت الإسلام مع توعدهم لعلماء الدين إن اعترضوا على ما يفرض علينا من توصيات مؤتمرات المرأة العالمية بسن قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التى تسمح بالانفلات

الجنسي تحت مسمى «الصحة الجسدية» أو «الصحة الجنسية»، والتى تتضمن إقرار الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل الى جانب الحرية الجنسية الانفلاتية.

وبعد فهذه حالنا الآن من جراء تخطيط الغرب، وما سعى ويسعى لتحقيقه، ونحن للأسف كالدمى يحركنا الآخر وفق ما يريد، والاتجاه الذي يريد، ويرجع هذا - في رأيي - الى قصور التربية الأسرية والتعليمية والاجتماعية ولازلتُ أحمِّل المرأة جزءاً كبيرا مما وصلنا إليه، إذ انشغلت بطموحاتها الشخصية وجريها وراء ما سمي بمساواتها بالرجل والمطالبة بالمشاركة السياسية والمشاركة في صنع القرار عن مسؤولياتها الأساسية وفاتها أنها صانعة القرار الأول لأنها مربية صنَّاع القرار، وإهمالها في تربية أولادها أوصلنا الى ما نحن عليه من تبعية واستسلام وخنوع، وعليها أن تفيق قبل أن نفقد ما تبقى لنا من الحفاظ على ديننا وقيمنا وأخلاقياتنا وحشمتنا؛ فغياب الأم عن البيت لفترة طويلة أحدث زلزلة كبرى في كيان الأسرة، ومن ثم في كيان المجتمع، ليس في مجتمعنا الإسلامي فقط، بل حتى في المجتمعات الغربية، فقد ذكرت الصحفية الأمريكية جوستي شاينر رئيسة تحرير صحيفة الواشنطن تايمز في ورقة عملها التى قدمتها لمؤتمر المرأة بين الأسرة وسوق العمل - المنعقد في الدوحة بقطر - في الفترة من ٢٦ - ٢٩ ابريل عام ١٩٩٧م - أن هناك ٨٠٪ من النساء الأمريكيات العاملات يرغبن في العودة الى بيوتهن للتفرغ لتربية أطفالهن، إذ ثبت انخفاض المستوى الأخلاقي لأطفالهن لفشل دور الحضانة في القيام بعملية التربية، ويعتقد ٦٤٪ أن بقاء الأطفال مع أمهاتهم في بيوتهم أفضل من دور الحضانة[٤].

فإن كان القلق يسود المجتمعات الغربية من آثار خروج المرأة الى سوق العمل على تربية النشء وأخلاقه وسلوكياته، وكلنا يعرف أن المجتمعات الغربية قد فصلت العقيدة عن الحياة، وظنت أن الدين هو العلاقة بين العبد وربه لا شأن له البتة بواقع الحياة، فنشأ عن هذا الاعتقاد الفاسد فساد في كل تصورات الإنسان تجاه الخالق جلَّ شأنه، والإنسان والكون والحياة وانحرافها، فكان هناك انحراف في تصور حقيقة علاقة الإنسان بالله عز وجل، وانحراف في تصور الكون، وعلاقته بالله، وانحراف في تصور النفس البشرية، وارتباط الإنسان بالإنسان. فكيف بمجتمعاتنا الإسلامية المتمسكة بدينها، والمؤمنة بخالقها جل شأنه، وقد ظهر بين شبابها بعض الانحرافات العقدية والسلوكية، ومع هذا نراها تدفع المرأة الى سوق العمل، دونما أن نراعي أنها أم وزوجة، إذ نجدها تطبق عليها نفس أنظمة وقوانين العمل التى تطبق على الرجل الذى في الواقع مهمته الأساسية هي العمل التكسبي، واتهم من يطالب بعودتها الى بيتها بالرجعية والتخلف، مع أن غياب المرأة عن بيتها أدى الى تقصيرها في التربية.

فلتكن ثقافتنا ثقافة إسلامية واعية صامدة أمام تحديات العولمة، فارضة ذاتها على الآخر لتكون النموذج الذي نقدمه للعالم في هذا العصر، وبدلا من أن يفرض علينا الآخر ثقافته، وقد مرَّت علينا قرون،



ونحن نتلقى من الآخر، فلقد آن الأوان أن نقدم ثقافتنا الإسلامية بكل رقيها وسموها وثراها وغناها وتجددها الدائم، لأنها من نبع لا ينضب، علينا أن نتبع الآتي:

أولا: الاهتمام بالتربية الأسرية ولا سيما التربية الروحية؛ إذ أرى أن ضعف الجانب الروحي في شبابنا - ذكوراً وإناثاً - هو العامل الرئيسي في هذا الانحراف العقائدي، وتنمية هذا الجانب، وغرسه في روح الأبناء غرساً سليماً هو القاعدة الأساسية في الإصلاح، لما للتربية الإسلامية من أهمية بالغة في غرس حب الله والإيمان به في النفوس، ومراقبته والخوف منه، فللتربية الروحية أهمية بالغة في تحديد عقيدة النشيء يجب الاهتمام بها، والتركيز عليها منذ الطفولة المبكرة ليستطيع الأبناء مواجهة تحديات العصر، وتيارات التشكيك الموجهة ضد ديننا وعقيدتنا بعقيدة ثابتة لا تتأثر بتلك المحاولات التى تعمل على إفقادهم عقيدتهم الإيمانية بالخالق، وصلاحية ما شرعه لهم في أمورهم الدنيوية، وما وعدهم من نعيم في حياتهم الأخروية إن التزموا بما أمرهم به، واجتنبوا عما نهاهم عنه[٥]، فإذا قوي في الإنسان الإيمان بالخالق جلّ شأنه ومراقبته في كل قول وعمل فاتبع أوامره، واجتنب نواهيه، وروض نفسه ووطنها على كبح جماح الغرائز والشهوات، وأصبحت له إرادة قوية استطاع أن يصمد بها أمام المغريات، وعالج نفسه من الانحرافات، بالاعتراف بالذنب، والتوبة النصوح والاستغفار، وقاوم مصائب الدهر بالدعاء، وليس الى ما يغيب عقله كالمخدرات والمسكرات، كما يكتب معظم كتاب القصص والروايات.

ثانيا: علينا أن نعيد النظر في مناهج التعليم؛ إذ لابد أن تكون مناهجنا قادرة على مواجهة تحديات العولة، وتسهم في بناء الإنسان المسلم بناء إسلامياً قوياً، ويكون ذلك بإيجاد العقلية الإسلامية المتفتحة التى ترتكز على أساس ثابت غني ثري نستطيع أن ننطلق منه

**** الفرعونية - والفينيقية والآشورية، والفارسية، والطورانية، والجاهلية، كلها محاولات يائسة لصرف المسلمين عن دينهم.**

**** الغرب بذل جهده في اضعاف اللغة العربية ولكنه لم يفلح.**

الى آفاق بعيدة تحلق في سماوات المعرفة الرفيعة فتجدد وتبتكر وتخترع، وتفرض شخصيتها على غيرها في نطاق سوي يجعلها مماشية لرقى ما يتصور الإنسان من حضارات دون أن تذوب فيها وتضيع في غياباتها، هذه العقلية الإسلامية الفذة التى كانت موجودة لدى علمائنا الأوائل الذين نلمس نبوغ الواحد منهم في مختلف العلوم؛ إذ نجد العالم منهم نابغاً في الطب والهندسة والحساب والفلك وغيرها مثل الكندي، ونجد آخر عالماً في النبات، وينبغ في الفلك والجبر والجغرافيا واللغة والشعر والتاريخ والفقه كأبي حنيفة الدينوري الذي جمع بين شريعة الفقيه، وبيان العربي، وحكمة الفيلسوف، وفن المهندس، وانفساح الجغرافي، وثقافة المؤرخ، وأدب اللغوي، والأمثلة كثيرة لا حصر لها، فهل يوجد لدينا علماء مثلهم؟.

ونحن لو قرأنا سير هؤلاء العلماء نجد انهم جمعوا في علومهم بين علوم الدين والدنيا، ومزجوا بينها، ولم يفصلوا بينها، بل كانت علومهم الدينية طريقاً ومفتاحاً للعلوم الأخرى، وكانت هي أول ما تلقوه، وأول علم تلقوه كان القرآن الكريم حفظوه وفهموه وتعمقوا في معانيه، كما حفظوا الأحاديث النبوية الشريفة، وعكفوا على دراستها، وتفقهوا في أمور دينهم، ثم انطلقوا ليغوصوا في بحور العلوم الأخرى، ومعهم هذه الذخيرة النفيسة من العلم التى ترشدهم وتلهمهم لطرق كل العلوم والنبوغ فيها، فأسهموا في إنشاء حضارة فريدة تميزت على كل الحضارات، وأصبح المسلمون سادة العالم، وأكبر قوة فيه؛ لذا كانت حملات أعداء الإسلام موجهة ضد الدين الإسلامي، ومحاربة القرآن الكريم بإبعاد أبناء الإسلام عنه حتى هجروه، وأصبحت قلة منهم التى تجيد قراءته وتحفظه وتفهمه، ولهجر المسلمين كتاب الله أصبحوا أمة مستضعفة مغلوبة على أمرها؛ لذا لابد أن يكون قوام المناهج الدراسية في مدارسنا الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتفسيره، وحفظ ما لا يقل عن ألف حديث نبوي، مع درس في العقيدة والفقه على أن يراعى الآتي:

**** التبعية السياسية والاقتصادية، والثقافية والفكرية، غاية يسعى الغرب لتأصيلها في الشرق.**

١ - عدم فصل التربية عن التعليم؛ إذ من الملاحظ أن التربية الإسلامية منفصلة تماماً عن العملية التعليمية، ولابد من مراعاة الالتزام بتطبيق أسس التربية الإسلامية في مناهج التعليم وطريقة تدريسها، واتباع المنهج العلمي الذي حثنا عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}[٦]، وقوله تعالى: {قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون}[٧]، وقال تعالى: {ولا تقفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا}[٨]. وقد طبَّق علماؤنا الأوائل هذا المنهج في بحوثهم وعلومهم في مقدمتهم الحسن بن الهيثم الذي أقر «هيل جوزيف» في كتابه (تاريخ الحضارة) باتباع الحسن بن الهيثم المنهج العلمي، وهذا دليل على أن المسلمين أسبق في اتباع المنهج العلمي من الغربيين الذين يزعمون أن (فرنسيس بيكون) أول من اتبع المنهج العلمي، فهم أخذوه منا ونسبوه إليهم.

٢ ـ أن تلاحق المناهج الدراسية أحداث هذا العصر وانجازاته حتى يستطيع الناشيء معايشة عصره والتعامل فيه بثقة وثبات؛ إذ لابد أن تتفاعل المناهج الدراسية مع حياتنا اليومية حتى يستطيع أبناؤنا فهمها واستيعابها وبالتالي تمكنهم من الإبداع والابتكار والاختراع.

إن معظم الاختراعات والمبتكرات الحديثة هي من نصيب غير المسلمين، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا؟ هل أولئك اكثر ذكاء وعبقرية من المسلمين؟ بالطبع لا، بدليل ما أحرزه المسلمون الأوائل من تقدم في جميع المجالات، وكونوا حضارة هي سيدة الحضارات وأرقاها، والمسلمون النابغون الآن هم الذين يعيشون في بلاد الغرب!

إذن ما السبب ؟

السبب هو طريقة التعليم لدينا، وطبيعة المناهج الدراسية التى تنحصر في تكدس المعلومات، ومطالبة الطالب بالحفظ «الصم» وعدم التفاعل مع ما يدرسه في حياته اليومية فماتت في أبنائنا روح الإبداع والابتكار والاختراع، بل توقفت مقدرتهم على التفكير حتى أضحى معظمهم يحفظ حلول المسائل الرياضية حفظاً صماً، وإذا جاءتهم مسألة مماثلة في طريقة حلها لما في المقرر يعجزون عن الحل ويرتبكون.

٣ ـ الاهتمام بالمواهب وتنميتها وتوجيهها توجيهاً صحيحاً سليماً، وتسخيرها في سبيل الخير لتكون نافعة للإسلام والمسلمين، وذلك باتباع منهج التربية الإسلامية إزاء المواهب والاستعدادات، ذلك المنهج الذي لا يكبتها ولا يبددها، وإنما يوجهها وجهة الخير التى تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة.

٤ ـ تعريب العلوم التجريبية بما في ذلك الطب، وكذلك العلوم الإدارية والاقتصاد.

٥ ـ إعادة كتابة التاريخ من منظور إسلامي وفق التفسير الإسلامي للتاريخ في الكتابة التاريخية، وتنقيته من الإسرائيليات، والروايات الموضوعة والشاذة والمفردة التى تهدف النيل من الإسلام وأنبياء الله، وصحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونسائه رضوان الله عليهم، وخلفاء المسلمين.

٦ ـ إعادة كتابة تاريخ الأدب العربي من منظور إسلامي، وتقويم الأعمال الأدبية من هذا المنظور لتنقيته مما علق به من شوائب التغريب والالحاد،

وإعادة الهوية الإسلامية له ، وتدريس الأدب الإسلامي.

٧ - أسلمة العلوم الإنسانية من جغرافيا وعلم نفس واجتماع، واقتصاد وإدارة، بتوضيح آثار علماء الإسلام فيها، ونتائج بحوثهم، ودراساتهم، ومدى استفادة علماء الغرب منها، وكذلك بالنسبة لعلوم الأحياء والفيزياء والكيمياء والنبات والطب والرياضيات.

٨ - جعل اللغة العربية هي لغة العلوم، والدراسة في جميع المراحل الدراسية بما فيها الرحلة الجامعية.

٩ - تدريس مادتي المرأة في الإسلام، والأسرة المسلمة ليعرف كل من الرجل والمرأة ماله وعليه.

١٠ - العمل على رفع مستوى المعلمين والمعلمات الذين يعملون الآن في حقل التعليم في مراحله المختلفة، لأن تدني مستوى الطلبة والطالبات يرجع في المقام الأول الى تدني مستوى معلميهم.

** الاستشراق الحديث تحدد خطوطه ومعالمه الصهيونية العالمية.

ثالثا: علينا أن نعمل على توافق التربية الاجتماعية مع معطيات وأسس التربيتين الأسرية والتعليمية ولا تكون متناقضة معهما كما هي الحال الآن، وذلك باتباع الآتي:

(١) - أن يعاد للمسجد دوره في المجتمع، وأن يجمع علماؤنا بين الأصالة والمعاصرة، ويأخذ علماؤنا بالأيسر في الدين لقوله {صلى الله عليه وسلم} (يسروا ولا تعسروا)، ولقوله {صلى الله عليه وسلم} (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً، وللأسف الشديد نجد أن بعض العلماء متشددين في الدين لدرجة تحريمهم الحلال من باب سد الذرائع، كما نجد البعض يخضع بعض النصوص القرآنية والحديثية الخاصة بأحكام النساء للعادات والتقاليد، مما يؤدي الى حرمان المرأة الى كثير من حقوقها، وهذا أحدث فجوة بين نسبة كبيرة من المسلمين من الجنسين، وبين الإسلام، وعلماء الإسلام، واستغله العلمانيون في المطالبة بإبعاد الدين عن التشريع، والسياسة والاقتصاد، وقصره على العبادات.

ومما يعمق هذه الفجوة تشدد بعض الإسلاميين في أمور الحياة، وعدم قدرتهم على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهم يكادون يعيشون في عزلة عن العالم لتحريمهم مشاهدة التلفاز، ومطالعة الصحف لأن بها صوراً، وبعض هؤلاء يتصدر للفتوى، وهو غير مؤهل لها فيضيق على الأمة بتضييق دائرة المباح، وتوسيع دائرة المحرمات. والبعض الآخر نجده يتساهل في الدين لدرجة إباحة بعض ما حرَّمه الإسلام.

(٢) - العمل على وضع خطة إعلامية موحدة من قبل وزراء الإعلام في العالم الإسلامي لمواجهة



التحديات التى تواجه أمتنا الإسلامية، وأن يتبنى إعلامنا في البلاد الإسلامية الأدب الإسلامي، لأنه يشكل الآن الجبهة التى تجعلنا نحافظ على هويتنا الإسلامية وأصالتنا وتراثنا الفكري والحضاري، ويقينا شر الذوبان في ثقافة وحضارة الآخر.

(٣) - أن يشجع أصحاب القنوات الفضائية المفتوحة والمشفرة على التنسيق فيما بينهم ليقدموا مواد جيدة بعيدة عن الإسفاف، تجمع بين الترفيه البريء والتثقيف الإسلامي الواعي، وعلى القنوات الفضائية المتخصصة ألا تخرج عن المناهج والأهداف التى أنشئت من أجلها.

(٤) - أن تتاح الفرص للأقلام الإسلامية الواعية المعتدلة غير المتطرفة بالكتابة في الصحف والمجلات.

(٥) - العمل على القضاء على التطرف والغلو في الدين؛ إذ لابد من العمل على نشر الوسطية في الدين، ولابد لمن يسيرون على هذا النهج أن تكون لهم مشاركة إيجابية فعَّالة في الخطاب الديني، وأن يكونوا اكثر جرأة وشجاعة في مواجهة المتشددين والمتطرفين لإعادة التوازن في حياتنا الاجتماعية، ولتوحيد التوجه، والقضاء على هذا التحزب الذي تعيشه أمتنا الآن.

(٦) - العمل على احتضان أبناء الأمة الذين ابتعدوا عن النهج الإسلامي وتبنوا التيار العلماني بإعادتهم الى المنهج الإسلامي بفتح باب الحوار معهم لتبصيرهم بأمور دينهم، فلقد تبين لي من خلال مواجهاتي معهم جهلهم التام بدينهم، وحكمهم عليه من خلال الرؤية التى رسمها له الغرب، فأغلب هؤلاء ثقافتهم غربية درسوا في مدارس أجنبية، وتتلمذوا على أيدي الغربيين، وبعضهم الآخر تأثر بالمنظور الغربي من خلال قراءته، أو عن طريق أساتذة تتلمذوا على الغربيين.

رابعاً: علينا أن نتناسى كل الخلافات التى بيننا، وأن نجمع كلمتنا ونوحد صفوفنا، وأن نتخذ مواقف موحدة تجاه قضايانا.

خامسا: أن ننشىء سوقاً إسلامية مشتركة لأننا نعيش في عصر التكتلات القوية والكبيرة.

سادسا: أن نتحرر من كل ألوان وأشكال التبعية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية والأدبية، ومما يؤلم النفس حقاً أن دعوة الأدب الإسلامي التى تريد تخليص أدبنا من التبعية الغربية تجد معارضة كبرى من بني الإسلام ليس لشيء إلا لأنه إسلامي رفضاً منهم لكل ما هو إسلامي متأثرين بما فرضه الغرب من فكر يقوم على فصل الدين عن الفكر، بل عن جميع أمور الحياة.

سابعا: إنشاء صندوق دولي إسلامي لتمويل مشاريع الدول الإسلامية وسداد ديونها أو إقراضها للاستغناء عن الصندوق الدولي الذي يلزمنا باتفاقيات تتناقض مع قيمنا ومبادئنا مقابل سداد ديوننا أو تمويل مشاريعنا.

ثامناً: أن نحذو حذْو دول الخليج العربي في منع التمويل الأجنبي للجمعيات النسائية غير الحكومية

لحماية كيان أسرنا، والتي يركز الآخر جهوده، ويكثف ضغوطه ليهدم هذا البناء.

تاسعا: أن يحول أصحاب رؤوس الأموال المسلمين أرصدتهم الى بنوك البلاد الإسلامية لدعم اقتصاد البلاد الإسلامية، وأن يجعلوا البلاد الإسلامية مراكز لمشاريعهم الاستثمارية، لتتحرر من التبعية الاقتصادية.

عاشرا: أن نسعى الى توحيد لغة المسلمين بنشر لغة القرآن الكريم وجعلها لغة كل مسلم ومسلمة.

حادي عشر: أن نتسلح بثقافة إسلامية واعية، وأن نواجه تحديات العولمة بها، بل علينا أن ننشر الثقافة الإسلامية، وأن نقدمها للعالم بكل ما فيها من سمو وجمالية وقيم وفضائل وعدل وخير للبشرية، بدلا من «الأمركة» المفروضة على العالم بكل أمراضها وشذوذها، وهيمنتها وسطوتها وغرورها وغطرستها وظلمها وانحيازها للصهيونية العالمية ولكل من يحارب الإسلام، ويبيد المسلمين.

**** التربية الاجتماعية والأسرية على مقررات الدين صمام الأمان.**

ثاني عشر: علينا أن نبدأ بدراسة الغرب وعلومهم ومناهجهم، ونقدها من المنظور الإسلامي، وذلك للاستفادة مما حققوه من انجازات في مجال العلوم التطبيقية، ومن مناهجهم فيما لا يتعارض مع الدين، وتوضيح مثالب وعيوب الحضارة الغربية باتباع منهج علمي حقيقي مجرد عن الميول والأهواء والترهات التي أرشدنا ووجهنا اليه ديننا الحنيف.

ثالث عشر: أن يكون هناك تواصل فكري وثقافي بين أبناء الجاليات الإسلامية، وبين مفكري ومثقفي الأمة الإسلامية، عن طريق تنظيم المؤتمرات والملتقيات والمهرجانات والمواسم الثقافية، وعلى المؤسسات والمنظمات الإسلامية أن تنظم مؤتمرات في مختلف البلاد الإسلامية يشارك فيها مثقفو ومفكرو أبناء الجاليات الإسلامية لربطهم بوطنهم الأم، وليتم التواصل بينهم وبين أكبر عدد ممكن من مفكري ومثقفي الأمة.

إن الصلة بيننا وبينهم تكاد تكون منقطعة، وهذا قصور منا نحن شعوبا وحكومات، وعلينا أن نعمل على التواصل بيننا وبينهم فهم جزء لا يتجزأ منا، وسيسألنا الله عنهم إن فرط أحدهم في دينه، أو تعرض الى ما يسيئه دون أن نقف الى جانبه ونسانده للحفاظ على دينه وليجتاز محنته، ومتى أدركنا هذه المسؤولية، وقمنا بواجبنا نحوهم، نكون قد أسهمنا في أسلمة فكر وثقافة الأمة ـ وأقول هنا أسلمة فكر وثقافة الأمة لأن الغالبية العظمى منا أضحت للأسف الشديد علمانية الفكر والثقافة،



وأصبح معظم القائمين على وسائل الاتصال علمانيين - ووحدنا توجهاتها لخير البشرية، وبذلك نكون قد أسهمنا في إعادة الدور الحضاري للأمة الإسلامية، وجعلنا الثقافة الإسلامية في موقع القوة والإبداع والابتكار لا موقف الضعف والتقليد والاتباع، كما هي حالنا الآن.

رابع عشر: على مفكري ومثقفي الجاليات الاسلامية أن يقوموا بدورهم الثقافي في المجتمعات الغربية، بالتعريف بالاسلام ومبادئه وقيمه وحضارته وتاريخه لتصحيح ما شوهه رجال الكنيسة والمستشرقون عن الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام وتاريخه.

خامس عشر: أن نبدأ بالتصنيع الحربي، فإذا لم نملك سلاحنا لن نملك حق إصدار القرار، والتحرر من التبعية السياسية والفكرية والثقافية، صحيح أن الآخر لن يتركنا نحقق هذا، وسيضع أمامنا العراقيل للحيلولة دون تنفيذنا لهذا الأمل، وقد ينسف ما نبنيه من مصانع، ولكن كل هذا ينبغي أن يزيدنا تصميما على تنفيذ ما يحقق لنا استقلالنا، ويحافظ على كرامتنا.

استميحكم العذر لإطالتي ولكن هذا الموضوع قد أثار شجوني لأنه جاء على الجرح الذي أدمى قلبي، وأقلق مضجعي، وأتمنى أن يدرك الجميع خطورة المرحلة القادمة، ويدرك كل فرد منا خطورة وأهمية دوره.

**** مؤتمرات المرأة صياغات خارج الدين والشرع.**

إن الأجيال القادمة سوف تلعننا إن لم نعبر بها الى بر الأمان من هذا الخطر الداهم فلنكن على قدر المسؤولية، وأهلا لتحمل هذه الأمانة.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في صياغة معالم لمستقبل الثقافة الإسلامية لتكون ثقافة أمتنا ثقافة إسلامية قائمة على أسس سليمة تجعلنا نصمد أمام التحديات، بل تجعلنا نقدم للعالم الغارق في المادية النموذج الأمثل الذي هو في أمس الحاجة إليه.

الهوامش :

(١) ديوان أدونيس : المجلد الأول ص ٣٤٦.

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور: قصيدة الحزين، ص ٣٨.

(٣) قصيدة كلمات سبارتكوس لأمل دنقل.

(٤) Jostte Shiner, A woman,s Challenge Balamcing work and Family, P.4-5.

(٥) سهيلة زين العابدين حمَّاد: بناء الأسرة المسلمة، ص ١٢٧، الدار السعودية للنشر.

(٦) البقرة/ ١٠١.

(٧) الأنعام/ ١٤٨.

(٨) الإسراء/ ٣٦.



الأديبات ومستقبل «أدب المرأة»

ليس المقصود بأدب المرأة أننا نميز بين نوعين من الأدب، أدب نسائي وأدب رجالي، فنحن ضد هذا الفصل، فابداع المرأة الصادق لا يقل بأى حال عما يبدعه الرجل، ولذلك يصير الفصل بين كتابات المرأة والرجل غير منطقى، ومن هنا فنحن نستخدم مصطلح أدب المرأة من زاوية أخرى، بغرض ابراز دور المرأة في الحركة الادبية وخاصة في العشر سنوات الماضية، ماذا أضافت الى الحركة الادبية، وما هى أسباب التعثر الذى تواجهه ابداعات المرأة، وما هي رؤية الكاتبات حول مستقبل أدب المرأة في وطننا العربي؟

المرأة الادبية مظلومة:

تقول **الدكتورة زهيرة البيلى**: لم تضف المرأة الى الأدب إضافة حقيقية، بل شاركت مشاركة نسبية فقط، ولكن هناك شيء يجب أن أوضحه وهو الصورة التى كانت منطبعة عن أدب المرأة، وهي أن المرأة تكتب عن الرومانسية والحب فقط. لقد اختلفت الصورة تماماً الآن ولم تعد كذلك، فقد تناولت موضوعات اخرى غير ذلك من قضايا المجتمع، وعندما تناولت مشكلة الطلاق مثلا، تناولتها بطريقة أعمق بكثير مما لو كان الرجل قد تناولها. وحكمى على المرأة الأديبة في وطننا العربي سيكون قاسياً جداً وذلك بسبب تأثرى الشديد بما كتبته المرأة الفرنسية لأني قرأت في هذا المجال كثيراً جداً أثناء وجودى في باريس للحصول على الدكتوراة، **والمرأة العربية مشكلتها الأساسية أنها لا تعيش تجربة الكتابة بكل أبعادها**، لأن الكتابة محتاجة لتفرغ نفس ولحظات صفاء، وذلك غير متاح لها لعدة أسباب منها: أن المرأة الكاتبة تبدأ الكتابة في الثلاثين من عمرها في أغلب الأحيان لأن تكوينها وتربيتها

تحقيق : **يسرى حسان** - مصر

يفرضان عليها ذلك، وهذا يؤثر على مستوى فنها بالطبع، ثانيا المرأة عندما تكتب في ظل القيود، لا تنسى أنها امرأة وهذه مشكلة، فهى لا تعبر عن رأيها بصراحة، **واعتقد أن المرأة أسرفت في استخدام كلمة الحرية والاستقلال**، ولكنها لم تعايش التجربة بصدق وانساقت وراء شعارات الرجل، ومازال الهجوم على المرأة في مجتمعنا أسهل بكثير من الهجوم على الرجل، لأن **مجتمعنا مازال يمر بمراحل انتقالية لم يتخطها بعد.**

وأنا أطالب بالاهتمام أكثر بالمرأة **وتخصيص جوائز باسمها** مثلما يحدث في فرنسا، حيث تمنح جائزة (فيمينا) أي المرأة للأدباء الفرنسيين من الجنسين، وعلى الجانب الآخر أطالب المرأة ألا تنساق وراء البريق والمجاملات، وتدرك أنها دخلت في مناقشة مع الرجل ويجب عليها أن تثبت وجودها وتحاول الاستفادة من النقد، وعليها أن تدرك جيداً أن الفن لمن صدق وليس لمن سبق، وقد قال لي الكاتب الفرنسي ميشيل دورنيه ذات مرة أنه بدأ في الكتابة في سنة ٣٥، وقال يجب أن يختفى الكاتب وراء أعماله، وأنا دائماً أقف وراء أعمالى فالاضواء تسلط على ما أقدم وليست عليَّ، وأنا أطالب الكاتبات أن يضعن هذه العبارة نصب أعينهن. **وأتمنى أن تدرك الكاتبة رسالة الكتابة وأنها لم تعد للتسلية**، وقد حاولت ذلك في قصصى واعتقد انني نجحت في ذلك الى حد كبير، واتمنى للكاتبة العربية أن تصل الى مستوى فنى راق مثل (مارجريت ديورس) مثلا صاحبة كتاب العشيق الذى كتبه بجرأة وصدق شديدين، يجب أن تدرك المرأة أنها متأخرة جداً في مجال الكتابة والدليل على ذلك أنه ليس لدينا كاتبة لامعة على مستوى الكتاب الكبار.

الكثرة العددية تتحكم :

وتقول **الشاعرة ملك عبد العزيز: أعتقد أن الأعمال الجادة في الأدب النسائي تقف الى جانب كثير من الأعمال الجادة في الأدب**، ولا استطيع أن احكم بأن أدب المرأة أضاف شيئا جديداً الى الأدب

بصفة عامة أو لم يضف، ولكنه تناول شيئا جديداً من المجتمع ومن النفس البشرية، وتأصيل النفس البشرية مما يوجد في كل أدب، وأنا لا أرى أدب المرأة متعثراً، ولكن الكاتبات أقل عدداً من الكتاب، ذلك لأن **المجتمع** بالرغم من تحرره الظاهرى، إلا أنه **مازال يضع قيوداً كثيرة أمام المرأة الكاتبة**، هذه القيود وإن لم تكن ظاهرة فإنها تعمل عملها من نفس المرأة بانعكاساتها القوية عليها، ولا ننسى **أن عدد المتعلمات من النساء أقل بكثير من عدد المتعلمين من الرجال**، إن العالم يتقدم والمرأة تحصل على حريتها بالتدريج، ولذلك فإن ازدهار الأدب النسائى في المستقبل أمر مؤكد، وأنا لا أحبذ استخدام مصطلح الأدب النسائي وأفضل عليه الأدب الذى تكتبه المرأة، لأنه ليس هناك أدب رجالى وأدب نسائي، بل هناك أدب جيد أو لا أدب.

**** المرأة لم تضف للأدب اضافة حقيقية.**
**** الأديبة عندنا لا تعيش تجربة الكتابة بكل أبعادها.**
**** المرأة انساقت كثيراً وراء شعارات الرجل.**
**** الحرية الفكرية للمرأة لا تزال حلماً.**

الكاتبات فرضن وجودهن :

وتقول **الأديبة إقبال بركة**: حصلت طفرة كبيرة بالنسبة لأدب المرأة منذ أوائل السبعينيات ودخل عالم الأدب أسماء جديدة، وانتعشت اسماء كانت قد بدأت الكتابة منذ أوائل الخمسينيات، وأضافت الكثير جداً الى الأدب العربي، فبالاضافة الى هموم المرأة كنوع انسانى وكحالة اجتماعية وسياسية خاصة، **اهتمت الأديبات بقضايا الوطن عامة ولم ينحصرن داخل ذواتهن كما كان يحدث في الاربعينيات والثلاثينيات**، فقرأنا لكاتبات يناقشن الحياة السياسية وقضية فلسطين والانفتاح ومسألة تعدد الأحزاب، مثل روايتي (تمساح البحيرة) التى تناقش قضايا الوطن اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً منذ الاربعينيات وحتى الثمانينيات، و(ليلة القبض على فاطمة) **لسكينة فؤاد** تناقش تطبيق سياسة الانفتاح على مدينة بور سعيد هذا بجانب افلام **(حُسْن شاه)** التى تناقش الأحوال الشخصية من الوجهة القانونية والاجتماعية.



إن أدب المرأة في خلال العشر سنوات الاخيرة استطاع أن يكسر الحصار ويقتحم مجال السينما والمسرح والتليفزيون، وأن يفرض وجوده في أعمال ناجحة لفتت الأنظار، وأثارت الجدل حولها مما يدل على أن المرأة قادرة على أن تثير القضايا بشجاعة وقد نجحت في هذا المجال الكاتبة (فتحية العسال).

إن أهم مشكلة تواجه المرأة هي انصراف النقد الجاد عن متابعة أعمالها ونظرة بعض الكتاب الرجال إليها أحياناً تكون قاصرة عن فهم اتجاهاتها فيحصرونها في مجال ضيق، وتنهال عليها أصوات النقد القاسي بلا مبرر، وتواجه المرأة مشكلة النشر فأصحاب دور النشر كلهم رجال وهم لذلك لا يتحمسون لابداعات المرأة، والمشكلة الأهم هي **عدم وجود هيئة تجمع الكاتبات وتوحد كلمتهن فهن مازلن الى الآن جُزُراً منعزلة** في محيط شاسع وهذا ما أرجو أن يزول، لقد حقق أدب المرأة نجاحاً كبيرا بفتحه الباب على مصراعيه لدخول اسماء جديدة وجيدة، وأتاح الفرصة لبعض الكتاب الكبار أن يعيدوا النظر في آرائهم السابقة حول أدب المرأة وأن يقفوا منها موقفاً ايجابياً دون تعصب أو تحيز، وأعتقد أن الكاتب الكبير **احسان عبد القدوس** بدأ في هذا، وأنا أوجه نداء الى كل كتابنا الكبار أن يكفوا عن اتهاماتهم للمرأة بأنه لا توجد كاتبات في وطننا العربي وأن أدب المرأة لم يرق الى مستوى الادب العام، فالكاتبات فرضن وجودهن واصبحن علامات بارزة على الساحة الأدبية.

**** الكتابة رسالة .. ولم تعد للتسلية.**

**** ليس لدينا حتى الآن كاتبة لامعة على مستوى الكتاب الكبار.**

**** أدب المرأة أضاف جديداً في المجتمع والنفس البشرية.**

**** عدد المتعلمات من النساء أقل بكثير من عدد المتعلمين من الرجال.**

المرأة الكاتبة واجهة حضارية:

وتقول **الكاتبة اعتدال عثمان**: إن إسهام المرأة في الحياة العامة وفعالية دورها في مجال الأدب والثقافة قد ارتبط ارتباطا وثيقاً بالمد القومي والازدهار الثقافي بصفة عامة.

وفي تاريخنا الحديث شواهد واضحة على صحة ما أقول.

وبديهي أن المرأة الكاتبة إذا جمعت بين الموهبة والوعي والثقافة المتنوعة فإنها تستطيع أن تعبر عما هو مقموع في ثقافتنا.

وإذا كانت الحقبة الماضية قد شهدت أزمة ثقافية وفكرية هي بلا شك صورة عاكسة ومباشرة لخلخلة اجتماعية شملت اوجهاً عدة لحياتنا فإنه من الطبيعي أن ينعكس هذا كله على دور المرأة الكاتبة وقدرتها على التطور والاضافة الى انجازات سابقة. وبدون تحيز أقول إن المرأة ما تزال تواصل كفاحها بدأب وبمثابرة وخصوصاً في مجالى الأدب والثقافة.

إن قراءة سريعة لواقعنا الأدبي تؤكد **حضور المرأة المؤثر والفعال في الصحافة الأدبية وظهور عدد لا يمكن إغفاله من المبدعات** خلال السنوات الأخيرة ومواصلة عدد آخر من المبدعات انتاجهن الأدبي بعد انقطاع استمر لسنوات. كما أن هناك مواكبة نقدية واعية لباحثات متخصصات يكتبن دراسات أدبية مهمة ولعل هذه المبادرات واجهة حضارية تدعونا للتوقف **وإعادة الحسابات التى تصر على مصادرة طاقات المرأة الكاتبة.**

**** منذ السبعينيات بدأ (أدب المرأة) يأخذ شكلا أكثر عمقاً وجدية.. والتصاقاً بقضايا المجتمع.**

**** انصراف النقد الجاد عن أدب المرأة واحدة من مشاكل هذا الأدب.**

إننا إذ نصادر طاقات الابداع، مهما كان مصدرها فإننا نصادر امكانات المجتمع على التطور والتغلب على أزماته. والمستقبل ليس منحة أو هبة وانما يصنع بأفراده جميعهم ومن خلالهم، وبقدر عمل المجتمع كله على اطلاق طاقات التجدد والتفتح والتطلع الى آفاق العصر الذى نعيشه. **إن المرأة مسئولة بصورة عامة عن الاسهام في صنع هذا المستقبل** والمرأة



الكاتبة مسئولة بصفة خاصة عن تعميق وعيها بقضايا الواقع ومتطلباته كما أنها مسئولة عن صقل موهبتها والمبادرة الى انتاج أدبي وإبداعي لا يخضع للقوالب الجاهزة والصيغ المستهلكة، ولها حق الكلمة الحرة والوجود الايجابي.

المرأة وشدة الحساسية :

وتقول **الأديبة فوزية مهران**: أعتقد أن المرأة أضافت وجهة نظر جديدة كإنسانة في احداث المجتمع التى تجرى من حولها، ويتميز أدب المرأة بشدة الحساسية، ولها بالطبع اسلوب مميز في التعبير عن هذه الاحداث من خلال رد فعلها في أعماقها، ذلك لأن **إحساس المرأة احساس مركب لكونها سيدة لم تصل الى مستوى الحرية اللائق بها كإنسانة، وكونها مواطنة تحس بآلام وأحلام المجتمع.**

وإذا سلمنا بأن أدب المرأة متعثر فذلك يرجع الى عدة أسباب منها أن المرأة في مجتمعنا لها ظروفها الخاصة، والابداع هو تجربة شخصية **وعلى المرأة إذا أرادت أن تبدع أن تثور على المجتمع** وتخوض حرباً ضد الزوج وضد القيود والعرف والمجتمع وتحاول أن تهرب من هذه القيود، وإذا نجحت في ذلك فسوف تتفوق على الرجل، وقد تحقق هذا الى حد ما للشاعرة (**فدوى طوقان**) ذلك لأن قضيتها حازمة وشاعرة ألا وهي القضية الفلسطينية. عندما انطلقت فدوى طوقان لتعبر عن آمال وطموحات أمتها تميزت ولم نجد في شعرها أي قصور بل انها وقفت على قدم المساواة مع الشعراء الرجال.

**** المرأة تواجه مشكلة في نشر أعمالها الأدبية.**
**** المد القومي والازدهار الثقافي له أثره البالغ في تنمية الحركة الأدبية.**
**** المرأة مشاركة ومساهمة في صنع المستقبل.**

وأنا أرى أن المستقبل هو الغد الأفضل لكافة المستويات في السياسة والأدب والفن واسلوب الحياة، واعتقد أنه يحوى تقدماً وعمقا اكثر لنظرة المرأة وقدرتها على التعبير.



ملاحظات حول تبويب نتائج الدراسات والبحـ

تستخدم الجداول بكثرة في البحوث والدراسات العلمية؛ لذا يصبح من المهم معرفة بُعْد خصائصها والأخطاء التي يجب تفاديها عند كتابة الجداول.

أ. تعريف الجداول:

الجدول عبارة عن تبويب للبيانات بهدف تصنيفها والمقارنة بينها وعرضها بشكل مختصر يمكن القارىء من رؤية كم من المعلومات والعلاقات دفعة واحدة. اي انها في ذاتها تمثل رمزاً بصرياً يقلل من صعوبة الربط بين جزئيات البيانات المتناثرة في السياق اللفظي.

ب. خصائص الجدول الجيد:

البيانات المبوبة في الجدول يجب ألا تكون تكراراً للنص. وطبعاً من الضروري الإشارة الى كل جدول من الجداول من خلال النص. ويجب أن تنحصر الإشارة الى الجدول في اهم النقاط الرئيسية وإلا اعتبر الجدول تكراراً للنص، ولذلك يجب ان يكون الجدول مفهوما بدون الرجوع للنص.

وفي الإشارة الى الجدول في النص نستخدم طريقين:

١ ـ كما نرى في جدول (١) ، توضح العلاقة بين الذكاء والتحصيل.

٢ ـ اوضحت العلاقة بين الذكاء والتحصيل: انظر جدول (١).

في الحالة الأولى جدول (١) لا توضع بين اقواس لأنها جزء من السياق.

* الأخطاء التي يجب تفاديها في الاشارة للجدول.

- انظر الجدول السابق أو اللاحق.
- أو انظر الجدول في ص ٣٠.
- كما نرى في جدول (١).
- انظر جدول (١).

ج. ترقيم الجدول:

لا يعطى للجدول حروف مثل جدول (أ) ولا يرقم الجدول ١أ أو ١ ب

الحالة الوحيدة التي يعطى فيها للجدول حروف هي عندما توضع الجداول في الملاحق. هنا يشار إليها في مواضعها في النص جدول (أ).

د. كتابة عنوان الجدول:

أولا: يكتب جدول ١ أو جدول ٢ وهكذا يعطى للجدول عنواناً مختصراً ولكن يوضح بصورة كافية محتويات الجدول أي المتغيرات الأساسية فيه.

نأخذ امثلة على عناوين ونرى ايها افضل.

اثر التخصص على التحصيل لدى طالبات الكلية (التربية).

(مختصر اكثر من اللازم).

...وث في جداول

بقلم : د . سهير زكريا على فوده

استاذ مشارك المناهج وطرق التدريس - كلية التربية للبنات - بجدة

متوسط درجات اداء الطالبات في اختبار التحصيل للطالبات المتخصصات في الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات بكلية التربية.

(طويل جداً وتكرار معلومات ستوضع في رؤوس الجدول).

متوسط درجات الطالبات من التخصصات العلمية المختلفة في اختبار التحصيل.

(مقبول)

من الضروري ان يمثل العنوان شكلي المتغير المستقل وليس من الضروري ان يمثل المتغير المتوسط والذي عومل كمتغير مستقل.

مثال :

«متوسط درجات الأطفال الذين حصلوا والذين لم يحصلوا على تعزيز في اختبار التحصيل».

في هذا العنوان يظهر المتغير المستقل وهو التعزيز والمتغير التابع وهو درجات التحصيل. وفي حالة كون هؤلاء الأطفال ذكوراً وإناثاً فإن ذلك لا يوضع في العنوان وإنما في الأعمدة الداخلية للجدول كما في جدول ١.

(جدول ١) متوسط عدد الإستجابات الصحيحة للأطفال الذين حصلوا والذين لم يحصلوا على تعزيز

Stub head	المجموعة	ن أ	٣	٤	٥	٦	Boxheed / Column head
		الفرقة					
	الاختبار الشفهي						
Stub Column	**الإناث:**						Spanner heads
	حصلوا على تعزيز	٢٠ (١٨)	٢٢٠	٢٩٧	٢٦٥	٢١٤	
	لم يحصلوا على تعزيز	٢٠ (١٧)					
	الذكور:						
	حصلوا على تعزيز	٢٠ (١٨)					
	لم يحصلوا على تعزيز	٢٠ (١٩)					
	الإختبار التحريري						ف
	الاناث:						
	حصلوا على تعزيز						٢,٨١ *
	لم يحصلوا على تعزيز						١,٦٦
	الذكور :						
	حصلوا على تعزيز						٤,٣٨ **
	لم يحصلوا على تعزيز						

$* P < .05.$
$* P < .01.$

ملحوظة: الدرجة الكلية = ٣٢٠

أ الترقيم بين القوسين يوضح عدد الأطفال الذين اتموا الاختبار.

هـ. مسميات رؤوس الأعمدة في الجدول:

رؤوس الأعمدة يمكن ان تكون:

١ - عنوان عمود اقصى اليمين Stubhead.

٢ - عنوان توضيحي لرؤوس الأعمدة Box-heads

٣ - رؤوس الأعمدة Columnheads

٤ - العناوين الفاصلة Spanner heads

و. تعريف لأعمدة الجدول :

١ - العمود في اقصى اليمين في اللغة العربية وفي اقصى اليسار في اللغة الانجليزية يسمى عمود اقصى اليمين Stub Column يوضع به المتغيرات المستقلة الرئيسية أو الأفراد لابد ان يكون له عنوان يصف العناصر في هذا العمود.

من الأخطاء الشائعة في هذا العمود وضعه في عمودين.

يفضل استخدام (indention) اي الدخول خمس مسافات ثم كتابة العمود الثانوي.

٢ - عنوان توضيحي لرؤوس الأعمدة Box-heed.

العنوان التوضيحي لرؤوس الأعمدة يستخدم لتوضيح المدخلات وهي الأرقام او الرموز في المستوى الأفقي للجدول والهدف منه عدم تكرار الكلمات ويوضع على عمود او اكثر من الأعمدة.

من الأخطاء الشائعة كتابة العمود الأفقي كالآتي:

الفرقة الأولى الفرقة الثانية

الفرقة الثالثة .. وهكذا

٣ - رؤوس الأعمدة Column heads.

توضح الأرقام أو الرموز في المستوى العرضي للجدول.

٤ - العناوين الفاصلة Spanner heads.

فواصل حتى لا تكرر بقية العناوين الأخرى وبذلك يمكن ضم جدولين معاً عند الحاجة.

ز. مسميات البنود في العمود الرئيسي (عمود اقصى اليمين):

لابد ان تأخذ المسميات في هذا العمود شكلا لغويا واحداً

مثال :

السمه :

ذكي

بطيء

يتكلم كثيراً

الأصح :

السمه :

ذكي

بطيء

متكلم (كثير الكلام)

ح. تكرار اعمدة داخل الجدول:

اغلب المراجع تؤكد على اهمية عدم تكرار اعمدة يمكن استخلاصها بسهوله من الجدول مثل وضع عمود للتكرارات يليه عمود للنسب المئوية - يمكن هنا الإكتفاء بالنسبة المئوية، وهكذا.

ط. الإضافات تحت الجدول: (Footnotes).

الملاحظات التى توضع تحت الجدول لها ثلاث وظائف هي:



١ ـ الملاحظة العامة: (General note)

تشرح او تحدد معلومات مرتبطة بالجدول ككل.

امثلة: الدرجة الكلية = ٣٥٠ مثلا أو العدد الكلي اكبر من ١٠٠.

٢ ـ الملاحظة النوعية: (Specific note)

تشير الى عمود ما أو مدخل معين أو عدد المفحوصين.

٣ ـ مستوى الدلالة (Probability level)

تعطى النتائج المرتبطة بمستوى الدلالة.

الملاحظات العامة: تبدأ بكلمة ملاحظة. ثم المعلومات المطلوبة.

الملاحظة النوعية: تعطى حرفاً من حروف الهجاء أ أو ب صغيره والتى توضع فوق الحرف أو العمود المراد توضيحه في الجدول ثم توضع قبل التوضيح تحت الجدول

مستوى الدلالة: يوضح بنجمه أو (Aste-risk).

مثل :

ف

* ٢٫٨١

١٫٦٦

** ٤٫٣٨

ترتب الملاحظات بعد الجدول بنفس الترتيبات العامة ثم النوعية ثم نتائج مستوى الدلالة، كما في جدول ١.

ملحوظة: توضع ن كعمود داخل الجدول اذا كانت متباينة بين المجموعات وتوضع تحت الجدول اذا كانت واحدة كملاحظة نوعية:

مثال: أن = ١٥

ي ـ كيف تقرر ما اذا كان الجدول يوضع طولياً او عرضياً؟

يمكن وضع الجدول طولياً أو عرضياً ويفضل الطولي ولكن من الضرورى ان نسمح بوجود مساحات مناسبة بين الأعمدة حتى لا تتداخل البيانات.

والقاعدة هي ان نعد الحروف في اطول خط افقى ونسمح بوجود ثلاثة حروف بين كل عمودين وعلى هذا نقرر ما اذا كان الجدول يكتب عرضياً أو طولياً.

ك ـ حقوق المؤلف في تصوير جدول كامل :

في حالة تصوير جدول كامل يتطلب ذلك اخذ موافقة خطية من المؤلف ويضاف ذلك على شكل ملحوظة في نهاية الجدول كالآتي:

ملحوظه ١:

من «عنوان الدراسة» بواسطة أ.و مؤلف و ل .م. مؤلف ، عنوان المجلة ، ١٩٧١، ٥١، ٢٢ ـ ٣٦.
حقوق الطبع ١٩٧١ بواسطة اسم حامل حقوق الطبع. اعيد طباعتها بتصريح خطي.

ملحوظة ٢ :

يجب ان يظل الجدول مفتوحاً من الجانبين كما يجب عدم وضع خطوط طولية إلا عند الضرورة.



١١٣٣ـ أبو عواد:

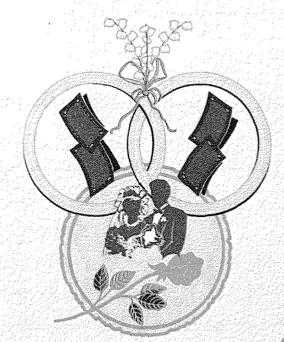
ما هو المطلوب من المرأة عندما تتسلل الرتابة الى جدران بيتها وتسير الأمور على ايقاع واحد صباح.. مساء؟! نهار.. ليل؟! لست أدري..؟!

١١٣٣ـ أم عمرو:

إذا تسللت الرتابه الى جدران البيت فعلى المرأة أن تبدأ في تغيير كل شيء بما في ذلك نفسها.. وسيتغير الزوج إذا صمدت هي في معركة التغيير حتى النهاية.

١١٣٤ـ أبو عواد:

لا أحد يرغب في الحديث عن الموت، لا أحد يريد أن يتحدث عن هذا المكروه.. إنما يتوجب على الزوجة الواعية أن تفترض أن يوم زوجها ربما كان قبل يومها.. وعليها أن تتبصر أحوالها باستحضار أجواء الترمل.



أوراق زوجية

١١٣٤ـ أم عمرو:

لماذا نقول للزوجة تبصرى حالك بعد أن تصبحي ارملة.. نقول، أفضل، للأسره خططي لمستقبل كل فرد فيك ليعيش حياة كريمة وآمنة بعد رحيل أي فرد آخر.

١١٣٥ـ أبو عواد:

أعترف أنني رجل شرقي أتحصن خلف مفاهيم عقيمة تمنعني حتى أن أقول لزوجتي على استحياء وخجل شديدين «أحبك».

١١٣٥ـ أم عمرو:

الزوج الذى لا يستطيع أن يقول لزوجته «أحبك» لا هو شرقى ولا غربي ولا شمالي ولا جنوبي.. هو ـ لا مؤاخذه ـ رجل «عبيط».

١١٣٦ـ أبو عواد:

إنني لا أفهم نفسيات بعض الأزواج الذين يستكثرون على زوجاتهم العاملات مد يد العون والمساعدة لأسرهن المحتاجة.. ألهذا الحد تصل أنانية الزوج واستحواذه؟.. وإذا هو بأطماعه يجبرها على عقوق أهلها كرهاً والتخاذل دون تفريج كربتهم هل يطمئن هذا المجنون أنها ستطير به هياماً؟..

١١٣٦ـ أم عمرو:

وأخيراً سمعنا دعوة من رجل لبقية الرجال «الأزواج» بمساعدة «زوجاتهم» النساء في المطبخ.. ما هذا الكرم؟! ومن أين جاء فجأة؟! هل كانت الشمس قاسية على رأس هذا الرجل صاحب الدعوه يوم أن قالها.

١١٣٧ـ أبو عواد:

الأجمل من الجمال ذاته الأدب الجم الذي يحرس مفاتنه والأخلاق الحميدة التى تسمه، فلا أبشع من الجمال حين يكون سلعة تحت المزاد.

١١٣٧ـ أم عمرو:

أبشع من الجمال عندما يكون سلعة، الرجال

الذين يتهافتون عليه ويفضلونه على العقل والحكمة والتعليم والأصل.

١١٣٨ـ أبو عواد:

لك أن تحلمي في بساتين النخيل وقصور الطين.. كنت آنذاك فتية رشيقة القوام.. وكان خبزك على الصاج وطبيخك ينضج على الجمر.. تيهي بهذه المظاهر الكذابة، هذا ما جنته عليك الحضارة.. عندما أبهرتك الشكليات.

١١٣٨ـ أم عمرو:

ليس من الضروري أن نبقى مزروعين في الطين لنحتفظ بأصالتنا.. النخيل والأشجار، فقط هي التى يمكنها ذلك.. المهم هو أن نستورد موقد الطهي الحديث ونصنع عليه طعامنا حسب ذوقنا.. ثم نتعلم كيف نصنع لأنفسنا موقداً افضل منه ونكتب عليه «صنع في بلادي».

١١٣٩ـ أبو عواد:

أيتها الزوجة علمي ابنتك الطهي والغسيل وكي الملابس وإعداد القهوة والتفنن في زخرفة سفرتها بما لذ وطاب من أنواع الطعام فلا تدرين لو كان الفارس القادم اشعباً.. لا تعنيه شهاداتها ولا حسبها ولا طولها وعرضها عندما لا يراها إلا من خلال ثقوب المطبخ.

١١٣٩ـ أم عمرو:

الفارس الذى لا تعنيه شهادة ولا حسب ولا طول ولا عرض ولا يهمه إلا أن يرى زوجته من ثقوب المطبخ، فارس يركب حماراً ويحتضن بين ذراعيه بحب شديد حزمة برسيم.

١١٤٠ـ أبو عواد:

متى ينصف المجتمع ضحايا عنجهيات بعض الرجال من المطلقات المغلوب على أمرهن.. لا شك أن بعضهن ربما جوزين بما هو استحقاقهن من الجزاء.. إنما كثيرات صدقوني لو اتيح لهن تكرار تجربة الزواج لكن بحق زوجات مثاليات.. فيا أيها الراغبون في الزواج الثاني التفتوا الى هؤلاء المطلقات انهن الأقدر على فهم احتياجاتكم.

١١٤٠ـ أم عمرو:

الطلاق في مجتمعاتنا، وفي أغلب الأحيان، هو نتيجة لسبب من اثنين. الأول: عدم تعليم اولادنا من الذكور مسئولية الزوج والأب ومعنى تأسيس أسرة والحفاظ عليها. والثاني: تفاهة بعض الرجال الذين يظنون أن المرأة ذات العيون الخضراء تختلف كثيراً عن تلك ذات العيون العسلية. الرجل الذى يتزوج ثانية ليحل مشاكله كالرجل الذى يشعل النار في بيته ليدفىء عليها قدميه.

١١٤١ـ أبو عواد:

بعض الفتيات يبالغن في تصنع الرقة الزائفة.. يكبرن وتظل ألسنتهن كما كانت على عهد الطفولة.. فيها براءة مصطنعة..!! تتألم احداهن حتى من حمل كراسة باليد.. أهذا جيل يتوقع أن يكون قادراً على تربية النشء؟..

١١٤١ـ أم عمرو:

هذه المبالغة في الرقة والنعومه من جانب بعض الفتيات سببها أننا في مجتمعاتنا نربى المرأة على أساس أنها ليست مسئولة عن نفسها وأن المتصرف فيها هو أبوها أو أخوها أو عمها أو زوجها. ثم نطلب منها، ويا للعجب! أن تكون مسئولة عن الجيل القادم؟!.

١١٤٢ـ أبو عواد:

إن التي لا تحسن التعامل في بيتها مع أمها وأبيها وأختها وأخيها لا يتوقع لها أن تحسن التعامل مع غرباء تزف يوماً ما الى ابنهم.. أو حتى مع العريس نفسه.

١١٤٢ـ أم عمرو:

صحيح أن من لا تعرف التأدب مع أبويها لا تعرفه مع أي إنسان آخر وعلينا أن نتركها لأبويها ليدفعا ثمن عدم تربيتهم لها فهما الأحق بذلك العقاب.

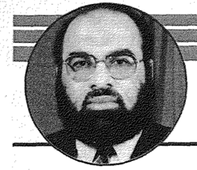


التجربة التكنولوجية في القرن العشرين

كانت هناك عدة ظواهر تدل على زيادة إجهاد الاقتصاد العالمي، وذلك حتى قبل أن تغير الاضطرابات في أسواق النفط العالمية من أنماط ما بعد الحرب لإنتاج واستخدام الطاقة حيث زاد التضخم Inflation[١] في معظم البلاد في نهاية الستينيات، كما ارتفعت معدلات البطالة أيضا. ولكن الارتفاع المفاجيء في أسعار النفط في عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٤ قد زاد من خطورة هذه الاتجاهات، لتبدأ بعدها فترة تميزت بالنمو الاقتصادي البطيء والتضخم العالمي وزيادة البطالة وامتدت هذه الفترة الى بداية الثمانينيات.

كثيرا ما ينظر الى التجديد التكنولوجي باعتباره حلا للعديد من هذه المشاكل الاقتصادية، حيث إن التكنولوجيات الجديدة كانت دائما تساعد على رفع النمو الاقتصادي عن طريق تقديمها لأساليب جديدة لإنتاج السلع بأقل تكلفة ممكنة. ولكن من الصعب تحقيق التجديد في حد ذاته في ظل مناخ اقتصادي راكد.. وعلى أي حال لا يوجد سبب يدعو الى الاعتقاد بأن العودة الى أنماط التجديد السائدة في فترة ما بعد الحرب سوف تكون أكثر نجاحا من العودة الى التخطيط الاقتصادي السائد في تلك الفترة[٢].

من السهل تقديم وصف لعلامات توعك الاقتصاد العالمي، ولكن من الصعب تشخيص أسباب هذا التوعك. وأكثر هذه العلامات وضوحاً هي نسبة التضخم العالمي. فالتضخم الذي ظهر في التأريخ في بعض الدول المنفردة في فترات الحرب والحصاد الضعيف وفترات الأزمات المشابهة، قد أصبح ظاهرة عالمية. فقد أثر حتى على اقتصاديات التخطيط المركزي، حيث أدى التحكم في الأسعار الى جعلها أقل حساسية للضغوط التضخمية (انظر جدول١).



بقلم : أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن

جامعة العلوم والتكنولوجيا - صنعاء

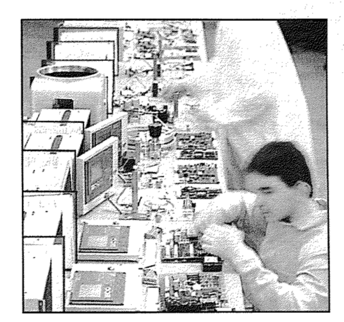
وفي نفس الوقت، فَقَدَ الاقتصاد العالمي الكثير من الازدهار الذي كان يميزه في سنوات ما بعد الحرب، فقد زاد الناتج القومي الإجمالي للدول الصناعية الغربية واليابان بنسبة تزيد عن ٤٪ في الخمسينيات، وبنسبة تزيد عن ٥٪ في الفترة بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٧٣. ولكن من عام ١٩٧٣ حتى ١٩٧٩، زادت الاقتصاديات الصناعية بنسبة لم تتعد ٢ر٥٪ سنويا، ثم بدأت الثمانينيات بحالة من الركود. كذلك تبين أن هناك اتجاهات مماثلة في الإتحاد السوفيتي - سابقا - وشرق أوربا، حيث تناقضت النسبة السنوية للنمو من ٩ر٥٪ الى ٦ر٥٪ وأخيرا انخفضت الى ٥ر٥٪ وذلك لنفس الفترات المذكورة[٣].

كذلك شهدت الدول النامية المستوردة للبترول انخفاضا في نسبة النمو الإقتصادي بها في السبعينيات. فبين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٣، وبالرغم من الزيادات السريعة في عدد السكان كانت هذه الدول تحقق معدلا للنمو الاقتصادي للفرد بلغ ٧ر٣٪ سنويا. ولكن بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٨ تناقصت معدلات النمو للفرد الى ٣ر٢٪ سنويا. وكانت أكثر الدول معاناة هي أفقر الدول الأفريقية التى انخفضت معدلات النمو فيها من ٦ر١٪ في الستينيات الى ٢ر٠٪ في السبعينيات. وجاء في تقرير عام ١٩٨٠ للبنك الدولي أن «شعوب هذه الدول قد أصبحت في نهاية هذا العقد في حالة لا تقل سوءاً عن الحالة التى كانت عليها في بداية التنمية».

تمثلت إحدى نتائج هذا الانخفاض في معدلات النمو في اندلاع موجة من البطالة العالمية. ومنذ عام

مجموعة الدول	١٩٦٠-١٩٧٠م في المائة ٪	١٩٧٠-١٩٨٠ في المائة ٪	١٩٨٠-١٩٩٠ م في المائة ٪
الدول ذات الدخل المنخفض	٣.٠	١٠.٧	١٥.٦
الدول ذات الدخل المتوسط	٣.١	١٣.١	١٧.٨
الدول الصناعية	٤.٢	٩.٤	٢٣.٤
الدول المصدرة للنفط ذات الفائض في رأس المال	١.٢	٢٢.٢	٢٨.٧

(جدول ١) النسبة المئوية المتوسطة للتضخم في مجموعات مختارة من الدول



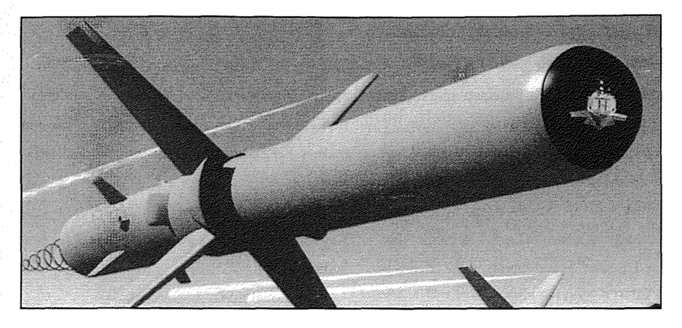
١٩٧٥ وأعداد الذين لا يعملون تتزايد سنويا في أوربا.. وفي عام ١٩٨٠، كان هناك أكثر من ٨٠ مليون عاطل في أوربا الغربية وشمال أمريكا واليابان معا. أما في العالم النامي فقد وصلت البطالة والتشغيل الناقص للعمالة الى نسب وبائية، حيث فشلت الوظائف المتزايدة في الصناعة في مواجهة زيادة عدد الناس الذين يطلبون عملا. ومن الصعب تقديم تقديرات دقيقة، ولكن منظمة العمل الدولية أشارت الى وجود حوالي نصف بليون من العاطلين وأشباه العاطلين في البلاد النامية في السبعينيات. وفي دراسة عن مشاكل البطالة في العالم عام ١٩٧٩ ذكرت «كاثلين نيولاند»: أن البطالة العالية والمزمنة قد أصبحت متأصلة في معظم اقتصاديات العالم، وأصبحت الإجراءات التقليدية لمكافحتها غير صالحة أو غير مناسبة - أو كليهما معا[٤].

أدت هذه المعدلات العالية للبطالة في العالم الصناعي الى زيادة صعوبة تحقيق التغيير التكنولوجي المبني على توفير العمل - وهو أساس لزيادة الإنتاج في فترة ما بعد الحرب - كما جعلت هذا التغيير سببا في الظلم الإجتماعي في نفس الوقت. كذلك فإن أزمة العمل في العالم الثالث[٥] أثارت التساؤل حول صلاحية إقامة برامج التنمية على استخدام التكنولوجيات الموفرة للعمل والمستوردة من البلاد الصناعية[٦].

وفي حين واجهت اقتصاديات البلاد المختلفة مجموعة مشابهة من المشاكل، مرت العلاقات الاقتصادية الدولية أيضا باضطرابات خطيرة. فقد شهدت بداية السبعينيات إنتهاء الاتفاقيات المالية الدولية التى عقدت في نهاية الحرب العالمية الثانية، والتى ارتبط فيها تغيير العملات بسعر الذهب. وقد بدأ هذا النظام في الانهيار في عام ١٩٧١ عندما أخرج الرئيس نيكسون الولايات المتحدة الأمريكية من قاعدة الذهب. وهو إجراء خفض من قيمة الدولار امام العملات الرئيسية الأخرى. ثم تداعت اتفاقيات ما بعد الحرب تماماً في عام ١٩٧٣ عندما سمح بتعويم أسعار الصرف بين العملات[٧].

وتلت ذلك فترة من التقلبات في الأسواق المالية العالمية واضطرت حكومات كثيرة الى اتخاذ اجراءات أليمة مثل الإقلال من القروض وتخفيض نفقات الحكومة بهدف تثبيت عملاتها. وقد أدت هذه التقلبات الى تغير شروط التجارة، فالبلاد التى خفضت من قيمة عملاتها شهدت زيادة في تكلفة وارداتها مما أضاف الى ضغوط التضخم بها.. أما



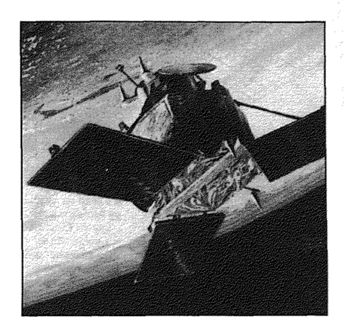


البلاد التي ارتفعت قيمة عملاتها فقد واجهت صعوبة في زيادة صادراتها.

وقد وجدت هذه التعقيدات في الشؤون الاقتصادية الدولية طريقها الى ساحة العالم حتى قبل أسعار النفط في عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ولكن الارتفاع زاد من عدم الاستقرار الموجود. فقد أدت هذه الزيادات الى حدوث أكبر تحول دولي لرأس المال في التأريخ، حيث شهدت الدول المصدرة للنفط اضافات الى حساباتها الجارية وصلت الى أكثر من ٦٠ بليون دولار في عام ١٩٧٤. وكانت بعض هذه الأموال - التى أصبحت تعرف باسم الـ «بترو دولار» Petrodollar - تعود الى البلاد الصناعية عن طريق شراء معدات رأس المال والتكنولوجيا والسلع الاستهلاكية، كما أن بعضها قد عاد في صورة ودائع في المصارف الغربية الخاصة. وقد أدى ارتفاع أسعار النفط في عام ١٩٧٩ من جديد الى وضع فريد من الضغوط على النظام المالي العالمي.

وبلغت قيمة الفائض في الدول المصدرة للنفط حوالي ١١٠ بلايين دولار في عام ١٩٨٠.

كان لهذه الحركة الدولية لرأس المال، التى لم يسبق لها مثيل من قبل، أصداء واسعة المدى. فقد أدت الى تفاقم مشاكل ميزان المدفوعات الخاصة بكثير من البلاد المستوردة للنفط، وخاصة البلاد النامية منها، التى واجهت معا ديونا نفطية وصلت الى حوالي ٤٧ مليون دولار في عام ١٩٨٠. كذلك زادت من التنافس الدولي في أسواق التصدير حيث حاولت الدول زيادة أرباح صادراتها حتى تستطيع دفع قيمة وارداتها من النفط.. وأدت هذه الحركة الى زيادة دور المصارف التجارية الخاصة في النظام الاقتصادي الدولي. فقد لعبت المصارف الخاصة دورا رئيسيا في إعادة توظيف دولارات البترول «البترو دولار» وقامت بإقراض الدول النامية مبالغ هائلة لكي تسدد بها حسابات وارداتها من النفط. وفي منتصف السبعينيات - وقبل ارتفاع أسعار



النفط ـ بلغ مجموع ديون الدول النامية للمصارف التجارية حوالي ٢٢١ بليون دولار، حيث بلغ دين البرازيل وحده أكثر من ٣٥ بليون دولار. وكانت فوائد هذه القروض قد بدأت في ارهاق ميزانيات العديد من الدول في نهاية السبعينيات مما أثار الشكوك حول مدى صلاحية النظام النقدي العالمي المعمول به[٨].

تشابكت المشاكل الاقتصادية والإضطرابات التى ظهرت في السبعينيات تشابكا وثيقا، وقد أدت الى تمزق الاتجاهات الاقتصادية والعلاقات المالية الدولية التى سادت لمدة ربع قرن بعد الحرب العالمية الثانية. كذلك فقد أثرت بعمق على البيئة المحيطة بالتغيير التكنولوجي، حيث أدى انخفاض النمو الاقتصادي والضغط على نفقات الحكومات الى الحد من زيادة النفقات على الأبحاث والتطوير في بلاد عديدة. وبالإضافة الى ذلك وفق دراسة قامت بها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، فإن المناخ الاقتصادي الراكد قد جذب البحوث والتطوير في معظم القطاعات نحو الاهتمام بالمدى القصير والأمن الصناعي. وفي عصر النمو البطيء والقلقلة الاقتصادية، أصبحت الصناعة الخاصة تتجنب القيام باستثمارات في التكنولوجيات الجديدة لزيادة الإنتاج[٩].

وبالنسبة للبلدان النامية عملت التقلبات الاقتصادية والزيادة المتصاعدة لأسعار الطاقة والديون الثقيلة التى تراكمت في السبعينيات على زيادة صعوبة تنفيذ برامج التنمية، وبصفة خاصة أدت هذه العوامل الى إثارة الشكوك الخطيرة حول مدى صلاحية إتباع الطريق الذي سلكه العالم الصناعي في أنظمة الإنتاج والاستهلاك كثيف الاستخدام للطاقة، كما أدت ببعض الدول لأن تنظر نظرة جديدة الى امكانيات خلق مصادر للطاقة خاصة بها[١٠].

الهوامش :

(١) التضخم Inflation عبارة عن حالة عدم التوازن Lack of balance التى تحدث في هيكل البنية الأساسية للاقتصاد Basic Structure of Economy فلا تستطيع النقود أن تفي المجتمع حاجته من السلع والخدمات في ظل ظروف عرض وطلب متأثرة بظروف اقتصادية لا يمكن التحكم فيها بقدر قوتها وفعاليتها. ومن أسباب التضخم نذكر:

١ ـ عدم التوازن بين العرض والطلب.

٢ ـ ارتفاع التكاليف مع ازدهار الحياة



الاقتصادية والتقدم ومحاولة رفع جودة السلع المعروضة وفعالية نقابات العاملين Labor unions في فرض أجور مرتفعة على المنتجين وتطوير اساليب الدعاية والإعلان Promotional and advertising means.

٣ ـ الاجراءات المصرفية ومستويات الائتمان Banding Measures and insurance Standards.

٤ ـ دور القوى السياسية العالمية The Role of International Political Powers.

(٢) انظر: مقدمة في التنمية الصناعية «أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ مؤسسة الاستشارات الصناعية ـ عمان ١٩٩٨م٠

(٣) عكفنا على ذكر الكثير من معالم وسمات التغيرات الصناعية والتكنولوجية التى حدثت على عالم الصناعة العالمية خلال نصف القرن الماضي وذلك في سلسلة محاضراتنا الموسومة: «التنمية الصناعية وعالم الطاقة٠٠ آفاق للتغيير»، أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ ألقيت في جامعة Harvard، مايو ١٩٩٠م٠

(٤) عن «قيود التبعية٠٠ لا تزال» ـ مقدمة في التنمية الصناعية ـ أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن، مؤسسة الاستشارات الصناعية ـ عمان ١٩٩٨م٠

(٥) نسب هذا التعبير الى مطبوعة أكاديمية فرنسية ربع سنوية، كان اسمها «العالم الثالث» بدأ صدورها في باريس عام ١٩٥٦م٠ وقد أشارت هذه المطبوعة الى وجود نوع من التماثل بين العالم الثالث، عالم الدول الفقيرة، أو الفئات المهمشة في النظام الدولي، والطبقة الثالثة، أو العامة من المحرومين قبيل عهد الثورة الفرنسية٠ عن محاضرات ودراسات تحت عنوان «العالم الإسلامي٠٠ وهواجس قضايا الأنين» أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ قيد النشر٠

(٦) عن «قيود التبعية٠٠ لا تزال» ـ مقدمة في التنمية الصناعية ـ أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن، مؤسسة الاستشارات الصناعية ١٩٩٨م ص (٨٨ ـ ٩٤)٠

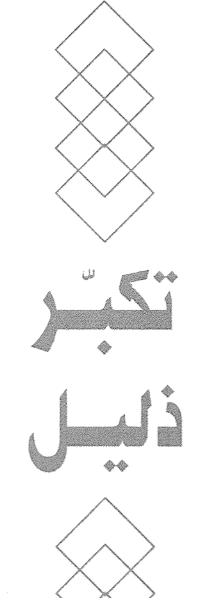
(٧) لقد برز الدور الأمريكي في الحربين العالميتين الأولى، والثانية٠ وخرج المنتصرون في عام ١٩٤٥م وهم أكثر غني٠ ومع بداية عام ١٩٤٧م تضاعفت الدواعي الاقتصادية لأسباب استراتيجية منها عرقلة المد الشيوعي، ثم جاءت الستينيات وفيها انحسر الدور الأمريكي، حيث ظهر عجز تجاري ضخم في عام ١٩٧١م وتعرض الدولار لموجات متلاحقة من الإنخفاض فضلا عن الهزيمة الأمريكية في فيتنام وقضية ووترجيت عام ١٩٧٤م، ثم اندلاع الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، الأمر الذي أدى الى أفول تدريجي للنجم الأمريكي٠ عن: «طوق العولة: متى تضمن الأمة عناصر وحدتها وارادتها في الاختيار والقرار» ـ أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ محاضرات ودروس ألقيت بين عام ١٩٩٣ ـ ١٩٩٧م٠

(٨) عن: «آفاق الاقتصاد الصناعي الحديث» أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن ـ مؤسسة الاستشارات الصناعية ـ عمان ١٩٩٨م ص (٧٠ ـ ٧٣)٠

(٩) المصدر السابق٠ ص (٥٣ ـ ٥٨)٠

(١٠) عن: «التنمية الصناعية وعالم الطاقة: آفاق للتغيير» أ٠د٠ سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن، مايو ١٩٩٠م٠





٥٠١ ـ مقدمــــة :

تحدثت في هذه الشذرات عن محاسن شتى لبعض الفضلاء، ممن أسلفوا العمل الصالح عن طيب خاطر، وصفاء نفس، وقد آن أن أتحدث عن بعض المآخذ لدى نفر آخر، لأن الليل بسواده والنهار بضوئه. يمثلان لعبة الحياة على المسرح، فلابد منهما معا، ولن تلزم الخير إلا إذا عرفت الشر، وقد يكون فيما أذكر طرفة يسمر بها السامرون، ويبتسم لها الساخرون وهل يطاق العيش دون ابتسام.

٥٠٢ ـ تراجع واضح :

عُين بعض من يحملون الرتبة العسكرية رئيسا لإحدى المدن الهامة في الصعيد، وقد وفد إليها وهو يعتقد أنه كنبي مرسل، يجب أن يطاع ويسمع، ورأى من المتزلفين من شجعه على هذا الاعتقاد فأخذ يصدر الأوامر الجريئة دون معارضة ما، وكلما لقى الإذعان أخذ يفكر في مشروع تال، وقد رسخ في اعتقاده أنه لا يُسأل عما يفعل.

وقد لحظ أن المدينة على اتساعها وامتلائها بالمدارس والإدارات الحكومية، لا تضم ساحة شعبية يجتمع فيها الطلاب والطالبات ليزاولوا أعمال الرياضة، فدعا أعيان البلدة والموظفين، وجعل يهاجم تخلف المدينة بالقياس الى مدن الوجه البحرى. وقال إنه سينشىء ساحة شعبية يلتقي فيها الطالبات والطلاب بعد الفراغ من الدروس لمزاولة الألعاب المختلفة، وسيعين لها مدربين ومدربات، ومشرفين ومشرفات، ليتم للبلدة وجهها الحضاري، وكان الاقتراح في زمنه المبكر جديداً على الأسماع، إن لم يكن ناشزا كل النشاز في مرأى عقول أهل الصعيد، فسكت السامعون على مضض، ولكن مواطنا متواضعا عُرف بين الناس على فقره المالي بحماسته الدافقة. وحميته المشتعلة، هذا المواطن الفقير الذى لم يره الرئيس من قبل، وقف يعلن رفضه للاقتراح، لأنه سيسبب بعض الجرائم لا محالة، واستكثر رئيس المدينة أن يقوم هذا المجهول بمعارضته في لهجة صارمة، وأعيان البلدة لا يتكلمون. فقام شامخا يقول للمتحدث في لهجة استهزاء، مثلك لا يفهم شيئا في هذه الأمور، وعليك أن تنسحب سريعاً من الاجتماع، ولكنه فوجيء بما لم يتوقع، فوجيء بالشاب المتحمس، يقول له: أنت يا ريس تسكن وحيدا في البلدة، وزوجتك بالقاهرة، وتريد أن تتسلى على بنات الناس!. وهذا ما أفهمه فاحترس، فدهش الرجل واحمر وجهه وطلب من المأمور - وكان حاضرا - أن يأمر بحبسه حتى يحقق معه فيما قاله، وأنهى الاجتماع غاضبا وخرج الناس، وهُم على رأى الشاب!.

ولكن نفراً يعرفون عنوان الزوجة في القاهرة، كتبوا إليها يقولون إن زوجك أغضب رجلا شهيرا يأخذ الثأر، وعائلته كلها تلتزم ذلك، ومنهم من مكث في السجن أمدا طويلا، وقد حبس أحد شبابهم دون جريرة، فصمموا على أن يخطفوا ابنك عند خروجه من المدرسة، ردا على سجن هذا المظلوم، ومعهم العنوان، وقد أمهلوك أسبوعا! فاحذري.

فوجيء رئيس المدينة بزوجته تحضر على غير انتظار، وهي في غاية الفزع والرعب، تصيح به بمجرد رؤيته، ستقتل ولدك بتهورك، ولابد أن يخرج الحبيس من محبسه فورا قبل أن يحصل الشر، وزاد صراخ الزوجة وبكاؤها، فحار الرئيس دهشا، رأى أن يذهب الى الحبس ليعمل على إخراج الشاب مسترضيا، وظن أن المسألة ستقف عند هذا الحد، ولكن الشاب زجره في عنف وصاح في وجهه، تشتمني أمام الناس، وتأتي لمصالحتى في الخفاء، لابد أن تعتذر لي يوم الجمعة في المسجد، وانصرف شامخا!

لم يجد صاحبنا بدا من التراجع والاعتذار العلني ورأى في وجوه الناس شماتة ظاهرة، فلم يطق البقاء، وقدّم طلبا الى المسئولين يرجو أن ينتقل من البلدة، ولو الى الجحيم!.

٥٠٣ - (كتب الأزهر):

درس بعض الناس بالأزهر قرابة تسع سنوات، ثم تركه الى كلية دار العلوم، وسافر في بعثة الى انجلترا لمدة سبع سنوات عاد بعدها يحمل درجة الدكتوراه فعين مدرساً بالجامعة، ولكنه كان في

دروسه ينتهز كل فرصة ليحمل على الأزهر وتأخره العلمي، وكتبه البعيدة عن منهج العصر، فإذا سُئل عن كتاب منها يشذّ عن هذا المنوال، قال ولا ورقه!

وشاع ما يقول على الألسنة، بل كتب ما ينبىء عنه في بعض مذكراته التى يقرؤها طلابه، وجعل من رسالته أن يدعو الى منهج جديد يخالف ما هو معروف في الكتب المصرية، وبخاصة كتب الأزهر التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، كما قال.

ولكن ظروفا اجتماعية ساقته الى كلية اللغة العربية بالأزهر يشفع في أمر طالب فصل لغيابه الطويل دون عذر، وهو من ذوى قرابته، وقد رجوه أن يتوسط في رجوع الطالب، فقدم الى عميد الكلية الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله، والرجل علم في نشر كتب التراث، وله وزنه الثقيل في دنيا العلم والعلماء، فما جلس أمام العميد، وهو يعلم عنه تهكمه بالكتب الأزهرية، حتى نوى أن يؤاخذه على تهجمه الملح، ولم يضع الفرصة فإن الزائر الفاضل أراد أن يسترضى العميد، فقال له أنه تربى في الأزهر. وقرأ كتب الأزهر كلها، وأحاط بما فيها، فنظر اليه العميد نظرة متنمرة، وقال له مثلك لا يفهم كتب الأزهر، وليس عندك أي استعداد علمي لاستيعابها، ثم صفق بيده، ونادى الحاجب، فقال له أحضر كتاب المواقف لعضد الدين ابن محي. وكتاب «سلم الوصول» للأسنوى، وأولهما في المنطق، وثانيهما في الأصول، ثم قال له: هذه كتب الأزهر، وأمامك الباب الأول من كل كتاب، هل تستطيع قراءته! قال الزائر دهشا! هل أنا في موقف امتحان؟ فقال الشيخ تزعم أنك قرأت كتب الأزهر، وأتحداك أن تفهم شيئا مما بين يديك، هلم! أتحسب أن كتب الأزهر هي كتب السيرة النبوية والتاريخ وحدهما!! كتب الأزهر هي كتب المنطق والأصول والفلسفة والتوحيد، وهي بريئة من مثلك!

قام الدكتور غاضبا، ولم يكمل وساطته إذ داهمه الطوفان!

٥٠٤ ـ (قرش واحد):

كان ابراهيم المويلحى من كبار الكتاب في عصره، وله في مضمار السياسة جولات ترتفع به تارة، وتنخفض أخرى، غير أنه كان مهيباً لدى خصومه، ومخشى العاقبة لدى أصدقائه، لأنه كان قارص القلم واللسان معا!

وقد توثقت صلته حينا بالخديوى اسماعيل، فصار من كبار رجال الدولة، يحرص الرؤساء على استرضائه ليقول عنهم كلمة طيبة لدى وليّ الأمر، أما زملاء والده من كبار التجار فكانوا ينهضون له وقوفا اذا مرَّ بشوارعهم، فإذا دخل محلا من المحلات كان ذلك سعادة كبرى لصاحبه، ولكن الدنيا لا تدوم، فقد ذهب اسماعيل مبعداً عن العرش، وسافر معه ابراهيم المويلحي حيناً من الزمن سكرتيراً لجنابه ومبعوثاً سياسيا له لدى السلطان في تركيا، ثم سئم العمل الرتيب، فعاد الى مصر، ولم يجد من الناس ما كان يعهده من حسن الاستقبال، فقد تنكر له رجال الحكم، وخاصمته الصحف لأمور عدتها عليه، وقضى وقتا في الرد والهجوم، حتى ما كاد يسلم يوماً واحدا من بلاء الدفاع والتبرير، والتهجم والاحتيال، وقد كان غيظه



أشد من جماعة التجار الذين كانوا يركعون أمامه من قبل، ثم هم يقابلونه بأقصى الفتور والنفور.

وفي أصيل يوم ساقته قدماه الى حيّ الحمزاوي، وهو حينئذ من أعظم الأحياء التجارية بالقاهرة فرأى تاجراً عرفه من قبل، فاتجه للسلام عليه، فلم يقف التاجر، ونظر اليه نظرة المتأفف، فتركه ابراهيم المويلحي وهو يغلي من الغيظ، ثم فكر في أمر يهينه به إهانة لا يمحى أثرها من نفسه، فرجع ثانية وطلب أن يشترى من المحل فنجاناً للقهوة، فنهض التاجر يقدم له ما عنده ليختار ما يشاء، فجعل يسأل عن الأثمان حتى عرف أن أقل ثمن هو القرش الواحد لفنجان صغير، فاشترى الفنجان، ودفع للتاجر القرش، ثم رمى بالفنجان على البلاط فتكسر قطعا قطعا، وقال للتاجر: يا هذا إن الذى يقوم من مكانه ويقعد لأجل قرش واحد، لا يجوز له أن يتكبر على المويلحي، وأن يبدى النفور حين تقع عينه عليه! أفهمت ما أعنيه!

٥٠٥. (شراء الموز):

الأستاذ عبد السلام واسع الثراء، له العقار والمرتّب، وودائع البنك، وما يرتفع به عن زملائه الموظفين ماديا، ولكنه يخاصم محلات الفاكهة، ويراها من الكماليات.

وقد اشتاق مرة الى الموز حين وجده منضدا في عناقيد هندسية أمام محل الفاكهة، فحدثته نفسه بشراء شيء منه، ولكنه تريث عدة أيام، حتى إذا صمم بعد اشتداد حنينه، أراد أن ينتهز غياب التاجر، وقيام بنته الشابه مقامه حتى يعود، ليستطيع مساومتها، وقد اتفق معها على الثمن بعد حوار طال، ثم رأى أن يقول لها في لهجة متذللة وكأنه يتسول:

بُنيتي، لا أشترى الموز لنفسي، ولكن مريضا بالمستشفى العام ينتظره وعليَّ أن أختاره إصبعاً إصبعا، خالياً من أي نقطة سوداء، كيلا تؤثر على صحة المريض، فربما تسوء حالته ونحن نريد له الشفاء!

سكتت البائعة الصغيرة كالمندهشة، وتوالى المشترى الفاضل يقول في لهجة منكسرة: لو أكل المريض موزة واحدة بها آفة سوداء، لأثرت في حياته، وربما مات، وحرام أن أتحمل ذنبه أنا وأنت، فاتركيني أختر له ما ينفعه.

وهنا قالت له البائعة الصغيرة في ابتسامة: أيهمك أمر المريض يا شيخ؟ قال: نعم قالت: اشتر له قدراً كبيرا من الموز، اثنين ثلاثة كيلو، واختر منها ما تريد من الموز النظيف، حتى لا يموت وتتحمل ذنبه يا مسكين!

لم يتوقع الأستاذ هذا الرد من البائعة الصغيرة، فاحمر وجهه وقال غاضبا: والله لن أشترى منك!

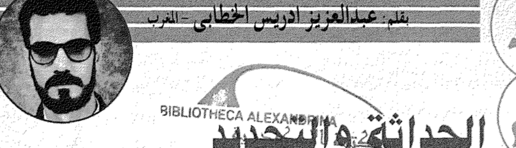
فضحكت هازئة، وقالت في تهكم: ولا من غيرى: أنت مالك وللموز، ابحث عن رأس فجل!

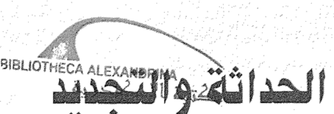
وسار المشترى، فلقى أحد أصدقائه، فلحظ عليه سمات الغضب، فقال له مالك: تعال : كل الناس صاروا أولاد حرام! حتى البائعة الصغيرة!!

٥٠٦. (حكمة):

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا!







الحداثة والتجديد

بقلم: عبدالعزيز ادريس الخطابي - المغرب

لا شك أن الحداثة والتجديد هما وجهان لعملة واحدة، وهما نسبيان كذلك، يختلفان باختلاف العصور، ويحضرني في هذا المجال قول الشاعر القديم:

إن هذا القديم كان جديدا
وسيغدو هذا الجديد قديما

فالتجديد مفهوم نسبي، يتغير من عصر الى آخر، تبعا للعلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون، ولقد تطرق الجاحظ الناقد العربي الموسوعي الى نظرية اللفظ والمعنى وهي الركيزة الاساسية لقضية الشكل والمضمون بمفهوم نسبي متقارب، وقرر أن المعاني شائعة ومتعددة في كل زمان ومكان، ولكن الالفاظ هي التي تحددها وتبين انواعها وتلون عناصرها بخصائصها الذاتية التى تبلغ من البلاغة التعبيرية حدا يميز شاعرا عن آخر في حدود عصريهما أو في حدود غيرهما من مختلف العصور المتباينة كما حدث مع بشار بن برد حينما قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج.

فالتقط تلميذه «سلم الخاسر» هذا المعنى وعبر عنه في شكل جديد مما استثار حقد أستاذه عليه لأنه صور ذلك المعنى تصويرا جديدا رائعا فقال:

من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور

فهذا النوع من التجديد، تجديد في اللفظ والصياغة التعبيرية التى هي عبارة عن شكل العمل الفني، لكنه تجديد نسبي محدود بحدود المعنى الواحد، والمرحلة التاريخية الواحدة، والظروف الاجتماعية الواحدة.

ولقد كان ابن الرومي مجددا في نطاق عصره، فكان أسلوبه يتميز بالتسلسل المنطقي، وتداعي الصور والخواطر في نوع من الوحدة الفنية، واتسم شكل القصيدة عنده بالتجسيم والتشخيص والتصوير، هذه الخصائص الفنية للشكل الشعري عنده حددت مضمونه الاجتماعي، فوظفها في تصوير الطبيعة تصويرا حيا، وتصوير النماذج البشرية البسيطة من الطبقات الشعبية الدنيا، مثل تصويره للخباز والاحدب، وغيرهما من الناس البسطاء، مما أضفى على شعره مسحة من الواقعية.

ولا شك أن المذاهب الادبية التى تدعو الى التجديد عديدة ومتنوعة، منها ما ينحاز الى التجديد في الشكل الفني للابداع الادبي، فالاشكال التعبيرية الفنية تختلف باختلاف مضامينها، فشكل القصيدة الكلاسيكية تختلف عن شكلها الرومانسي، وهذا يختلف عن شكلها الواقعي وبما أن شكل الابداع الفني يميل الى الثبات النسبي، ويقاوم التغير لذلك فإنه يتصارع مع مضمون العمل الفني الذي يتميز بالحركة والتجديد والتغيير.

وبذلك يفرض هذا المضمون الفني المتطور، شكلا فنيا متجددا أيضا ينسجم معه ويتوازن، وكذلك فإن شكل العمل الفني يتجدد بتجدد الظروف الاجتماعية ولهذا فإن له رؤية اجتماعية محددة، خاصة تتمثل في هدف وغاية معينة، هي المضمون الاجتماعي فشكل العمل الفني مرتبط بمضمونه تغيرا وتطورا وتجديدا ولا يقل عنه أهمية وضرورة، والشكل ايا كان نوعه يحتوي تجربة اجتماعية، وحيث إن الشكل الجديد يتمشى مع المضمون الجديد فإن شكل القصيدة التقليدية لا يتمشى مع مضمون القصيدة الرومانسية، وشكل القصيدة الرومانسية، لا يتمشى مع مضمونها الواقعي.

وهذه هي فلسفة التجديد، في ضوء المنهج العلمي الموضوعي الواقعي.

لأول مرة في المملكة

جوال الأهلي المصرفي

يتيح لك التحكم بحسابك عبر جوّالك



الآن ولأول مرة في المملكة، يمكنك إجراء معاملاتك البنكية بكل يسر وسهولة عبر جوّال الأهلي المصرفي، فحيثما كنت وحينما تشاء يمكنك أن تراجع حساباتك البنكية والاستفسار عن رصيدك واجراء التحويلات من حساب الى آخر، أو اذا شئت، سداد فواتير الهاتف وبطاقات الائتمان أو مراجعة آخر العمليات التي اجريتها في حساب الإستثمار دون حاجة الى الذهاب للبنك.

مع جوّال الاهلي المصرفي، تتحكم بعملياتك البنكية وتكسر حواجز الزمان والمكان وتريح بالك، فمصرفك في جوّالك.

كل ما تحتاجه هو هاتف جوال فيه خاصية «الواب» (WAP) لنقل البيانات، وطبعاً حساب في البنك الأهلي التجاري.

اشترك اليوم بهذه الخدمة المبتكرة عبر موقعنا www.alahli.com أو لدى أقرب فرع لديك.

لمزيد من المعلومات فضلاً اتصل على الرقم المجاني

٨٠٠ ٢٤٤ ١٠٠٥

